س. ن. لازاريف

تشخيص الكارما

حياة مثل خفقة جناحي فراشة

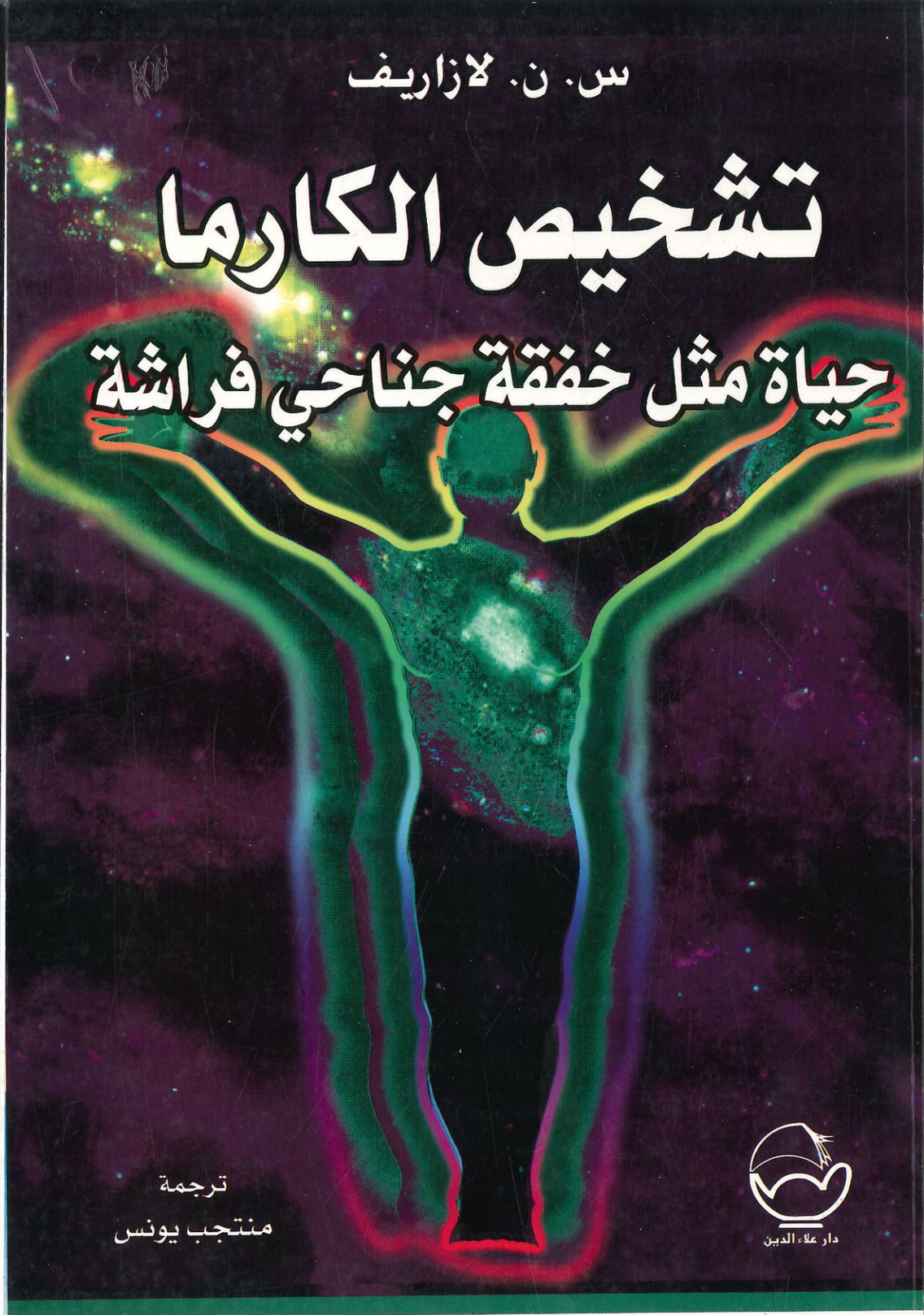

ترجمة
منتجب يونس

دار علاء الدين

إيزوتيريك
ESOTERIK

إلى ماذا توصلت عبر خمسة عشر عاماً من البحث؟ لقد توصلت إلى مفهوم أن الحب هو عبارة عن قيمة مطلقة. لا يوجد أي سبب في الكون يجعلك ترفض الحب، بل على العكس يجب أن ترفض كل شيء يعرقل الحب. كلما كان مقياس السعادة الإنسانية كبيراً، كانت قوة السعي إلى الله أكبر.

«واقع العقلانية أم عقلانية الواقع»؛ إنه قول مأثور "لهيجل". إن العالم عقلاني بالفعل، إذاً لماذا رأى هيجل هذا الرابط، أما الآخرون فلا؟ على الأرجح أن الجسد والإدراك بالنسبة له لم تكن قيماً مطلقة. إن الإدراك يرتبط بأهداف مادية، لذلك يكون دقيقاً قابلاً للتجزؤ. إنه يرى أدق الارتباطات السطحية. وهيجل لم يستشعر فقط كيف أن العالم يسير وفق برنامج سري، بل إنه رأى كيف يستمر ذلك البرنامج في كل ثانية في ربط كافة الأحداث التي تحدث في العالم. في الواقع هناك حكمة عليا من كل شيء أو حالة أو وضع معين يحدث. حتى ولو بدا ذلك الشيء سخيفاً أو غير مريح بالنسبة لنا للوهلة الأولى، لكنه بعد انقضاء زمن ليس بالبعيد يتبين أن ذلك الشيء كان خير معين لنا، بل إنه كان بمثابة طوق النجاة الذي ساهم في إنقاذنا.

الهدف الذي يشير إليه هو الحب.

يطلب الكتاب على العنوان التالي: دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع - سورية - دمشق
ص.ب. ٣٠٥٩٨ - هاتف ٥٦١٧٠٧١ - فاكس ٥٦١٣٢٤١ - بريد إلكتروني ala-addin@mail.sy

تشخيص الكارما

حياة مثل خفقة جناحي فراشة

С .Н. Лазарев

ДИАГНОСТИКА КАРМЫ
ЖИЗНЬ, КАК ВЗМАХ КРЫЛЬЕВ БАБОЧКИ

س. ن. لازاريف

تشخيص الكارما
حياة مثل خفقة جناحي فراشة

ترجمة

منتجب يونس

منشورات دار علاء الدين

- **تشخيص الكارما حياة مثل خفقة جناحي فراشة.**
- **تأليف: س. ن. لازاريف.**
- **ترجمة: منتجب يونس.**
- الطبعة الأولى 2015.

- جميع الحقوق محفوظة.

- **هيئة التحرير في دار علاء الدين:**
  - الإدارة والإشراف العام: م. زويا ميخائيلينكو.
  - المتابعة الفنية والإخراج: أسامة راشد رحمة.

دار علاء الدين

للنشر والتوزيع والترجمة

سورية، دمشق، ص. ب: 30598

هاتف: 5617071، فاكس: 5613241

البريد الإلكتروني: ala-addin@mail.sy

ISBN: 978-9933-18-005-8

حيـــــاة
مثل خفقة جناحي فراشة

يتابع القطار حركته الرتيبة قاطعاً المزيد من الكيلومترات ماضياً في طريق ذهابه. نظرة متفحصة عبر نافذة العربة تجعلك تحيط بمشاهد حياتية معينة.

في البداية مصادفة انظر باهتمام إلى دوحة خضراء وبستان صغير بجوار منزل على شرفته نشرت ثياب مغسولة بقصد التجفيف، ليس ببعيد عن المنزل يمكن رؤية بركة صغيرة تعج بقطيع من الإوز. لبضع ثوان أحسب نفسي أعيش هناك داخل ذلك المكان. لكن بعد برهة ينقطع شريط أحلامي. عبر رحلة القطار الطويلة التي تمتد لأيام تتكرر تلك المشاهد آلاف المرات.

بقلبنا وليس بعقلنا يمكننا أن نفهم هواجسنا وجميع مشكلاتنا. «واقع العقلانية أم عقلانية الواقع»؛ إنه قول مأثور "لهيجل" لسبب ما أتذكر هذه المقولة وتحضر في خاطري. إن العالم عقلاني بالفعل، إذاً لماذا رأى هيجل هذا الرابط، أما الآخرون فلا؟ على الأرجح أن الجسد والوعي بالنسبة له لم تكن قيم مطلقة. إن الوعي يرتبط بأهداف مادية، لذلك فهو قابل للتجزؤ. إنه يرى أدق الارتباطات السطحية. إن هيجل ليس فقط استشعر كيف يسير العالم وفق برنامج سري، بل إنه رأى كيف أن ذلك البرنامج في كل ثانية يستمر في ربط كافة الأحداث التي تحدث في العالم. في الواقع هناك حكمة عليا من كل شيء أو حالة أو وضع معين يحدث حتى ولو بدا ذلك الشيء سخيف أو غير مريح بالنسبة لنا للوهلة الأولى، لكنه بعد انقضاء زمن ليس بالبعيد يتبين أن ذلك الشيء كان خير معين لنا، بل إنه كان بمثابة طوق النجاة الذي ساهم في إنقاذنا.

إنني أرى ذلك على سبيل المثال عن طريق المرضى المراجعين. لنفترض أن بعضهم أتى يشكو من ضرر أو أذى لحق بهم بسبب الإصابة بالعين (النضرة). إن

ذلك يعتبره الناس أمر مزعج وتعيس، ويجب بذل كل ما يمكن من أجل تجنبه. لكن ما يجب معرفته أيضاً أن أي أذى يلحق بنا قد يجنبنا الوقوع في حبائل مشكلة قد تكون أدهى وأمر.

إن أفدح الخسائر التي نصاب بها هل تلك التي لا نشعر بأثرها السلبي ولا نلاحظه؟! ذلك عندما نفقد الصلة مع الله، ومن الداخل نسعى للوصول للسعادة الإنسانية بمجرد الحصول على المتع بشكل دائم. تخيلوا أن شخصاً بذل جهوداً ضخمة ولمدة طويلة لكي يبني أساسات منزل يريد تشييده. هذا الأساس يستطيع تحمل طابقين. سوف يشعر ذلك الشخص بالمتعة عندما يتم بناء الجدران ويشرع بتجهيز البيت للسكن، أما ما يخص بناء أساسات المنزل فلا يتمخض عنها أي متعة. بعد إكمال بناء الطابق الأول وتجهيزه يبدأ ببناء الطابق الثاني. إن الشخص عندها سوف يشعر بسعادة مضاعفة: لأن أحلامه ورغباته قد تحققت. وفي سعيه وراء السعادة الإنسانية شرع في بناء الطابق الثالث ثم الرابع. فجأة يأتي موظف البلدية ويصدر بحقه مخالفة بناء «قائلاً ليس من حقك أن تبني طابقاً ثالثاً أو رابعاً»! ينزعج الشخص كثيراً ويصيبه الحزن والغم، دون أن يفهم أنه ببناء الطابق الثالث والرابع بشكل مخالف يجعل منزله الذي شيده قبراً له.

كيف يبدو ذلك في واقع الأمر. على سبيل المثال شخص جعل هدفه في الحياة تأمين الاستقرار وتحقيق الرفاه المادي ونجح في ذلك، حالفه الحظ والنجاح وانهمرت عليه الأموال. هذا شيء طبيعي، لأنَّ قسماً كبيراً من طاقاته كرسها لتحقيق خططه وأهدافه.

إن العمليات التي تحدث داخل وعينا بحد ذاتها، لا تؤثر في العالم المحيط بنا. مع أنه في وعينا نكون إلى أبعد الحدود خاضعين إلى احتياجاتنا المادية، ونرى عن طريق تحقيقها كل نفع وإيجابية. لكن الأمر يكون مغايراً بالنسبة لروحنا المرتبطة باللاوعي وبالعواطف والأحاسيس. إن الوسط المحيط هناك عبارة عن وحدة لا انفصال في عراها، حيث الهدف والمغزى عبارة عن انعكاس لصلتنا مع الخالق. وأي هدف نسعى إليه عبر ذلك مصيره الفشل.

وهكذا إن الشخص الذي حالفه النجاح وحاز على الاستقرار وامتلك الأموال، يبدأ بالجنوح إما إلى القيم المادية أو الروحية. هذا التوجه داخل الوعي

ينتقل بالتدريج إلى اللاوعي، فجأة تحصل أمور مبهمة لا تفسير لها في حياته. قد يُغضب والدته لأتفه الأسباب. وتصبح أمه التي أحبّته على الدوام واعتنت به حانقة عليه بشكل مفاجئ. إنه يصبح في حالة لا يفقه ماذا يدور حوله، إنه في ضياع تام. يتمنى لو أنه غير موجود في هذا العالم. بعد ذلك تبدأ أموره بالانهيار تباعاً، تلازمه التعاسة ولا تفارقه الأمراض. ينظر إليه أصدقاؤه بحسرة وأسف: «إن سبب كل ذلك هو غضب والدتك عليك!».

لا يبق أمام هذا الشخص المحطم أي مخرج إلا أن يختار لنفسه أهدافاً جديدة. لذلك يبدأ بزيارة أماكن العبادة، وشيئاً فشيئاً يدخل الإيمان بالله إلى قلبه. يظهر لديه إحساس يدفعه لطلب المغفرة من والدته، يذهب إليها مخاطباً إياها «إن غضبك علي كاد يقتلني». ترد الأم بتعجب. «أي غضب؟ إني لا أفهم شيئاً، وأنا لست غضبانة عليك على الإطلاق، بل أنت ولدي ولقد أحببتك على الدوام وأنا على استعداد لتقديم المساعدة لك متى شئت»! يخرج الشخص من عند والدته بحالة يأس، لكنه هذه المرة يغادرها سعيداً يدرك بالغريزة أن خلف ذلك يكمن مغزى عميق.

فقط بإمكان العلي القدير أن يدرك الارتباطات كافة، أما الشخص العادي بإمكانه فقط أن يخمن. إذا كانت الشعرة لا تسقط من رأس الرجل دون إرادة العلي الخالق هذا يعني أن أي أمر أو حادث يحدث بالنتيجة تكون محصلته هو التقرب من الله وتقوية التوحد معه.

لو أن هذا الغضب أو اللعنة لم تكن، ماذا كان سيحصل؟ للإجابة عن ذلك سوف أروي لكم قصة قصيرة، عندها سوف تفهمون. أعرف أحد الرجال، لم يكن شخصاً سيئاً بشكل عام. منذ عدة سنوات تعرض لأزمات مالية، دعوته ذات مرة ليأتي لزيارتي في منزلي الريفي كي أكلفه بإنجاز بعض الأعمال لقاء أجر مالي قد يساعده في حياته. تبين لي فيما بعد، أنه لا يحب العمل كثيراً في الوقت ذاته كان عليه أن يساعد ولده الذي يدرس في أحد المعاهد. عندها اقترحت عليه التالي: أن يختار فريق عمل يتألف من عدة أشخاص، يقومون بإصلاح وتأهيل الشقق السكنية سألته:

- «هل تستطيع أن تشكل فريق عمل؟ وهل بإمكانك أن تنظمه بشكل صحيح؟ عندها سوف تستطيع أن تمد يد المساعدة إلى ابنك ويصبح بإمكانك أن تشتري له شقة». نظر لاقتراحي بلا مبالاة على الرغم من حاجته للمال.

كان مع ذلك الشخص صديق مشترك. عنده في البيت عدة لفّات من الأسلاك الكهربائية، لقد قرر أن يهدي قسماً منها لصديقنا ذاك. الذي ينقصه المال. لكنه أتى وهدر اثنتين من تلك اللفّات.

أما اللفّة الثالثة دون إذن، قام بتحميلها في السيارة وأخذها إلى منزله، عادة في مثل هذه الحالات يقوم الشخص بالسؤال، كم مسموح له أن يأخذ، وعندما يعطونه لا تكون الكمية أكثر من النصف. عند صاحبنا كانت الروادع الأخلاقية معطلة ولم تقم بدورها: لقد طفت الأطماع المادية على الصفات الأخلاقية.

كان الابن مشابهاً لأبيه، إذ ورث عنه صفة الأخذ أكثر من العطاء، منذ مدة راجعني الأب طارحاً سؤالاً. «هل أنا لا أصلي بالشكل الصحيح»؟ سأل هو. - مع العلم أنني أقرأ كتبك مع ذلك أشعر أن أحوالي تسير من سيئ إلى أسوأ». سألت:

- ما هي مشكلتك؟

أجاب:

- السرطان، لقد وجدوا عدداً من البؤر السرطانية في الأمعاء.

لقد رأيت على رأسه بقعة عاتمة؛ إنها تشير إلى ولده الذي فشل في تربيته بشكل صحيح.

إنها عاقبة من نقوم بإفسادهم. إن الخالق يكافئنا على حسن تربية أطفالنا، ويعاقبنا إذا فشلنا في ذلك. إن الرغبة في عبادة المادة والرفاهية. لا تصب في معظم الأحيان في صالح الآخرين. إن تصرف ذلك الشخص هو خيانة لولده. في العقل الباطني للابن أصبح التركيز على الرفاهية والمنفعة المادية، أقوى من الحب. حين تمنى بالفشل والإفلاس عندها لن يكون عند الابن توازن في اللاوعي، بالتالي يكون الحب في روحه ضعيفاً، وعندها تنهار الحالة المادية، لا يبق لديه أي شيء يعتمد عليه. وتكون ردة فعل الابن في المستقبل عن طريق برنامج التدمير الذاتي. إنها تعود إلى الخلف إلى الأب، عندها يتجه مستوى الطاقة لديه إلى الانخفاض بشكل

كبير، وعندما يصل مستواها إلى ما تحت النقطة الحرجة، تنتشر الأورام السرطانية.

لكي تتخلص من مشكلاته، عليك أن تسعى لتغير طباعه وسلوكه وكذلك عقيدته وعواطفه، عليه أن يبدأ ذلك من تلقاء نفسه «عندما يبدأ بالتغيير، عندها تبدأ الأورام السرطانية بالتوقف - إني أعتقد - أن مثل تلك الظواهر شاهدتها بكثرة. لكن لكي يتم التغيير، يجب ألا يكون هناك أي تهجم لا على المستقبل ولا على الحاضر ولا على الماضي. طالما وجدت العدوانية فإن التغيير لا يمكن أن يحدث. وفي اعتقادي الحل الأفضل لعلاج حالته إجراء عمل جراحي، لكن إن لم يحدث تغيير، فإن مشكلات جديدة سوف تحدث، هذا يعني أنه لا غنى عن التغيير على الإطلاق».

«دعنا نبدأ بالترتيب - قلت له - قبل الصلاة يجب ترك كل شيء جانباً والتركيز على التوبة، اعتبر نفسك أنك تتوب في هذه اللحظة». دعه يشعر بذلك، لماذا نتوب؟ سألته. إننا نتوب لكي لا نكرر ذنوبنا التي اقترفناها في الماضي. وحتى لا نكرر الذنوب، علينا أن نتغير؛ ولكي نتغير، علينا أن نركز على المحبة التي تربطنا مع الخالق. إن جوهر التوبة ومعناها: الألم ناتج عن آثامنا، والحب الذي يمكننا من تجاوزه. أما ما لديك فهو شيء غير ذلك. عوضاً عن المحبة يوجد لديك ندم وأسف كبيرين بسبب الماضي، وكره شديد للنفس. إن ذلك هو قتل للحب! ما هو الشعور بالندم تجاه الماضي؟ إنه ناتج عن عدم احترام الإرادة الإلهية، للخالق. بالمناسبة إن الناس الذين يتمسكون بالمنحى المادي الناجح لمصيرهم وحياتهم، يتصفون بكره لا إرادي لأي تغيير يحدث. لذلك عليك أن تتذكر: عندما تقدم على التوبة، هذا يعني أنك أصبحت شخصاً آخر، لا معنى لتوبتك إن لم تكره نفسك أو أخطاءك التي اقترفتها في الماضي.

هذا ما يخص التوبة. الآن ما يخص الزهد: هنا يتوجب علينا طرح السؤال التالي: لماذا الإيمان بالله لا يتم من دون تضحية؟ حتى العقائد والديانات الوثنية لا تخلو من التضحية. التضحية: هي رمز لعزل النفس وإبعادها عن السعادة البشرية،

لذلك كانوا دائماً يضحون بالغالي والنفيس. خذ ما هو غالي وعزيز على نفسك، وقدمه هدية للآخر، عليك أن تشعر بالألم بسبب حرمان نفسك من شيء محبب وعزيز عليها، سوف نتخلى عنه دون رجعة. إن جوهر الأمر ليس في الكمية. أيضاً إن جلوسك على كرسي قاس يشعرك بالألم ويحرمك من الراحة، الوحدة واعتزال الناس كل ذلك قد يقربك من الله ويساعدك في أن تتغير. عليك أن تفهم أمراً بسيطاً: عندما تتلقى روحك طاقة ما ناتجة عن التقرب من الله. فإنَّ هذه الطاقة قد تنتقل إلى أولادك وأحفادك. فإذا كنت تحمل لعنة أو غضب ما، فإن ذلك قد يوقفها إن لم يحصل التطهير عن طريق الناس، عندها قد تظهر الأمراض، وإذا ظهر المرض في المراحل المتأخرة، ذلك عندما تتلقى الطاقة قوة إضافية، حينها فإن المرض يصبح غير قابل للشفاء وينتهي الحال بالموت. لقد لاحظت أمر ذو أهمية خاصة، هناك أنواع من الذنوب التي لا يمحى أثرها حتى بعد الموت».

لقد ظهرت معالم الدهشة على وجه صاحبي وتابعت حديثي قائلاً: «إن الذنوب تمنع تقربك من الله، وتقلل الحب في نفسك. عادة بعد الموت وبعد فناء الجسد الذي يجعلنا نرتكب الذنوب، تتطهر الروح من الخطايا، لكن إذا كانت الخطايا والذنوب المرتكبة فاحشة وانغرزت عميقاً، فإن ذلك يؤدي إلى دمار جميع الأقارب، وإذا كانت على درجة أكبر من الكبر والفحش، فإنها قد تسبب في دمار المدينة أو دمار شعب أو حتى فناء البشرية جمعاء، تخيلوا الشجرة. فإذا اعتبرنا أن البشرية هي ساقها والأغصان الكبيرة هي الشعوب والدول، والفروع الأصغر تمثل المدن، والأصغر تمثل الأسر والعشائر، والأوراق تمثل الأشخاص. فمع قدوم الخريف يتجمع السم في الأوراق، حيث تبدأ الأوراق بالتساقط على الأرض لتتحلل وتتفسخ. أما إذا بقي السم في الأغصان فإن الشجرة قد تموت حتى إلى ما تحت الجذور، فإذا كان باستطاعة أحد المؤمنين أن ينقذ مدينة من الهلاك، فإنه بإمكان أحد المذنبين أن يتسبب بفناء مدينة بأكملها. مع العلم أن أحداً لا يلاحظ ارتكابه للذنوب، ذلك لأنه قد نقترف الذنوب ليس بجسدنا بل بروحنا. كلما سعى الإنسان لعبادة المتع المادية وسعى إلى السعادة السطحية المزيفة ساهم في قتل محبة الله داخل نفسه. لذلك إن المجتمع الذي يعبد أهواءه وشهواته ومتعه المادية، يسير في

طريق الهلاك، وليس مقصوداً هنا هلاك نفر من الأشخاص فقط، بل قد يتعدى ذلك إلى هلاك المجتمع بأكمله.

هنا يمكن ذكر ملاحظة مهمة: إن تطور البشرية يكون على شكل منحنى جيبي: تطور ثم تحول إلى انحطاط، ربح تحول إلى خسارة، أما الجانب الإلهي فإنه يتطور باتجاه الزيادة بشكل دائم. أما إذا حاول الإنسان كبح قوة الحب، فإن هذه العملية تتوقف نهائياً أيضاً. يعيش الإنسان ومع اقترافه للذنوب والخطايا فإنه بذلك يراكم الطاقة التي تعزله عن الله. إن الموت يمسح الذنوب عادة، أما إذا ترسخت تلك الذنوب في الروح، وعند استمرارها تتراكم في المجتمع، ويكون مصير هذا المجتمع الفناء، لكي يتم إيقاف ارتكاب الذنوب. وفق هذا المخطط تفنى حضارات وشعوب بأكملها، وعن طريق التقرب من الله، برزت شعوب وحضارات جديدة».

إن السعادة البشرية: عبارة عن تلبية للرغبات والشهوات. توجد رغبات مرتبطة بالحاضر والتي تمخضت عن الماضي، وتوجد رغبات تتعلق بالمستقبل. الرغبات: هي عبارة عن طاقة. ويوجد مصدران للطاقة يتحرك إحداهما باتجاه الآخر: البداية الذكرية والأنثوية، الماضي والمستقبل، والحسد، والتكبر.

يجب بالتتابع تجريد شكل الرغبات تلك من ارتباطاتها عندها تصبح قريباً من الله.

إن هذه الصيغة ليست عصية على الفهم، كان لدي في الماضي عبادة غير رشيدة إنها عبادة الحب البشري والجمال. كنت أشعر أثناء طفولتي أني كنت أمتلك إمكانية كبيرة، فقد حققت جميع رغباتي. كنت أشعر أنني بحاجة للسعي لعبادة شيء آخر. لقد علمني المجتمع أن أعبد الشخص، وأن محبة الإنسان هي قمة السعادة. الجمال الإنساني هو ما يجب السعي إليه. لقد آمنت في ذلك، وإن طاقتي لسنوات عدة ذهبت بهذا الاتجاه.

وهكذا كنت دائماً أعشق الجمال والحب الإنساني. وعلى الأرجح أن مصيري وفقني في ترك الفن والرسم إلى الطب، لكي أرى بأم العين آلاف وآلاف المرات، إلى ماذا تقود مثل تلك العبادة. لكن بعدما قرأت الكتاب المقدس، فهمت بالغريزة، أنه يوجد ذات عليا إلهية، وأن الله لا يمكن الإحاطة به من حيث الشكل

ولا يمكن رسمه أو تجسيده. عندما كان الإنسان الوثني ينحت لنفسه صنم يكون مسؤولاً عن منطقة محددة من الأرض، مع غرابة ذلك الأمر لا يعدو كونه منطقي. إن الرب المحلي الذي يكون مسؤولاً عن جزء من غابة أو عن بحيرة، يظل محدد من حيث الزمان والمكان.

لكن عندما نفهم أنه يوجد خالق واحد لهذا الكون وهو خارج حدود تخلينا، من حيث الزمان والمكان، وأن أي تجسيد في عيوننا يحوله إلى إله مثل آلهة الوثنية، إن ذلك تعدي على مبدأ وحدانية الله، وعودة إلى الوثنية. إذا حاولنا تجسيد الخالق مادياً، هذا يعني أنه يتوجب علينا وصفه وإظهار هل هو ذكر أو أنثى، هذا يعني تجسيده من حيث الزمان والمكان... وهذا انتقاص لإحدى صفات الله وهي صفة الكمال. إن ذلك يعني عودة إلى الوثنية. لذلك لا يمكن النظر إلى الخالق أو رؤيته. إن وعينا المادي ونظرنا لا يمكنه تحمل ذلك. لهذا فإن نور الله أعمى فلذلك لم يستطع النبي موسى رؤيته عندما أراد ذلك.

إن الله ليس فقط خارج إطار الزمان والمكان، إنه خالق هذا الكون، ويتواجد داخله على شكل طيف روحي وليس على شكل مادي أو جسدي ملموس. إن الإحساس بوحدانية الخالق المطلق ممكنة فقط عند النظر إلى خارج حدود الزمان والمكان. الله هو خالق الزمن، الذي ينقسم إلى تيارين. ونحن نتفاعل معهما ونشعر بتعاكسهما، كتعاكس القطرة المذكرة والمؤنثة، ويجب ألا ننسى ازدواجيتهما، فإذا حجب الجزء الكل، عندها تنهار الوحدانية الشاملة.

لقد فكرت فيما يحدث للحضارة الغربية. إن أزمتها متعلقة دون شك، بأزمة الكنيسة الكاثوليكية، وأزمة الأخيرة تتعلق بعبادة مريم العذراء. إن أتباع المسيح لم يستطيعوا تحمل وفهم ما قاله. وهكذا فالاندفاعة الأولى القوية أخذت تضمحل وتضعف إلى أن انقسمت في النهاية إلى تيارين. إن عبادة الفطرة الأنثوية في الكاثوليكية، لا سيما امرأة أرضية حقيقية ومحسوسة، عاجلاً أو آجلاً سوف يؤدي هذا إلى تقوية النزعة الوثنية، فلقد أضحت عبادة العجل الذهبي القديمة منتشرة جداً في أرجاء الحضارة الغربية، ومن المنطقي أن يكون ذلك متعلقاً بالأزمة الكاثوليكية.

«وهكذا - وحسب اعتقادي - يوجد تيارين من الزمن، ويوجد نوعين من الرغبات، ويجب فصل الارتباط بينهما، عندها سوف يكون الحب والتطور مستقراً».

استلمت رسالة مثيرة للاهتمام منذ مدة. وكانت مرسلة من امرأة شابة وقد كتبت. «أثناء تلك المدة كان بإمكاني تكوين أسرة، وإنجاب الأطفال وأن أكون سعيدة - تكتب في رسالتها - لكني تابعت إذلال نفسي أثناء تلك السنوات، ولدي الآن العديد من الأمراض النسائية، ليس لدي أسرة، منذ مدة قصيرة خرجت من مستشفى الأمراض النفسية».

لقد رأت في طريقتي فقط إشارات المنع، ونحن نحتاج تلك الإشارات لإيجاد الطريق الصحيح وليس للموت بسبب السرعة العالية.

أنا لم أدعُ يوماً لكي تذل المرأة نفسها، بل كل ما أردته هو إذلال النزوات الإنسانية المتوضعة في نفوس الرجال والنساء. عندما نسعى لإذلال تلك النزوات ينفتح الطريق أمامنا للتقرب من الله، إن تقبل الألم يجب أن يدفعنا لتقوية الحب وليس لإطفائه. أنا أكرر دائماً أمام مرضاي: إذا فقدتم الأحاسيس الإلهية ولم تروا قدرة الله فيما يحدث، فسوف تقدمون على تدمير أحد ما في لحظة ما من لحظات الألم أو الغضب. أما إذا ابتعدتم عن كره الآخرين، فسوف تقتل نفسك، أما في لحظة الألم النفسي، فمن الأفضل الابتعاد عمّا هو بشري والاقتراب مما هو رباني، عندها لا حاجة لقتل أو إيذاء أي كان. لذلك فإن مراحل فهم ما هو رباني بسيطة بما فيه الكفاية؛ عندما ينعدم إيماننا بالله، ينعدم إيماننا بالأناس الآخرين، ونبدأ بالخوف منهم وكرههم، بعدها نصل إلى فقد الثقة بأنفسنا، تصل الحالة للخوف وكره النفس بعد ذلك نشعر بالمرض، أو نموت، ثم ما نلبث تدريجياً أن نعود للإيمان بالله.

ما هي الكآبة؟ إنها عدم الثقة بالنفس، إنها دعوة للجمود والثبات، إنها كبح وتقييد لطاقتنا. إن إذلال سعادتنا البشرية ضرورية لكي ننتقل إلى السعادة الربانية. إن تلك المرأة اعتبرت أن فكرة الإذلال هي الأداة الأهم ناسية أن فكرة الإذلال يجب أن تدفعنا إلى المحبة. إن المرض، الكره والانزعاج هو عبارة عن إذلال قسري. أما الابتعاد عن الجنس أو الصوم أو الابتعاد عن الملذات هي ممارسات إرادية

من الواجب أن تقودنا إلى المحبة وإلى إطلاق طاقة وسعادة. إن تلك المرأة اقترفت خطأ بسبب قلة وعيها الذي تم التحدث عنه في الكتابات المقدسة. لقد طلب المسيح من الناس أثناء الصيام ألا ينافقوا، وألا يتصنعوا الحزن علامة الألم والعذاب والاعتكاف. إن الناس أثناء العزلة قد يرون العذاب، لكن في الحقيقة، إذا لم ير الناس الله أثناء ذلك، حتى ولو كانت عزلتهم طوعية، فلن يحصلوا من جراء ذلك سوى الحزن والكآبة والألم.

لم يتعلم الناس التفكير السليم حتى هذه اللحظة، ويصعب عليهم أن يقتنعوا أن تقليص وتحديد الرغبات يجب أن يترافق مع السعادة والحب.

الانسجام: إنه توحد وصراع ضد التناقضات، وعند تجزئة تلك التناقضات، سوف يكون قبحاً وبطئاً في النمو. فإن الإنسان المتخلف والضعيف لا ينمو باستقامة، ويكون سريع التململ متقلب يجنح إلى هذا الاتجاه أو ذاك. أما الإنسان القوي يسير بشكل مستقيم، يوجد داخله السعادة والألم. إن جميع العظماء تمكنوا من فصل ذلك.

لنتذكر بوذا: لقد ربي بوذا وسط أهله في سعادة مطلقة، حيث كان يحقق كل رغباته، كانت حياته نعيم ورفاه، كان يشعر بالعواطف الإيجابية فقط، لقد كانت تخفى عن نظره جميع حالات المرض أو الموت أو الشيخوخة، لكي يستمتع بالحياة الهانئة والمرفهة. لكن عندما يتم تحقيق جميع الرغبات، تبدأ بالموت، وطاقة الحياة تصبح على طريق الأفول، وأقل هزة تتحول إلى شدة نفسية وكابوس فظيع.

عندما رأى بوذا للمرة الأولى الشخص المريض الطاعن في السن، كان ذلك بالنسبة له عبارة عن زلازل من المستحيل الصمود أمامها. شعر من أعماقه أن حظوظه في الحياة انعدمت. لذلك اتجه إلى الطريق الآخر تماماً، إلى حياة التنسك الكاملة. لكنه بعد أن عذب نفسه عن طريق حرمانها من المتع كافة، لدرجة أنه شعر بأن نهايته قد اقتربت، أدرك أن بإمكانه أن يقبض على الشيئين المتناقضين معاً. إن الاعتكاف واعتزال المجتمع ضرورية من أجل زيادة الطاقة، وليس لتدميرها، هذا يعني أنه لا يجوز أن نقتل الرغبات داخل أنفسنا، ومن هنا نشأت فكرة منتصف الطريق.

لقد اعتبرت البوذية في القرون الأولى لانتشارها في الهند بأنها هرطقة، لأنها ناقضت النزعة الدينية التي كانت سائدة في الهند آنذاك، حيث كانت من حيث الجوهر تعتمد على الانعزال عن الوسط المحيط، وكانت النزعة الروحانية تسيطر دوماً على المادية. إن العالم المادي مع ما يضم من رغبات وسعادة بشرية، اعتبر في الهندوسية عبارة عن أوهام مطلقة (مايا)، أما الحقيقة المطلقة فهي الروح الكونية. أما بوذا فقد اعترف بواقعية الرغبات وبالسعادة البشرية، لكنه أضاف، أنها تشكل مصدراً للعذاب، واعتبر أن السعادة الحقيقية هي باجتياز الرابط بينها.

إن الزهد والاعتكاف التام يتحول إلى العبادة التامة. الاعتكاف مع كبح النفس، عاجلاً أم آجلاً، سوف ينتقل إلى النقيض وسوف يتوازن معه. يمكن أن يصبح الإنسان غنياً، عندما يكون داخله غير متعلق بالمال، والإحساس هو الذي لا يرتبط داخله بالرغبات. إن المتع الجنسية يمكن أن يحصل عليها من دون عواقب وخيمة ذلك الشخص الذي كان ناسكاً في الحياة الغابرة.

في القدم، عاش الإنسان عدة أنواع من الحياة في الشرق، متجاهلاً القيم المادية ومتوجهاً فقط باتجاه القيم الروحية، لكنه عندما انتقل للعيش في الغرب حصل العكس تماماً، وهذا التناقض حصل تدريجياً شيئاً فشيئاً أثناء مدة زمنية طويلة. أما الآن فإن الشرق نفسه أصبح غرباً، والقطبية الثنائية للعالم قد انهارت. لذلك من جهة أولى أن يسير الغرب باتجاه الانحطاط، وتنهض داخله النزعة الشرقية من جهة ثانية.

يوجد المفهوم التالي: إن قوة العاطفة التي هي المصدر الأساسي لطاقتنا هي بالأساس محصلة جميع رغباتنا، ويجب أن تقودنا إلى الله.

عندما تأتي روح الطفل إلى المرأة قبل عدة سنوات من الحمل، فإن سلوك المرأة وتصرفها بذلك الوقت بالضبط يحدد طبع ومصير ومستقبل ذلك الطفل، فإذا كانت المرأة تمارس الجنس مع رجل واحد، فإن آلية الحماية تبدأ بالعمل، عندها تزداد المتعة الروحية، بينما المتعة الجنسية تقل.

وهكذا إذا كان لدى المرأة شريك واحد ودائم، وعند ازدياد ارتباطها برغباتها. قد تضعف لديها طاقة الحب، في الوقت نفسه تضعف الرغبة الجنسية.

عندها يمكنها أن تصوم، تتريث، أو تحول رغباتها إلى أحاسيس أو علاقة صداقة، أما إذا كانت المرأة تمارس الجنس مع عدة رجال، فإن عقلها الباطني يعطي إشارة قوية لتزداد شغفاً بالشهوة الجنسية. عندها يظهر لدى أطفالها الخطيئة الأولى لحواء والتي تتجلى بقطع الصلة مع الله لمدة طويلة. ماذا يحصل عند ذلك! بما أن الطاقة العليا تصبح قليلة، عند ذلك يصعب التكهن بحصول حياة أسرية طبيعية وسعيدة.

السلم

في إحدى المرات سألني صديقي السؤال التالي: لماذا نسبة الانتحار عالية وسط أطباء الأسنان وأطباء العناية. عندها أجبته كما يلي:

- إن الفم هو رمز للرغبات، والحياة بطبيعتها مرتبطة بالرغبات. كلما أردت أن تساعد المريض أكثر، تتحمل أكثر أقذار المرض على عاتقك. بعد ذلك تبدأ الأمراض بالظهور، حيث يكثر الطلاق ويمرض الأطفال.

- هكذا يحصل إذاً! هل الرأفة بالمريض وتقديم المساعدة له، يمكن أن تؤدي للمرض؟

- نعم، وفي معظم الأحيان هذا ما يحصل. أعلمني بعض الأشخاص بحصول ذلك.

- وهل الشعور بالشفقة ومساعدة الآخرين يكون ضاراً؟

- للملحد ضار. أما إذا كنت مؤمناً وأشفقت على الآخرين، فأنت لن تنسى أن المرض من عند الله، وأن الشفقة والرحمة الإنسانية وتقديم المساعدة للآخرين تجعلك تشعر بهدوء وراحة داخلية لا مثيل لها، معتمداً بذلك على الإرادة الإلهية. إن الشخص الملحد والشفوق: هو بالنتيجة إنسان مريض، بل عاجلاً أو آجلاً ميت.

- يوجد الكثير من الأشخاص غير المؤمنين لكنهم أناس جيدون. قال محدثي معترضاً:

- أنت ترى الأمر حسب الحالة، أما أنا أستطيع أن أدقق بعمق أكثر، وأستطلع المستويات الرفيعة، وأرى الأشياء في مدارها. أنا أستطيع أن أثبت أن الشخص الملحد حتى ولو كان جيداً وحساساً هو شخص مريض. وينظر بلا مبالاة إلى آلام الآخرين وتبقى عاطفة الحب لديه ضعيفة. أقول بكل بساطة: إن الإنسان الملحد والجيد والطيب والمعافى لا وجود له على الإطلاق. وإن الحب لدى الإنسان غير المؤمن مرتبط فقط برباط المصلحة، لذلك ليس لديه رادع عن إلحاق الأذى بنفسه والآخرين.

لاحظت أن محدثي غير مقتنع بكلامي، لذلك قررت إقناعه بطريقة مغايرة. قلت له:

- قل لي هل سمعت أن أحد ما من عظام القادة كان جباناً أو سافلاً؟

أجاب مبتسماً بعد أن أشار بيده بالنفي.

- إن ذلك مستحيل الحدوث، لأن الناس لن يسيروا خلفه. ولن يكون قائداً عظيماً إذا كان ضعيف الإرادة وسيئاً.

- هذا، رائع - أجبته - أنا موافق معك تماماً. وهل يمكن للقائد العظيم أن يحقّر ويظلم جنوده، أو ينظر إليهم بازدراء؟

من جديد يرد مبتسماً بالنفي:

- هذا أيضاً لا يمكن أن يحدث، إن القائد الذي لا يحترمه جنوده من المستحيل أن يتبعوه وبالتالي لا يمكنه أن يربح المعركة.

- هذا صحيح - قلت مبتسماً. لقد كان جيش الاسكندر المقدوني لا يقهر، وكان الاسكندر يعرف تماماً كل جندي في ذلك الجيش الذي يبلغ تعداده ستة عشر ألفاً بالاسم والشكل.

- لكن الاسكندر المقدوني كان وثنياً - قال محدثي.

- نعم لقد كان وثنياً لكنه كان يبحث عن الإله الواحد، أجبت بكل جدية، لقد وقع في عملية تطور، أما لو أنه كان موحداً ثم ارتد ليصبح وثنياً أو ملحداً، لاختلفت المسألة. عندما لا يتمكن الشخص من فهم وحدانية الله هذا أمر، أما عندما ينفي وجوده فذلك أمر آخر.

- لماذا ذهبت إلى الماضي البعيد في الحديث عن القادة العظام؟

- حسن، سمي لي أفضل القادة الموهوبين والمشهورين من الحقبة السوفيتية.

بعد أن فكر لبرهة أجاب قائلاً:

- المارشال جوكوف.

- هل بإمكاننا أن نسميه عبقرياً؟

- بلا شك - أجاب محدثي.

قلت له سوف لن أتطرق إلى عملياته العسكرية، لكن أود أن تشرح لي الحقيقة التالية: بعد الحرب العالمية الثانية تم صناعة القنبلة الذرية السوفيتية وتم تفجيرها بجوار مدينة توتسك في حقل للتجارب، لقد حذر العلماء المسؤولين، بأن الانفجار ومخلفاته سوف يشكلان خطراً كبيراً على حياة البشر، ولقد وضعت مهمة أمام المسؤولين وهي معرفة آثار الانفجار الذري على صحة الجنود.

- لاحظ، أن ذلك الوقت لم يكن في زمن الحرب، حيث تكون حياة الناس أقل قيمة بكثير: وهكذا فإن جوكوف أرسل الجنود إلى هناك لكي يعبروا المناطق الملوثة، ولكي تُدرس تأثير الإشعاعات عليهم. وكم من الجنود تم إرسالهم إلى هناك؟

بدأ محدثي بالتفكير قبل أن يجيب:

- خمسين شخصاً؟ هل سرية من مئة جندي؟

- قلت له: أكثر. لا أعرف بالضبط، لكنه أرسل أربع فرق وتعدادها على الأرجح أربعون ألفاً.

- سأل رفيقي بتعجب: لماذا يتم قتل مثل هذا الكم الكبير من البشر؟

- لكي يحصلوا على صورة حقيقية عما يحدث، وذلك للحصول على معطيات إحصائية دقيقة.

تابعت قائلاً:

- هكذا تصرف أفضل القادة العظام: أما القادة الآخرون فلقد تسببوا بخسائر بشرية كبيرة أثناء الحرب العالمية الثانية، بحيث كانت نسبة الخسائر: كل قتيل ألماني يقابله أربعة جنود من الجيش السوفيتي.

من أهم صفات القيادة السوفيتية، سواء كانت العسكرية أو الاقتصادية أو الحزبية هي القسوة والغلاظة، إنه السلوك الذي يميز الشخص الذي يكون قلبه خالياً من الإيمان.

- قال صاحبي بحدة: إن النظام حتم عليهم أن يتصرفوا هكذا.

- هذا صحيح إن ذلك النظام كان ضد الأديان، وأدخل فكرة الإلحاد، وبالتالي كان ظالماً في علاقته مع الناس.

- قال محدثي: جيد، قل لي من فضلك، لماذا عارضت الشيوعية فكرة الإيمان بالله، وعارضت الدين. ولو فعلت العكس لكان ذلك النظام أصبح من المستحيل قهره أليس كذلك؟

- ما رأيك، لماذا إذاً كتب أحد آباء الشيوعية ومنظريها الأسطر التالية:

«عندما يدور الحديث عن مصلحة الطبقة العاملة، فإن أي حديث عن الأخلاق يجب ألا يكون»؟

نظر محدثي باتجاهي بدهشة قائلاً:

- هذا لا يمكن شرحه.

- على العكس، ممكن بكل بساطة، يكفي أن تحدد من أي جهة تنظر، إن مفهوم الأخلاق يأتينا عن طريق الدين الذي يجعلنا نتغلب على الأنانية، ولا نخضع للرغبات والشهوات أو الجري وراء الرفاهية المادية، إن الدين يجعلنا نتوحد مع الأناس الآخرين. يمكن أن تتواجد لدى الوثني مثل هذه الأحاسيس، لكنها قد تحدث مصادفة، أما بالنسبة للمتدينين فإن ذلك يعد قانوناً ملزماً.

لماذا تنازل إذاً إنجلز عن الأخلاق؟ إنه يقصد من جراء ذلك رفض الدين. عندها ينشأ السؤال: ما سبب ذلك الرفض؟ لماذا انتفت الحاجة للدين؟ لأن الشيوعية بحد ذاتها اعتبرت ديانة بديلة. وبصيغة أدق، كانت المحاولة الأولى لتوحيد العلم مع الدين.

إن شخصاً يشفق على شخص آخر، حتى ولو كان مؤمناً، فإنه دائماً يتلقى القليل من الدنس ثم يتطهر وفق مبدأ اللقاح. ومن السهل عليك التخلص من ذنوب الآخرين، لكن إذا أصبح العلاج مهنة وعملاً، وكان الإيمان بالله ضعيفاً، عندها من الممكن أن تصاب بالعديد من الأزمات التي تتحول بدورها إلى أمراض فعلية.

الجميع يؤكد أن المعالج بالطاقة يمكنه أن يؤثر سلباً في المريض، ولا سيما إذا كان غير متدين، أما ما يخص لماذا المعالج بالطاقة يمكنه أن ينقل الدنس إليك، لا شك في ذلك. إن المعالجين يتحملون على عاتقهم الكثير من المشكلات، ثم ما يلبثون أن يمرضوا، أو يصابوا بالجنون أو يموتوا، لا سيما إذا كانت علاقاتهم مع مرضى السرطانات، لدى أولئك تسودّ نفوسهم، يموت أطفالهم ...إلخ.

إننا جميعاً في المستويات الرفيعة نتشابه، لذلك إن أحاسيسنا وعواطفنا يمكنها أن تتمازج، أما الأرواح فإنها تتلاصق مع بعضها البعض. في بريطانيا يوجد تقليد يتيح للأطباء النفسانيين، والذين أمضوا عامين في العمل، أن يأخذوا إجازة مأجورة طويلة، وذلك لأن روحه وأحاسيسه تكون قد تلوثت وتحتاج إلى تطهير. وقد يصبح الأطباء النفسانيون مشابهين لمرضاهم، وكأنه لا وجود لمثل هذه المشكلة.

تابع صديقي قائلاً:

- ما يحدث مع الأطباء أصبح مفهوماً، وأنا طبيب، حدثني عن العلاج.

قلت:

- تصور من فضلك هذا المشهد. يأتي رجل مريض إلى رجل الدين الذي يصلي لأجله ويدعو له بالشفاء، بعد مدة يشفى المريض. ماذا يحصل أثناء ذلك؟ إن المرض مرتبط بعقلنا الباطن وبأحاسيسنا في اللاوعي، وببساطة يمكن القول: إن الذنوب تتراكم داخل أحاسيسنا، إنها تدخل عميقاً في اللاوعي وتبقى هناك، ولعلاج ذلك يتجه رجل الدين إلى الحب وإلى الله، بذلك يطهر الأحاسيس على عمق كبير، فإذا كان لدى المريض روح وأحاسيس قابلة للاستقامة، عندها سوف يشفى، لكن لكي يتحقق ذلك يجب أن يتوحد مع رجل الدين، وعليه أن يفتح له روحه وقلبه، وعليه أن يؤمن بالله.

إن أي انفعال، عبارة عن فضاء مضغوط وزمن! هو حالة أو واقع. لذلك عندما نقوم بتغيير انفعالاتنا العميقة جداً، نغير طبعنا وبالتالي مصيرنا.

لنفترض أن مريضاً ذهب إلى معالج يفكر فقط بالمال، وبنفسه أو عشيقته، هل مثل هذا المعالج يمكن أن يساعده؟ هل بإمكانه أن يطهر روحه، من المستبعد حدوث ذلك، كل ما يستطيع فعله هو نقل المرض من عضو في الجسم إلى عضو

آخر، وإلقاء الدنس في روح المريض أو ذريته. ويمكن أن يحصل أمر آخر، أن يأخذ المشكلة على عاتقه. أي يتحمل الطبيب المعالج ذنوب الآخرين، ويصبح المريض طاهراً من الذنوب.

سألت صديقي: هل تعلم ما هو الفسق الأعظم في العالم؟ هو غياب العقاب إن ذلك يحض على ارتكاب مزيد من الذنوب، وإلى الابتعاد عن الخالق وإن كثيراً من الأطباء والمعالجين، إنما يتصرفون بهذا الشكل.

لقد أتت إلى عيادتي امرأة لديها الكثير من المشكلات الجدية جداً، حسب توقعي، فإنها تتصف بعناد شديد، ومن هنا تنشأ الغيرة وسرعة الغضب وينتابها شعور زائد بالخوف على حياة الأقارب، لديها مشكلات صحية ومشكلات على صعيد حياتها الخاصة ...إلخ. ماذا أنصح في مثل هذه الأحوال؟ أولاً: الإحساس بأن محبة الله مصدر متعة كبيرة وتفوق أي متعة ناتجة عن محبة أي إنسان آخر. ثانياً: تقبل المصائب مثل المرض والألم، والخيانة أو القدر والظلم، أو فقدان شخص تحبه، واعتبار تلك المصائب عبارة عن دواء وتطهير للحب الإلهي. والمحافظة على الحب حتى أثناء الإحساس بالظلم أو فقدان الأحبة أو الفراق. إضافة لذلك يجب التعود على الوحدة، والتقليل من تناول الطعام وممارسة الجنس، في حال لم تقم بكبح للرغبات، فإن ذلك سوف يؤذي الروح والجسد، كذلك يجب أن تعطي من تحب أكثر مما تأخذ منه.

الحسد: هو علاقة ترتبط بالرغبات، وإن المتطلبات الاستهلاكية تزيد هذا العلاقة. إن الإنسان يجب أن يكون معطي كالشمس أو كالينبوع وليس كالبركة. يمكن أن تساعد نفسك عن طريق اتباع حمية غذائية والاعتماد على الأطعمة النباتية، أي الامتناع عن تناول الأطعمة التي تزيد من الحسد مثل (الحلويات) التخمة في الطعام، الخبز المخمر، البيرة ...إلخ) الحسد يمكن أن يكون بالسمع والبصر والمفاصل. إن الحسد تتسبب أذى للقلب وللجهاز البولي التناسلي، هذا يعني أن الأغذية النباتية ووصفات الطب الشعبي، التي تداوي الجهاز البولي أو المفاصل أو القلب أو البصر يمكنها أن تساعدك في اجتياز الكثير من المشكلات الصحية.

إن العوائق التي تقف في طريق القيم الإنسانية تظهر فقط عندما يكون هناك عدوانية. عندما تتناول الطعام من دون شهية أو تمارس الجنس من دون رغبة، فإن العوائق أو العلاقات تظهر كما لو كان هناك عدوانية. لقد فكرت في هذا الأمر طويلاً ومليا وتوصلت لحل اللغز: إن العدوانية الداخلية تمنع الحب. وإذا قمت بعمل شيء ما من دون حب عندها تصبح متعلق به، الحب هو طاقة عليا، تنبثق منه جميع الرغبات، هذا يعني إذا قمنا بفعل شيء ما من دون إرادة أو رغبة خاصة منا، نقوم بجلب الأذى لأرواحنا.

إن والد موزارت أجبره أن يصبح موسيقياً لامعاً، لذلك أتته المنية باكراً وهكذا ومع وجود إجهاد كبير، لكن إذا كان لديك حب وميل للطيران، أي توجد طاقة، إن ذلك الإجهاد سوف يمنحك دفعة قوية للتطور، لأن ذلك سوف يتمخض عنه دفعة قوية من الحب، أما إذا كان الإجهاد لمدة طويلة ومن دون عواطف وأحاسيس إيجابية، فإن ذلك يعني قتل للحب داخل الروح. لوقف تلك العملية بعد ذلك الإجهاد، لا بد من حصول المرض أو الموت، لكي يبقى الحب.

تغيير العادات

سافرت لعدة أيام إلى القرم للاستجمام. حمام وبحر وبلياردو. سابقاً عندما كنت أسافر إلى الأصدقاء، كانت متعتنا الأساسية هي الجلوس معاً حول المائدة. كنا نجلس معاً لمدة طويلة قد تستمر من 10 إلى 15 ساعة متواصلة. في أيام الاتحاد السوفيتي كانت الموائد عامرة وغنية، كان الطعام والشراب وتجاذب أطراف الحديث هو التسلية الأساسية بالنسبة لمعظم الناس حينها. بعد ذلك لاحظت أن كل ذلك كان عبارة عن مضيعة للوقت. وقد مللت كل ذلك، لقد فهمت بكل بساطة: لكي تغير ما بنفسك، عليك أن تغير عاداتك.

نحن نفكر بصورة خاطئة ونعيش وفق تقاليد وعادات، وكما إن جسمنا يحتاج إلى العمود الفقري والأضلاع، كذلك فإن وعينا يحتاج إلى المثل الأعلى،

الذي يساعد في التعاطي مع الوسط المحيط. غالباً ما يعبر الشخص عن نواياه العظيمة والسامية، لكنه يفشل في تحقيقها لأنه لا يسعى لتغيير عاداته السيئة.

وهكذا حافظت على ما هو عام، لكني قللت من كمية الطعام والكحول التي أتناولها، وحلّ مكان اللقاءات مع الأصدقاء البلياردو والحمامات. حافظت على التواصل الاجتماعي لكني أضفت الحركة مع الإجهاد الجسمي، لقد أضحت النزهات إلى الجبال أو للبحر مع الإقلال من زمن الجلوس حول المائدة. لقد أصبح المبدأ السائد هو الإقلال من الطعام والإكثار من الحركة. لقد أغنيت إجازتي الاستجمامية بمختلف أشكال الألعاب الترفيهية.

إن الصحة الجيدة هي عادات سليمة أيضاً. لقد غيرت أيضاً طريقة قيادتي للسيارة. سابقاً كنت لا أتورع عن قيادة السيارة حتى ولو كنت في حال إجهاد تام. يمكن تغيير العادات بشكل سريع أو بشكل بطيء. لقد غيرت عاداتي بشكل سريع. أثناء تجوالي في مدينة بيتربورغ في السيارة حين شاهدت الدعاية الطرقية التالية: «السعادة ليست الهدف، بل المنتج الثانوي». من هو الإنسان الحكيم الذي لا يبخل بالماء لكي يعرف الناس هذه الحقيقة البسيطة. وهكذا من يضع نصب عينيه السعي للحصول على المتع سوف يصبح عبداً لها. يمكن أن تحافظ على صحتك فقط عندما تقلل من الجري وراء المتع.

أحد زبائني قص علي قصة غريبة. قائلاً: عندما كان يقود سيارته ليلاً في أحد الطرقات، شعر بالنعاس، وبما أنه كان على عجلة من أمره قرر أنه لن يتوقف وسوف يستمر في قيادة سيارته على الرغم من النعاس الشديد الذي أخذ ينتابه. «تصور هذا المشهد - يتابع قائلاً - رأيت خلفي فجأة نوراً مبهراً. أحسست أن عربة شحن كبيرة أخذت تقترب مني تهدف من تجاوزني أن أفسح لها الطريق. بدأت بتخفيف السرعة وأخذت يمين الطريق. وعندما دققت باحثاً عن الشاحنة لم أجد أثراً لها. توقفت وأخذت أبحث عنها طويلاً لكنها اختفت. عندها فهمت أنني قد غفوت لبرهة من الزمن كدت فيها أن أهلك إلى أن حلمت بتلك الشاحنة التي أيقظتني بنورها وصوت بوقها. وهكذا عندما استيقظت أبطأت من سرعة السيارة وأخذت يمين الطريق، دون أن أفهم كيف حدث ذلك» - «إذاً كان عليك أن تبقى

حياً - شرحت أنا هذه الحالة إذا كان أجل الإنسان لم يحن بعد، في مثل هذه الحالات تحصل المعجزات».

تحصل المعجزات بشكل دوري، لتذكرنا أن العقيدة المادية ليست صحيحة إلا جزئياً. لكن إذا حصلت لديك معجزة، وبقيت بفضلها على قيد الحياة، عليك أن تتقبلها بشكل إيجابي. قلت له: «يجب أن تعلم، أنه كلما يحصل لدي معجزة أبقى بفضلها على قيد الحياة، تدفعني لكي أغير من نمط حياتي وأغير بعض العادات، لأن المعجزة قد لا تحدث مرة ثانية».

الصحة الجيدة هي عادات سليمة. إذا اعتدنا أن نحب، وأن نمنح الطاقة أو أن نتغير عن طريق ذلك تتحسن صحتنا. ما معنى منح الطاقة؟ إنها القدرة على تنفيذ المهمات الموضوعة، والتغلب على الصعوبات، وإمكانية الثقة بالنفس وألا تشعر بالكآبة، وأن تمتلك القدرة على تهذيب نفسك والآخرين. عندما نبدأ التعود على عادة ما، وحتى تترسخ في نفسك، فإنها تحتاج إلى كمية من الطاقة. بعدها فإن تأثيرها يعمل بشكل آلي دون أن نلاحظ ذلك.

عندما تكون المحبة ضعيفة في نفس الإنسان وكذلك الطاقة، عندها وبكل بساطة تكون القوة لديه غير كافية لتشكيل عادات جديدة، وبالتالي لا يستطيع أن يتغير.

إن كل شيء في الطبيعة يتواجد على شكل حصص أو كوانتات. لذلك فإن أي تغيير يحصل يكون على مراحل وبالتدريج. وإن أفضل بداية قد تكون مهلكة، فيما لو حملت نفسك فوق طاقتها من الأعمال. ولكي يستمر الجسم على قيد الحياة يجب عليه أن يرفض الإجهاد الزائد. عندها قد يفقد الشخص الرغبة في تنفيذ المهمات المنوطة به. لذلك يجب أن تتم عملية التغيير الذاتي دائماً على مراحل.

إن أهم عادة في حياتنا على الإطلاق: هي الحفاظ على المحبة، بل السعي لزيادتها مهما كانت الظروف والأحوال. يمكن تغيير كلمة «الحفاظ» واستبدالها بكلمة «منح». منذ سنوات عديدة تحدثت عن ضرورة الدفاع عن عاطفة الحب، لأن الناس اعتادوا عبر مئات السنين رفض هذه العاطفة وكبحها، التحكم بها وإضاعتها. وأخيراً أصبحت الأحوال تتغير. إننا ننتقل الآن من منظومة الممنوعات إلى

مرحلة الطيران الحر. فعندما تصبح عاطفة الحب حقيقة واقعة، وتتحسس الإرادة الإلهية بشكل دائم، عندها تصبح النقلة الحقيقة للإنسان ممكنة.

قيل في الإنجيل: «اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ»[1]. إن عدم الثقة بالنفس وتمجيد العواطف وكبحها يؤدي إلى قتل الحب. مهما كانت الأحوال سيئة، فإن الإنسان لا يفقد أو يتخلى عن المحبة - إذ هو لم يرد ذلك - طالما أن المحبة موجودة، فإن أي حالة مهما كانت سيئة يمكن علاجها أو إصلاحها. نحن نحب الإنسانية، وعندما نحرم منها، ينشأ لدينا الإحساس بفقد الحب، وعندما يولد يأتي مشوهاً لا يمكن إصلاحه. لكن عندما نفهم أن حبنا لهذا العالم، عبارة عن مجرد جزء من الطاقة العامة أو المحبة، ننتقل بقوة على الرغم من فقداننا للسعادة الإنسانية، إلى المحبة الإلهية. إذا كان الجوهر هو التقرب من الله، فلا المرض ولا الموت يمكن أن يجعل الأمور عصية عن الإصلاح مهما كانت معقدة.

تترسخ في الذاكرة عبارة عن الكتاب المقدس: «...فِي كَثْرَةِ الْحِكْمَةِ كَثْرَةُ الْغَمِّ وَالَّذِي يَزِيدُ عِلْماً يَزِيدُ حُزْناً»[2]. أليس ذلك من المستغرب لماذا؟! ربما، لأن وعينا وإدراكنا مرتبط بجسدنا، وجسدنا محكوم عليه بالفناء والتحلل. وكلما كان وعينا وإدراكنا يتطور بفاعلية، يهدف لرفاه الجسد، يكون من المؤلم لنا جداً فناء الجسد وتمله، وبالتالي تكون الخسارة كبيرة.

عند التطرق للخلود، نفعل ذلك بانفعالاتنا، وبموضوعات لا تتعلق بوعينا عندها، أجري تحليل لواقعي، وأتوصل إلى استنتاج مهم. عندما نبدأ بحل مسألة جدية لكي نتوجه ونقيم الأمور نستخدم وعينا. هذا يحدث في المرحلة الأولى أما في المرحلة الثانية فإن الوعي يجب أبعاده، وإلا سوف نصاب بالرعب والكآبة والانحطاط.

إن أي حالة في المستويات الرفيعة تكون مرتبطة بالكون بشكل كلي. وعندما يتحول الوعي من المستويات السطحية إلى العمق، ينشأ إجهاد حاد، ثم يبدأ

1- العهد الجديد: متى (7: 7).

2- العهد القديم: الجامعة (1: 18).

الشعور بالضعف وانعدام القوة. عندها إذا لم يقم الشخص بإبعاد الوعي ولم يترك لعقله الباطني حرية العمل، سوف يشعر بالذعر من أي مشكلة معقدة. لا يتطرق علم النفس في معظم الأحيان إلى تلك الآلية، بينما ذلك ملاحظ تماماً في الأمثال والأقوال الشعبية الروسية. على سبيل المثال، «مجنون كثير التفكير يصبح غنياً؛ أو (في الصباح تكون أكثر حكمة من المساء)، أي لا تجهد عقلك في حل المشكلة، واتركها لمستوى الشعور الباطني، لا تجزع ولا تكتئب، لكل مشكلة حل. مثال آخر: «العيون تخشى، لكن الأيادي تفعل»، أي إن الكسل وقلة الحيلة تولد الإساءة، والخوف والكآبة.

إن الوعي يرتبط بالجسد، لذلك يستهلك طاقة. والمستهلك على الدوام يتعلق بالوسط، ويتصف بشكل دائم بالعصبية والكآبة. عندما تعرض مالاً لأحد ما ويرفضه، عندها لن تشعر بالكآبة والحزن. أما إذا كنت تنتظر من أحد ما مالاً، ويرفض إعطاءه لك، سوف تشعر بالانزعاج، أو إذا كنت بحاجة ماسة للمال وتنتظر تسلمه، لكنهم لا يعطونك إياه، عندها تظهر لديك علامات الإدانة والحزن ثم الكره.

إن مصدر العدوانية الداخلية هو الحاجة، إن الشخص الذي اعتاد الأخذ ليس لديه إمكانية للتسامح. حالما يصبح العطاء أكثر من الأخذ تصبح الارتباط بالوسط المحيط أقل، ويصبح من السهل التسامح تجاه الإساءات. ويزداد منح الطاقة، ينتج عن ذلك تحسن في الصحة. لماذا عملياً يتم معالجة أي نوع من الأمراض بواسطة الإثم؟ يحصل ذلك لأن الصفات الاستهلاكية (الأخذ) للشخص تتعلق إلى درجة كبيرة بالطعام. وكلما كان الطعام متنوعاً ولذيذاً ومتوفراً، أدى ذلك إلى الانخفاض السريع للطاقة الداخلية، وزيادة الغضب والحزن، بعدها تأتي الأمراض.

منذ بضع سنوات فقط توصل العلماء إلى نتيجة مفادها: أن الإكثار من الطعام يؤدي إلى الإصابة بمرض السكري، وأمراض القلب والأوعية الدموية، وإلى الانخفاض في طاقة الجسم. أما الأديان فقد تحدثت عن ذلك منذ آلاف السنين.

هناك حقيقة مهمة: نظم في أمريكا استطلاع للرأي، وجه سؤال وحيد: «هل تسامح أولئك الذين تسببوا في تدمير وانهيار مبنى مركز التجارة العالمي في

نيويورك».؟ جميع الذين أجابوا بالنفي القاطع: «لا، أبداً»! كانوا أناساً مصابين بأمراض خطيرة. هكذا توصل العلم الغربي إلى مفهوم مفاده، أن العقيدة والطباع يمكنها أن تمنح الصحة، وكذلك المرض.

عند مراقبتي للناس، فهمت كيف أصبح الكثير منهم مدمنين على الكحول، إنهم بكل بساطة، لم يجيدوا مواجهة مشكلاتهم والانفصال عنها، أو منع عقلهم من التفكير بها. إن الحاجة، الكسل، الحساسية الزائدة، الانفعالات العدوانية إن كل ذلك يجعل من الوعي شديد القسوة والانعزال، وفي الحالات الصعبة جداً يصبح من الصعب فصل الوعي. إن الشخص الذي يصبح مصرفياً، يصاب بالكآبة، يرى في الناس فقط الصفات السيئة. فقط المشروبات الروحية يمكنها مساعدته في كبح عقله الواعي، وتهدئة مشاعره العدوانية، وبالتالي تمكنه من حل مشكلاته بشكل طبيعي. إن الوعي الزائد والتفكير المفرط، لا يسمح أبداً بالتغلب على الشدات النفسية. بالفعل إن «...الَّذِي يَزِيدُ عِلْماً يَزِيدُ حُزْناً»[1]. عند تحليل الماضي فإنك تبتعد عن المشكلات، تصبح وكأنك تنظر إليها من الأعلى، إن فهم المشكلة يعني أنك جردتها. ومن السهل أن تعزل نفسك عن الماضي، لكن من الصعب أن تفعل الشيء نفسه مع الحاضر. من الصعب جداً أن تنفصل عن المستقبل الذي مع الزمن سيتحول إلى حاضر. إن الشخص المرتبك بوضع أو حالة ما، كأن يكون بخيلاً، اتكالياً، مكتئباً، عندما لا يستطيع الانفكاك عنها، سوف يظل مرتبطاً بها ولن يكون بإمكانه التحكم بها.

إن هدف دراساتي في جوهر الأمر، هي محاولة تقليل الارتباط مع الوسط المحيط. في حال عدم السعي إلى الخالق وعدم تغيير انفعالاتك، وطبعك ونفسيتك، عندها يستحيل الانفكاك من ذاك الارتباط.

سوف أظل أشير إلى موضوع المستقبل، وسوف أكرر محاولاتي المستمرة، بهدف الإقلال من الارتباط به. يوجد قانون بسيط. نحن نستطيع أن نتحكم بالشيء الذي نكون متحررين منه من داخلنا. عندما تكون متعلقاً بالأسرة، فإنك

1- العهد القديم: الجامعة (1: 18).

لا تستطيع تقبل فقدان الحبيب - لأنك لن تكون أسرة. أما عندما تعشق في داخلك المال، وعندما لا يكون لديك مال، لا تستطيع تقبل فقدان المستقبل المرتبط بالمال. بالطريقة نفسها سوف تفقد المستقبل. بالتأكيد ذلك يعني الموت. مع العلم أنه أحياناً يمكن للإنسان أن يتعايش حتى مع الأمراض الخطيرة مثل: السكري والإيدز والسرطان والناعور.

منذ مدة دهشت عندما زارني أحد المرضى، حيث لاحظت، أن ليس لديه مستقبل، مع ذلك هو لا يزال على قيد الحياة. تبين لي أنه مصاب بالسرطان في مرحلته الثالثة، عندها أصبح كل شيء مفهوماً كنت لأصاب بالدهشة لو قيل لي، إنك قد تفقد المستقبل، بسبب لوم الآخرين، أو لعدم التسامح مع الخيانة والغدر، أو بسبب الكره، أو الشعور بالغضب بسبب الظلم، أو الشعور بالكآبة أو فقدان الثقة بالنفس.

نحن نقوم يومياً بتخريب مستقبلنا والحط منه كلما حككنا جلدنا دون أن نلاحظ ذلك. يمتلك مستقبلاً جدياً وزاهراً فقط من يكون مستعداً لفقده في أي لحظة على أن يحافظ على الحب، كل شيء نضعه فوق مرتبة الخالق ونعبده في داخلنا يجب أن نفقده.

فكرت في نفسي «كم هو ممتع وغريب بناء هذا العالم كلما صعدت درجة من درجات السلم تفكر: ها قد وصلت وأخيراً سوف أرتاح، وينشرح صدري لم يبق لدي ما أفعله! لكنك تفاجأ أن ذلك لم يكن نهاية السلم وعليك أن تتابع الصعود وأن تبدأ كل شيء من جديد».

لقد فكرت في الماضي وتمكنت إزالة الارتباط مع المستقبل عن طريق حل جميع المشكلات. لكن كلما كنت أشعر بالتحرر من جوهر ذلك الارتباط، تظهر لي فجأة في المستويات الرفيعة مشكلة جديدة، تكون أدهى وأمر. في ذلك يدخل تياران من الزمن، يلتحمان معاً. لقد شاهدت ذلك للمرة الأولى. إني على قناعة تامة. إن هذان التياران الزمنيان يؤثر أحدهما في الآخر، لكن التحام وتوحد أحداهما بالآخر في بنية واحدة، دون إفناء أحداهما للآخر، أمر لا يمكن حدوثه. على كافة الأحوال إن ذلك حقيقة لا يمكن إنكارها.

هناك تياران من الزمن، وهما مترابطان بشكل غير مدرك؛ إنهما يتعايشان في بنية واحدة. وأنا مرتبط مع تلك البنية بشكل ما. مع أن ذلك الارتباط لا يخلو من خلل ما. إني أحاول اختيار تسمية مناسبة لها، لكن عقلي لم يصل إلى نتيجة بعد. إني لا أعلم كم يجب علي أن أبذل من محاولات وجهد وتركيز لفعل ذلك، لكني أعتقد أنه أثناء بضعة أشهر سوف أتوصل إلى مفهوم محدد.

إن ذلك ممتع ومثير للاهتمام بشكل عام. وعقلي لا يدرك ما الذي يحير التيارين الزمنيين على التوحد الكامل. وإن الزمن قد انقسم إلى تيارين عند نشوء الكون. وإن تلك العملية قد ذكرت في الكتاب المقدس بشكل مجازي، حيث عكست إحدى الآيات ذلك: «۞فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ... ۞وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ»[1]. وهكذا، أليست تلك البنية موجودة من لحظة نشوء الكون. والتيارات الزمنية الأولى أصبحت موجودة بها، في شكل نشوئها الأول؟ أم أن تلك البنية أصبحت على ما هي عليه الآن بفضل تطور الكون؟ أم غايتها هي زيادة التحام تياري الزمن وتوحيدهما أكثر وأكثر؟ من الصعب الإجابة عن ذلك. يجب استنباط مئات الأشكال، قد يجيب ذلك عن بعض الاستفسارات. من حيث المبدأ، إن كل ذلك قد يكون أقل أو أكثر وضوحاً.

إن أي مرض كان هو عبارة عن مساعدة وتطهير للروح وكلما كان التركيز كبيراً على المحبة، حصلت عملية التطهير تلك بشكل أخف وأسرع. ولكي تتحقق إرادة الله، لا بد للإنسان من أن يشعر بعبوديته وذله تجاه الخالق. وإذا كانت المحبة في الروح ضعيفة، فإن ذلك المرض أو المصيبة (الإذلال) يتحول إلى آلية للتدمير الذاتي للشخص بعد ذلك، إذا لم يستطيع الشخص تحمل عملية التطهير تلك، واستمر برنامج التدمير الذاتي في العمل، عندها لن يستطيع الجسد الصمود، وينتهي الأمر بموت الشخص أو أولاده.

يتصرف الأطباء وفق الطريقة التقليدية، حسب العادة، يتخمون المريض بالأدوية. إن ارتباط الشخص بالأدوية واعتياده عليها، لا سيما الهرمونية منها يحوله

1- العهد القديم: التكوين (1: 1-4).

إلى إنسان معاق. إن اللجوء السريع للعمل الجراحي وغمر المريض بشتى أنواع الدواء يجعل من الطبيب أشبه بالقائد العسكري الذي أغلى أمنية لديه هو إشعال فتيل الحرب. لذلك أصبحت أتفهم لماذا يصرون في الغرب على وضع شخصية مدنية في منصب وزير الدفاع. إن القائد العسكري طوال حياته يقوم بمهمة وحيدة وهي الاستعداد للحرب؛ إنه موجود لذلك الغرض، لذلك تراه يرغب في أعماق عقله الباطني أن تنشب. عندما حدثت أزمة الكاريبي، طلب الرئيس الأمريكي الأسبق كندي المشورة من جنرالات الجيش، فأشاروا عليه بضرورة اللجوء إلى القصف الجوي. دون أن يدرك أولئك الجنرالات، أن ذلك قد يكون الشرارة الأولى لنشوء الحرب الذرية التي لا تدع ولا تذر!

منذ مدة قصيرة، بواسطة التنبؤ، توصلت للتعرف على بنية جديدة بواسطة التنبؤ. لقد أطلقت عليها تسمية «البنية X». في هذه البنية يتوحد تياران من الزمن. عن طريق العلاقة مع هذين التيارين، تتولد شرارة الشهوات والرغبات والغيرة، وسوف أستمر في العمل في هذا الاتجاه، محاولاً فهم كيف يمكن توحيد التيارين الزمنيين معاً.

إن الخالق خلق الزمن الذي يتجزأ. ما معنى «أيتجزأ النور من الظلمة»؟ النور: هو إشعاع طاقة. الطاقة والحركة هي مسببات مشتركة مترابطة ونتائج. إن السبب والنتيجة هما: تياران زمنيان.

في البداية تظهر حزمة من المعلومات، باعتبارها سبب، بعدها تتحول إلى طاقة، عندما تفتح الطاقة، تتطور إلى بنية ثم تتحول إلى معلومات. عندما يتواجد النور في الكون، هذا يعني أن التيارين الزمنيين يتفاعلان مع بعضهما. هذان التياران المتناقضان يوحدهما الحب فقط الذي مصدره الخالق. الله خلقهما وإليه يعودان.

هذا يعني، أن «البنية X» التي أحاول توصيفها، يجب أن تكون مرتبطة على الدوام بشعور المحبة. ونموها يؤدي لنمو هذه البنية، وكذلك يؤدي لازدياد مقاييس التيارات الزمنية. أما عندما ينتفي الحب، فإن تلك البنية تتحلل إلى مكونها الثنائي. من المستغرب أن تلك البنية لا يمكنها أن تكون من دون اتصال مع الخالق، وشرط تطورها ازدياد التوحد معه.

يمكن أن تكون هذه البنية ليست بالكبيرة. إنها تتواجد في هذا العالم، ويمكن أن تتكرر في عوالم أخرى. في المستويات الرفيعة تكون موحدة مع الكون بأكمله، أما على المستوى الخارجي فإنها تتواجد في عدة أماكن من مجرتنا ومن ضمنها الأرض.

إن هذه البنية مرتبطة مع الناس بشكل من الأشكال، مع ماضيهم ومستقبلهم كأنها مخزن معلومات شامل. في داخلها توجد معلومات شاملة عن كل شيء قد حدث. ليس فقط فيما يخص البشر، بل وما يخص أرضنا والمجرة نفسها، ربما والكون بأسره. في الوقت نفسه تحوي معلومات، حول ماذا سوف يحدث في المستقبل. إنهما عبارة عن شكل مصغر عن الكون. هل يمكنها أن تكون نسخة عن البشرية؟ لماذا الارتباط بها يولد مثل تلك المشكلات الهائلة؟

ما هي ماهية ذلك الترابط الشديد مع المصير ذي نمط الحياة السعيد والناجح؟ إن عدم القدرة على تحمل الخسارة، والحسرة على الماضي، والمصائب التي قد تحصل، وعدم القدرة على تحمل مصائب القدر؛ كل ذلك يبرز القسم الظاهر من جبل الجليد، فقط المهم السعي للحصول من القدر، أكثر مما تعطيه. إذا أحبك شخص، يتعلق بشدة بالحياة المرفهة والسعادة والنجاح، فإنه يحب فيك فقط النجاح والسعادة والرفاه، وهو في اللاوعي سوف يمتص منك الطاقة. حتى إنه يستطيع أن يمتصها من حياتك المستقبلية، عندها وبهدف الحفاظ على الطاقة الرفيعة، قد تصاب بأمراض في الكلية.

إن تلك الأمراض تدفعك لمحبة الله، وتقلل من تعلقك بالسعادة البشرية، أما إذا دفعتك إلى الكآبة وتناول الأدوية، فسوف تفكر بالعمل الجراحي. ليس لدي أي تحفظ ضد الأطباء. عندما لا تريد أن تتغير أو لا تستطيع ذلك، عندها عليك أن تسلم نفسك لبضع الجراح. مع ذلك فإنه من الأفضل أن تتغير. هائلة هي قوة الحب، عندما يحب شخص شخصاً آخر ويتعلق به! إذا أحبت امرأة بخيلة من أعماقها، فإنها سوف تضع الرجل الذي تحبه في وضع لا يحسد من الذل. أما إذا أحبت امرأة غيورة عندها سوف يصاب حبيبها بأمراض المفاصل إضافة لذلك يمكن أن يصاب بانسداد شرايين القلب. هذه الآلية، تنطبق على الرجال أيضاً. أي إن من تعشقهم أرواحنا، عليهم أيضاً أن يخسروا وليس نحن فقط.

سابقاً لم أفهم، لماذا كتب نسترادأموس ما معناه أنه بعد عام 2000، سوف يبدأ الناس بفقد مشاعرهم الحارة، وسوف يصبحون عدوانيين تجاه بعضهم بعضاً. إن ذلك، أصبح الآن مفهوماً. كلما تحول الحب إلى ارتباط بسرعة، أصبح أكثر فتكاً ويولد العدوانية. كلما كانت المتعة أكبر، يصبح من المؤلم جداً فقدها أما المتعة الأكبر بعد محبة الله، هي المحبة البشرية، هذا يعني: أن العدوانية الأكبر يمكن أن تتولد من حب شخص لآخر. لذلك ليس عبثاً قال المسيح: «وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ»[1]، لا سيما الأقرباء، الذين يكنون لنا المحبة الكبيرة وهم أكثر ارتباطاً بنا، ذلك لأن لهم الدور الأول في إبعادنا عن الله، ويستطيعون قتلنا بشكل أسرع.

إن أي درجة قد تقودنا إلى طريق مسدود لا حراك بعده، لكن يتبين لنا، أن تلك الدرجة ليست إلا قاعدة لدرجة تليها. وعندما تصعد إلى الأعلى قليلاً، سوف ترى أنه بدلاً من الطريق المسدود سوف تجد الدرجات التالية.

فكرت: ماذا نملك لهذا اليوم؟ محاولاً حل مشكلة الرغبات! التي تربطنا بالماضي والمستقبل. هناك نسبة وجوهر بمقياس كبير، والتي حددتها باعتبارها المستقبل. توجد البنية التي تحوي على الماضي والمستقبل منذ مدة ومن العمق، أخذت ترسم بنية X إضافية، تتعلق أساساً بالماضي حتى الآن نسميها «المصير».

فكرت أنا: يحدث تطور يجدر بنا الاهتمام به. جميع القيم الإنسانية تمكنت من حصرها بمفهومين اثنين. إنها الحسد والغرور. لقد وجدت في الكتاب المقدس ما يوافق ذلك: إنه إثم حواء وإثم إبليس. لقد حاولت طويلاً، أن أجمع هاتين المتناقضتين في واحدة، وكأني تمكنت من فعل ذلك، لقد تم توحيد بنية الرغبة المرتبطة بالماضي والمستقبل. وكأن البنية الموحدة تمت من جديد، فقسمتها إلى تيارين، المستقبل بموضوع الكمال، والعدالة والرغبات العليا والآمال، أما ما يخص موضوع المصير، المتعلق بالإرادة، والإمكانيات، والإرادة وتجربة الماضي. فإن المستقبل مرتبط بالرغبات والغيرة والحسد. إن الماضي يتعلق بالمصير، الكبرياء.

1- العهد الجديد: متى (10: 36).

وهما في المستويات الرفيعة يتوحدان في بنية واحدة، والتي لا يمكن أن تكون من دون التوحد مع الله.

فكرت: إن قانون الازدواجية سوف يكون متواجداً باستمرار بشكل مشابه، تبدأ بدراسة العالم، يظهر مكون ما، تتفاعل معه لمدة من الزمن. بعد ذلك يظهر نقيضه أو معاكسه. ومع الزمن فإن هذه المتناقضات، تتقارب شيئاً فشيئاً إلى أن تتوحد في وحدة متكاملة. هذه العملية تتكرر من جديد لكن على مستوى واسع.

عادة لكي يستطيع الإنسان، فهم مشكلاته وتجاوز النواقص، عليه أن يقدر واقع الحال. ثم قد ينشا واقع جديد أثناء ثلاثة أعوام. ثم قد تنشأ عشرات المواقف الجديدة، ويمكن أن تستمر لسنوات عديدة قادمة. بفضل تنبؤاتي، أقول: إن مثل تلك الحالات أستطيع تجاوزها ولو كانت ألف مرة أكثر. لكي أفهم، لا احتاج إلى مئة سنة، بل لبضعة أيام. إن تلك السرعة جيدة فقط من جهة، أما من الجهة الثانية، فإن السرعة تزيد من تراكم المشكلات.

منذ مدة قصيرة وقع في يدي كتاب لمعالج مشهور، والذي جمع أثناء مدة قصيرة عشرات الملايين من الدولارات. وهو يقترح عن طريق كتابه ترديد العبارة التالية أثناء الصلاة: «أرغب أن أكون قوياً، ذا إرادة، أن أكون سعيداً، أن أكون محباً». أتذكر ماذا حصل معي، عندما آمنت «بمحبة الله»، والتي وضعتها بعد الإقرار «أنا أحب الأقرباء» و «أنا أحب هذا العالم». بعد ثلاثة أيام كدت أُصاب بالعمى.

في الأعوام الأخيرة، تمكن الكثير من المعالجين الطبيين، جمع الكثير من الأقوال مستغلين مصائب الآخرين، مع إعطاء نصائح قاتلة لزبائنهم، حسب اعتقادي. مع ذلك لا يقوم بمحاسبتهم أحد. لنرى كيف قيلت إحدى العبارات الإلهية. إن الله يعاقب الناس فور ارتكابهم للذنوب، لذلك فإن الناس يرتكبون الكثير من الذنوب إلى أن يحين عقابهم الإلهي، فالذنب هو عبارة عن فقدان محبة الخالق. إذا كان الحب داخل أنفسنا ضعيفاً، فإن أرواحنا لا تستطيع أن توحد أو تجمع المتناقضات وتبدأ بعبادة إحداها. وبالتالي نجنح للتطرف، بعد ذلك تحدث العدوانية والدمار.

البنية X (أكس)

في روسيا يعودون الآن إلى فكرة تكامل الجسد. من الظاهر أن علاج أعضاء جسم الإنسان كل على حده أو مختلف الأمراض لا يعطي نتيجة إيجابية إذا كانت مناعته تعادل الصفر. أنا أعتقد، أن الأطباء عاجلاً سوف يتمكنون من ربط مفهوم المناعة مع الطاقة الداخلية للجسم. إضافة لذلك يجب السعي لربط مفهوم الطاقة الداخلية للجسم ومناعته مع عاطفته وانفعالاته وحالته النفسية. بعد ذلك من الواجب على الأطباء ملاحظة، إن طاقة الجسد تؤثر ليس بشكل سطحي في عواطفه وانفعالاته، بل تؤثر في عمقها السحيق، حيث تتراكم في اللاوعي. لكن من السهل لاحقاً ملاحظة الرابط بين العقيدة، الطبع، المصير والصحة.

للحصول على الطاقة، يجب أن تكون طيباً في أعماقك، تقلل ما أمكن من الإساءات والندم والخوف. في المقابل يمكن القول: إن النقص في الطاقة الجسدية يجعل الإنسان طيباً. والعكس: إن الزيادة في تناول الطعام مع التغاضي عن الرغبات، إضافة للراحة الجسدية، وقلة الحركة، كل ذلك يؤدي إلى زيادة طاقة الجسم الخارجية بشكل كبير، وهذا يحجب قوة الطاقة الداخلية والطاقة العليا للروح. وهذا يؤدي لفساد الطبع. ويجعل من الشخص حاقداً وبخيلاً ومكتئباً. حالما تنخفض طاقة الروح، يبدأ ضعف الجسد، ثم تبدأ الأمراض بمهاجمته وتتسارع عملية الهرم. بهذا الشكل كلما توجهنا أكثر باتجاه الطاقة السطحية، أصبحت أقل. لذلك يعمر طويلاً ويتمتع بصحة جيدة أولئك الناس الذين يتمكنون من كبح أنفسهم في تلبية رغباتهم وشهواتهم وعلى رأسها الطعام والجنس.

يجدر بنا العلم أنه وسط المعمرين لا يلاحظ انفلات وعشوائية في ممارسة الجنس ولا فوضى في تناول الأطعمة.

يقوم الأطباء الآن بعلاج أعضاء محددة من الجسد، ويتخمون المريض بشتى أنواع الأدوية والحبوب. وفي الحالات الحرجة، عندما يصبح الزمن محصوراً والمرض يفتك بالجسد بشدة، تصبح طريقة العلاج تلك لا بد منها. وتتم من دون فهم. كيف ينشأ المرض، وكيف تؤثر الروح في الجسد، يكمن مغزى العلاج وليس فقط في مجرد قصف المريض بالأدوية والعمليات الجراحية.

في روسيا على الأرجح يموت الرجال بعمر وسطي نحو خمس وخمسين سنة. بعد الخمسين يبدأ الرجل مرحلة سن اليأس، حيث إن نظام الحياة الذي اعتاد عليه الشخص أثناء عشرات السنين. يصبح فجأة فوق قدرة التحمل. إذا أضفنا إلى ذلك، الانفعالات السلبية، والإكثار من الطعام، وكثرة تناول المشروبات الكحولية التي تدمر الجسم وتسممه، في مثل هذه الحالة يصبح الزبون جاهزاً. وحسب الإحصاءات الدقيقة ويا للغرابة، فإنهم في روسيا يدفعون الرواتب التقاعدية بعد سن الستين، أما الرجال يبقون في معظم الأحيان على قيد الحياة حتى سن الخامسة والخمسين.

نناقش سؤال: ما هو الهرم؟ إنه عبارة عن مرحلة يتم فيها تحضير الجسم للانخفاض البطيء في مستوى طاقته. وإذا تم رفع مستوى الطاقة الداخلية، هذا يعني أن عملية الهرم سوف تجري بشكل بطيء، هذا ما تؤكده الوقائع. عندما يتناول الإنسان كمية قليلة من الطعام ويكثر من الحركة عندها يتواصل مع مصدر الطاقة الرفيعة ويصبح عمره أطول.

منذ مدة عرضوا مقابلة مع أحد الأكاديميين المشهورين، والذي بلغ عمره المئة عام تقريباً. لقد تحدث عن أهم العادات التي كان يتبعها أثناء الشباب. كان دائماً يغادر مائدة الطعام قبل أن يشعر بالشبع، بل كان يتقصد أن يترك الطعام وهو ما زال يشعر بالجوع. أي مع الإحساس بنقص في طاقة الجسم الخارجية. في مثل هذه الحالة يصبح من الضروري البحث عن مصدر إضافي للطاقة، والذي يعد في الواقع أولياً وأساسياً: يحصل حينها في اللاوعي تقرب من الله وكذلك توجه كبير نحو عاطفة الحب.

يتوجب على الكائن الحي، من أجل أن تستمر الحياة، أن يتأقلم مع الوسط المحيط. وهذا يفسر شعورنا بالسعادة حينما تشرق الشمس. نحن نحاكي ما نراه.

فعندما تشرق الشمس تبدأ أرواحنا بإعطاء الطاقة، وعلى الرغم من وجود الصقيع والهواء البارد، فإننا نشعر بمزاج رائع، يتولد لدينا هذا الإحساس بسبب نور الشمس. ولا نغدو مرتبطين كثيراً بالوسط المحيط. وعند انحجاب الشمس، تتوقف الطاقة الداخلية، وينتابنا شعور بالكآبة وعدم الارتياح. لذلك إن الإنسان المعافى هو الذي لديه شمس تشرق دوماً في أعماق روحه، أي يتمتع بمزاج جيد بغض النظر عن حالة الطقس.

إن جوهر العلاقات الاجتماعية بين الناس يكمن في التضحية. إن أول انطلاقة لتلك العلاقات هي إبداء الرغبة في مساعدة الشريك، إعطاؤه الطاقة والنصح، وكلما كان تبادل إعطاء الطاقة كبيراً، كان تبادل أطراف الحديث ممتعاً أكثر. إن الإنسان الغربي أصبح مفطوراً على الأخذ والاستهلاك، لقد نسي عادة التعامل الاجتماعي الإنساني، لقد أصبح تعامله يعتمد على المصالح المادية فقط. وعندما تخوض حديثاً من أعماق الروح مع شخص لا تعرفه من الواجب عليك أن تكون صريحاً ومخلصاً ومضحياً. إن ذلك يساعدك في الإحساس بعاطفة الحب الحقيقي، ويخلصك من التعب والإجهاد الجسمي مهما كان كبيراً.

إن انطلاق الطاقة، يجب ألا يسمح لها أن تذهب للقتل على شكل ظلم وإساءات. إن الإساءة الكبيرة لشخص قريب أو لمصيره أو لطبيعته الجامدة تكون خطرة جداً. فقد يستاء الشخص الضعيف الذي اعتاد أن يأخذ طاقة ولا يعطيها، والذي لا يحاول تغيير واقعه، عندما لا يعجبك الوسط المحيط - حاول تغييره. عندما لا تستطيع تغييره عليك أن تغير نفسك، ثم عد وحاول تغييره من جديد.

إن أي واقع يمتلك قوانينه العليا الهادفة للتطوير. نخطئ عندما نظن أن التطور هو عبارة عن إنجازات تصب لصالح رفاه جسدنا. وإن التطور في الإمكانيات والوعي يتحول إلى هرم وخرف عندما ينقلب إلى انحطاط، عندها سوف نتألم ونحزن. أما إذا اعتبرنا أن التطور يعني زيادة المقدرة على الحب وكرسنا جهودنا لذلك الاتجاه، عندها لن نخشى من الهرم أو الخرف والضعف. لا يستطيع أحد سلب إرادتك ومنعك من أن تحب!

يمنحني عملي في معظم الأحيان شعوراً بالتفوق، إضافة إلى توافر إمكانية التحكم بالمصير. قد لا تلاحظ كيف يخرج الحب، لكن عندما تتعرض للألم والذل، عندها فجأة تشعر أن المحبة داخل روحك قليلة. كلما تعرضت للإذلال أكثر، دفأتك عاطفة الحب أكثر. «بالمناسبة إن البنية (X)، أيضاً لا يمكنها أن توجد من دون حب» - هذا ما ورد إلى ذهني.

إن الكون واحد. هو خرج من نقطة؛ ويسعى في المستوى الرفيع إلى نقطة. وإن أي كائن في هذا الكون يحافظ على وحدته الداخلية بشكل مطلق مع الوجود. وإن أي بنية فيزيائية: هي عبارة عن طاقة منظمة. وإن النظام هو تواجد ارتباطات ثابتة. الرابطة المنظمة: هي عبارة عن اقتران الأسباب وبالنتائج. هناك في المستوى الرفيع، حيث يكون الكون محصوراً في نقطة. والأسباب والنتائج تشكل وحدة متكاملة. وبمقدار توسع الكون، فإن الأسباب تأخذ في التباعد عن النتائج. وإن فرق الطاقة بين الماضي والمستقبل يصبح أكثر توتراً وإن الطاقة العامة للكون تزداد، ومن أجل الحصول على توازن في الطاقة يجب أن تتحول إلى معلومات. والطاقة: هي عبارة عن تيارين مختلفين من الزمن، عندما يتم ضغطهما في نقطة نحصل على معلومات.

إن عملية تطور أي كائن في هذا الكون: هي عبارة عن عملية تحول المعلومات إلى الطاقة، ثم العودة إلى نقطة البداية.

إن إشعاع النجوم، ومن ضمنها شمسنا، تفسر بحصول تفاعل ذري حراري داخلها. وفي تلك العملية تتشكل عناصر جديدة. فإن كل نجم يسعى لتحويل الطاقة إلى معلومات. تنشأ الكواكب من النجوم، تكون طاقتها أقل، لكنها تحتوي على معلومات أكثر. إن مهمة الكواكب خلق المزيد من روابط الأسباب - والنتائج، ليس على شكل ذرات أو جزيئات محددة، بل على شكل روابط معقدة. كلما كانت العلاقات كبيرة في هذه الروابط، كانت الطاقة قابلة للانحلال داخلها.

عندما تكون المعلومات هي الأكثر كثافة، وبالنتيجة فالطاقة تكون متواجدة في الطبيعة الحية. وإذا تحولت المعلومات الموجودة في الكائن الحي إلى طاقة، فإن كميتها سوف تكون أكبر بكثير من الطاقة المتولدة عن الانفجار

الذري. وهذا يعني أن ظهور الحياة على الأرض أو على الكواكب الأخرى عبارة عن ظاهرة مقوننة إلى حد بعيد.

وعند ضغط الطاقة تتحول إلى معلومات، وضغط الزمن يتحول إلى نقطة، إن درجة ضغط الزمن والطاقة في الطبيعة الحية تكون أعلى بكثير من غير الحية.

بماذا يتميز الكائن الحي عن الجامد؟ يتميز بسرعة تحول الطاقة إلى معلومات وبالعكس. ما هو المؤشر الرئيس لأي كان؟ هو في النمط الهيوموستازي: أي ثبات واستمرارية التركيب الداخلي، ووجود ارتباط عكسي، أي وجود تفاعل بما يخص الوسط المحيط. وللمحافظة على الهيوموستازية لا بد من طرح الطاقة ولا بد من تحول الطاقة إلى معلومات لإتمام التفاعل.

لنفترض أن الخلية وقعت في وسط غير مناسب. لكي تستمر على قيد الحياة لا بد لها من التفاعل والتأقلم السريع. فجميع الوقائع والمؤشرات الخارجية أثناء زمن قصير يجب أن تنضغط في نقطة، ويجب أن تتوافق مع تجارب الماضي وذلك للوصول إلى استنتاج بما يخص المستقبل. أي إن تفاعل الكائن الحي مع الوسط المحيط لا يمكن أن يتم من دون تجارب وخبرات الماضي وتنبؤات المستقبل. هذا يعني أن تفاعل الكائن الحي مع الوسط لا يتم من دون ضغط الزمن وتحول الطاقة إلى معلومات وفي المقابل إن تأثير الكائن الحي على الوسط هو فعل تحول المعلومات إلى طاقة.

تحدث بشكل دائم داخل الكائن الحي عمليتان متعاكستان. الطاقة تتحول إلى تيارين من الزمن الذي ينضغط في معلومات، وبرنامج وإدراك، كل ذلك يمكن تسميته تأثير. بعد ذلك يحدث تفاعل خاص يؤثر في الوسط المحيط، وذلك عندما يتحول البرنامج إلى عمل. وإن تطور الكائن الحي لا يذهب باتجاه تسريع التفاعل، بقدر تمكنه من الحصول على تياري الزمن. أي يحدث داخل الكائن الحي نمو وتطور في الذاكرة، وترسيخ في التجارب الحياتية، وفي الوقت نفسه زيادة الحدس والمهارة في التنبؤ. هذا بالضبط يعني توحد تياري الزمن.

إن البنية التي أطلقت عليها تسمية (X)، تبين أنها الحياة وأن وعينا هو عبارة عن مزيج من الذاكرة والحدث والتنبؤ. وإن الوعي يتكون من ارتباط بين الأحداث

التي جرت وبين تلك التي سوف تجري. وعندما نتذكر الماضي، يكون ذلك دائماً موجهاً إلى المستقبل. فعندما يبدأ الشخص بحصر حياته فقط وفق الماضي أو وفق المستقبل، عندها يبدأ وعيه بالانحطاط. أي إن ما ندعوه حاضراً، هو في الواقع عبارة عن اقتران الماضي مع المستقبل، والذي يعتبر في المستويات الرفيعة عبارة عن وحدة متكاملة.

عندما حاولت أن أرى في المستويات الرفيعة، كيف بدأت الحياة على كوكب الأرض، حصلت على صورة طريفة. إن الحياة بحد ذاتها ظهرت خارج كوكب الأرض على شكل وعي. وإن اقتران طاقة الشمس باعتبارها البداية الذكرية مع طاقة الأرض باعتبارها البداية الأنثوية؛ أدى إلى نشوء بنية الحقل الطاقي بين تيارين مختلفين من الزمن.

وعلى الرغم من أن الأرض انبثقت من الشمس واكتسبت الصفة المادية المؤنثة، إلا أنها في المستويات الرفيعة لا تزال مستمرة في توحدها مع الشمس. لذلك وبالتحديد، فإن البنية الجنسية لتياري الزمن لم تنقسم إلى قسمين منفصلين. فعلى المستويات الرفيعة، لا تزال الأرض والشمس على وحدة متكاملة فيما بينهما.

إن الحياة التي نشأت على شكل وعي تطورت في الغلاف الجوي للأرض. ثم هبطت إلى سطح الأرض في منطقة جنوب أفريقيا. والمحيط الهندي. ثم تجسدت تلك البنية أو التركيبة المعلوماتية الحاوية على الطاقة بشكلها الفيزيائي في الوسط المائي.

هنا يكمن السر في أن الماء يمتلك الذاكرة. فإن الماء سائل لا شكل له لكن في الوقت نفسه له بنية محددة. وإن عملية تحول الطاقة إلى معلومات داخل الماء تحدث بشكل مستمر، فعند الانخفاض الصغير لدرجات الحرارة، يمكن أن تتحول المياه إلى حالة صلبة، سائلة أو غازية. وإن قطعتين مختلفتين من الجليد شكلاً يمكن أن تكونا مادتين مختلفتين؛ إلا إنه عندما يذوب الجليد سوف يتحول إلى بركة ماء واحدة. ويتحطم التوحد السطحي (الخارجي)، أما التوحد الداخلي يستمر. إن الماء سائل على الدوام يغير شكله، لكن دون تغيير المضمون، تماماً كما هو حاصل في الكون. كأنما الماء أشبه ما يكون بنموذج حقيقة مخصصة لتخزين كافة الأشياء.

لذلك نجد أن الشكل الجنسي للحياة يمكن أن يتجسد فيزيائياً فقط في الوسط المائي. فهناك اكتسب الوعي جسداً. والبداية الذكرية انبثق عنها بداية أنثوية حصل «الهبوط من الجنة». الحياة يمكن أن تنشأ على شكل حقل مزدوج dipole أي من اتحاد نصفين أو قطبين متحدين مع بعضهما. فيما تطورت الحياة الجسدية، فإنها تظل في داخلها تحافظ على بنيتها الحقلية الأولى. والمهم أن تجمع المعلومات يحدث بشكل خاص على مستوى الحقل لكنه يتكرر عن طريق جيناتها. وعند بداية تشكل الخلية البدائية الأولى فإنها تكون موجهة أولاً للتفاعل مع المستقبل، وثانياً: للتفاعل مع الماضي والحاضر.

الحياة يمكن أن تنشأ من جسم وحيد، أي محيط تفكيري مع توجه زمني ثنائي القطب. وإن نصفا الكرة الرضية، الغربي والشرقي، وتوجه الأرض نحو تيارين من الزمن، وتعاقب الليل والنهار ساعد في تحويل البنية المعلوماتية إلى بنية جسمية فيزيائية. أي إن النظرات الأولى في البداية تكون مترابطة في كتلة واحدة، لكن مع مرور الزمن تأخذ كل واحدة طريقها الخاص حيث تتحول المعلومات إلى طاقة وجسد. على كل حال، إن كل ما هو حي على هذه الأرض على الرغم من تنوعه الخارجي، يبقى جسم وحيد، هذا يعني أنه في المستويات الرفيعة يظل البشر متحملين مسؤولية ليس بعضهم البعض، بل مسؤولية كل الكائنات الحية على الأرض.

لقد حاولت أن أرى ماذا كنت قبل 3.5 مليار سنة مضت؟ لقد بددت مثل وحيد الخلية الأميبيا الموجود داخل الماء. النصف الأول بدا كضفيرة صغيرة وكأنها مرتبطة بالماضي، والنصف الثاني كانت على شكل فقاعة ترتبط بالمستقبل.

من حيث المبدأ، إن أي كائن حي يحمل في داخله معلومات عن الكون منذ لحظة تكونه أي إن الذاكرة وهذا التعاقب، يثبت مرة إضافية فكرة وحدة الكون المطلقة في الفضاء والزمان. لذلك إن الجنين البشري في مراحله الأولى يبدو كما الأميبيا، أو السمكة، التي تتحرك بواسطة الذيل. وإن الذاكرة المطلقة حول الأحداث التي كانت تحدث في الكون يتم نسخه على المستوى الجسماني على شكل درجات من التطور في فيزياء الكائنات وأجسامها.

لا حركة من دون تضافر وتفاعل التيارين الزمنين. لذلك إن تركيب الحمض النووي (DNA) داخل الخلية يجيب عن الماضي والحاضر، أما غشاء الطبل فإنه يجيب عن الحاضر والمستقبل. وإن لدى الإنسان دماغ على شكل نصفي كرة. وإن الفص الكروي اليساري من الدماغ مسؤول عن الوعي الجسمي، وعن التجارب والخبرات المتراكمة. أما الفص الأيمن: فهو مسؤول عن مراكز الإحساس والحدث ذات التوجه المستقبلي. ويتوجه القسم اليميني من الإنسان في معظم الأحيان نحو المستقبل، أما اليساري فإنه يتوجه نحو الماضي.

لقد فكرت: «إذا كانت الحياة بنية مستقرة، إذاً لماذا التبعية لها تفرز مثل هذا الكم الكبير من المشكلات»؟ على الأرجح إن الحديث يدور حول البنية الفيزيائية للحياة. وإن البنية السطحية ترتبط مع الجسد وتعتبر الجزء الذي يغطي الشكل الحقلي للحياة وإن الوعي الجسمي يعتبر غطاء لما نسميه اللاوعي وما فوق الوعي. فإن حياتنا ترتبط بغريزتين: الأولى غريزة الخلود، والثانية غريزة استمرار النوع (النسل). ويبدو أن غريزة استمرار النوع هي الأهم. لذلك نرى أنه ليس البشر وحدهم يضحون بحياتهم لإنقاذ أبنائهم وأحفادهم، بل والحيوانات أيضاً. إن التكاثر الجنسي، والذي يعتبر وسيلة لاستمرار الحياة، تزيد من ارتباطها مع الحياة، وهذا يؤدي إلى انخفاض المناعة وحتى إلى انخفاض الرغبة الجنسية، وقد يؤدي ذلك بالنتيجة لفقدان الحياة نفسها.

فكرت في قرارة نفسي: «يا للغرابة في الكتب السابقة، كنت قد تطرقت إلى موضوعات تتعلق بالحسد والغرور، الحياة والرغبات». لقد فكرت كثيراً في هذا الموضوع، أخذت أفهم بشكل تدريجي ماذا كان يحدث. في الماضي لم تكن القيم الإنسانية لدي منظمة ومرتبة. أما الآن فهي مشدودة إلى قاعدة الكون الأساسية، مثل الزمن، الطاقة، المادة. ولكي نشعر بالوحدة المطلقة مع الكون، يجب علينا أن نتغلب على بعض الارتباطات داخله. ومهما قادتنا معارفنا بعيداً، علينا أن نكون على الدوام موجهين لتحقيق الوحدة. إن الغاية القصوى لهذه الوحدة: هي محبة الخالق. أما إذا كان هذا الحب غير كافٍ، فإن قسماً منه سوف يفقد ارتباطه الداخلي ووحدته، ثم ينفصل عن بعضها البعض ثم تموت.

إن عملية فقدان الحب يمكن أن تحدث ليس على الصعيد الجسمي، بل على المستوى الحقلي أيضاً. كذلك إن الحياة في شكلها الحقلي، أو على صعيد الوعي، يمكن أن تموت من دون حب. لذلك نورد قصة إبليس. إنه أكثر الملائكة ذكاءً وحكمة وأقواهم إرادة، جعل إدراكه ووعيه في مستوى أعلى من الحب، لكنه وقع في مأساة تراجيدية: إذ تحول من ملاك إلى إبليس. إن ما حصل على مستوى الحقل يتكرر على المستوى الجسمي. وها هو المعلم يسوع المسيح الأكثر ذكاءً والأكثر حكمة والأقوى إرادة، الذي تقلد دور القائد والمشرف على الخزينة، وقرر أن الحب هو في المرتبة الثانية، أما الوعي إضافة للأخلاق والمثل فهي في المرتبة الأولى. وكذلك تكررت معه المأساة التراجيدية.

في روح كل منا يتواجد يهوذا. لذلك تتكرر يومياً داخل أنفسنا وأرواحنا المآسي التراجيدية والتي لا نلحظها. إن الحياة من دون حب لا تعني شيئاً، ووعي من دون حب لا قيمة له. للأسف، نحن غالباً نفهم هذا، وعلى الرغم من خسارتنا لصحتنا وحياتنا، وإدراكنا. لكن يوجد بشكل دائم في حياتنا منارة لا ينطفئ نورها أبداً تطبع حماية الحب من المنزلقات الخطيرة. ولا يستطيع أحد حجبه عنا، إن ذلك يتعلق بنا وحدنا عندما ندير ظهرنا ونضل الطريق.

محاضرة في مدينة خاركوف

كل محاضرة ألقيها لها بريقها الخاص. في موسكو وسان بطرسبورغ يوجد مجتمع مثقف، هنا تحتاج إلى خيال محلّق، وإلى معلومات جديدة. أما في مدن أخرى يكون الأمر أكثر صعوبة، حيث يتوجب عليك أن تحاضر أمام أناس غير متحضرين. وإن مطلبهم الأول: امنحنا الصحة. يتلقى الطفل الحليب من أمه دون مقابل، وكذلك تمنحه أمه الطاقة والرعاية، وعلى الطفل عندما يكبر أن يرد هذا الجميل على شكل احترام واهتمام ورعاية بالوالدين. إنه أحد مبادئ الطبيعة منذ الأزل، أو قانون المنطق، إذا أردتم.

إن الكون يتحدد ثم يتقلص، على شكل نبضات، وإن تواتر هذه الحالات المتعاكسة يخلق الحركة والتطور. عندما يوجد فرق في الكمون، توجد حركة. عندما تكون طاقة الشخص ضعيفة، يسعى في البداية إلى نوع أول من الكمون، ثم إلى نوع آخر يحصل أيضاً فرق كمون في الزمن. وفي المستوى العالي للتطور يتواجد كمونان متعاكسان لكنهما متجاوران. وإن الذي يحاول تقسيم العالم إلى خير وشر، يعيش وفق كمون أول. لكن الإنسان إذا أراد أن يتقلص فقط فإنه سوف يموت. وإذ أراد أن يتمدد يموت أيضاً. لكي يعيش الإنسان، لا بد لقلبه أن يعمل وفق حركتان متعاكستان: الانقباض والانبساط. يستطيع الإنسان أن يأخذ الكثير الكثير، لكن عليه في الوقت نفسه أن يكون مستعداً للعطاء أيضاً. في طفولتي وشبابي عندما كانوا يقدمون لي معروفاً أو مساعدة ما، لم يكن بمقدوري وقتها أن أرد لهم الجميل بمثله، عندها كنت أقول لنفسي: يجب أن أمتلك ذاكرة جيدة لعمل الخير، في يوم من الأيام سوف أسعى للعطاء أكثر من الأخذ.

أن تحصل على دخل عال، دون أن تعمل، كأنما تحصل على الصحة دون أن تتغير، أو تقوم بعمل متعب. يمكنك الحصول على الصحة تماماً كما تجهد للحصول على المال؛ بأن تهذب عواطفك وانفعالاتك - إنه عمل شاق، والأجرة كذلك لا تمنح فورياً.

من صفات المحتال أن يقنع الشخص، أنه إذا دفع قروشاً قليلة يستطيع أن يحصل على كمية كبيرة من المال، أحياناً لا يتطلب الأمر حتى محاولة إقناع. فمثل هؤلاء الناس كثر. إنهم من تلقاء أنفسهم يبحثون عن المحتالين. هنا يأتي جيش المعالجين، والسحرة والمشعوذين الذين يعدون أياً كان بما يريده: بالصحة والرفاه والحياة الرغيدة وتحقيق الرغبات والأمنيات كافة. لا حاجة للتغيير، ولا داعي للاهتمام بالروح، احضر وسوف تحصل على كل ما تريد. يوجد آخرون يتصرفون وفق وسائل مبتكرة. يأخذون الكثير من المال، ويقنعون زبائنهم أن باستطاعتهم منحهم الصحة والسعادة، لكنهم لا يستطيعون ذلك!

إن صحتنا ومصيرنا؛ هي عقيدتنا وطبعنا. إن العقيدة الخاطئة هي المرض بحد ذاته. لقد تذكرت محاضرة يوم أمس في خاركوف. تظهر أمامي وجوه الناس الذين قاموا بطرح أسئلة. هناك في الصف الثاني يقف رجل، قال: لدي طفل يعاني من السرطان. حالته حرجة جداً. هل تستطيع المساعدة؟ هل تستطيع التنبؤ بحالة طفلي؟

أنا أتفهم ذلك الشخص. عندما يمرض أو يموت طفلك، هذا تعذيب، لكن في الوقت نفسه، أرى، إن روحه مليئة بإدانة الناس، وكذلك خاضعة للروحانية وللمبادئ وللمثل. إن ذلك بالنسبة له أهم من الحب ولا يمكن المساس به. إني أقول بلساني: إنه متعلق بالمستقبل والمثل والقيم بشكل عنيف. ربما يكون قد قرأ مؤلفاتي، ربما حاول تغيير شيء ما، لكني أرى الآن عقله الباطني وأرى أن لا شيء لديه قد تغير. هذا يعني أنه إما غير واثق، أو أنه تكاسل، أو ربما لم يقرأ مؤلفاتي. فإن الطفل يضاعف الكثير من العواطف والانفعالات عند الوالدين. هل من المنطقي أن أخبر الأب، أن طفله في اللاوعي يقتل جميع الناس، وهل يشق في مثل هذا الكلام؟ إن الإدانة والإساءة: هي القتل بحد ذاته. عندما نظرت في عيني الرجل، فهمت، أنه من المشكوك به أن يفهم كلامي.

عندما يطلبون مني معاينة الأطفال المرضى، أقبل بعدد محدود اعتماداً على حالة الوالدين. ما مغزى تحديد حالة الطفل المريض، إذا كان والديه في اللاوعي يمقتون أنفسهم والآخرين. في مثل هذه الحالة، كيف يمكنهم أن يساعدوا طفلهم، إذا لم يحاولوا أن يغيروا ما بأنفسهم؟

قلت مخاطباً الرجل: إذاً لم تستطيعوا التغلب على استغابة الأناس الآخرين. أنت لم تستطع تقبل حالة الإصابة، أنت لن تستطيع أن تحافظ على المحبة وسط خراب القيم والمثل والآمال. عندما تتمكن من تغيير ما بنفسك تستطيع مساعدة طفلك.

لقد علمت أن ذلك الرجل لم يستطع فهمي. لذلك نراه يعود مصدوماً ويجلس على مقعده، وتبدو على وجهه علامات الاستغراب.

إن أحاسيسنا عبارة عن حقل، ونحن نتحسس بعضنا بعضاً من أي مسافة كانت. أردت أن أقول شيئاً آخر لذلك الرجل، لكني أمسكت نفسي، لقد مررت في

مثل هذه الحالة مرات عدة: من غير المفيد، بل من المضر أن تساعد أحداً ما عندما لا يرغب في أن يساعد نفسه. لقد طلب مساعدتي بالشكل غير الصحيح. وما يجب علي قوله له؟ اذهب إلى البيت تجد ابنك معافى، وفي الواقع ليس الحال كذلك.

يوجد مفهوم هو التالي: الحالة النفسية. الإنسان يرى العالم بالشكل الذي يرغب أن يراه به، حتى ولو كان الواقع يختلف عن الصورة المرادة، فإن الإنسان يرى نفسه في إطار نموذجه فعندما نعتبر أنفسنا نرى الوسط المحيط بكل جوانبه الواقعية، نكون بكل بساطة نسير في غير جادة الصواب، بل نخطئ. وإن كل كائن حي يمتلك شكلاً خاصاً لانفعالاته يتعلق بالوسط المحيط. يمكن وصف ذلك بأنه صورته للعالم. ولدعمها وتطويرها يستهلك الكثير من الطاقة. لكنه في الواقع لا يرى الصورة الحقيقية للعالم. فنحن نعيش في عالم، خلق عن طريق تفكيرنا وانفعالاتنا، ونتفاعل معه ضمن إطار نموذجنا نحن ومن دون ندم نلقي جانباً كل ما ينافي ذلك. عندما يبدأ نموذجنا بالتمايز عن الواقع، ندافع عنه بعدوانية أشد، بعد ذلك نصاب بالاكتئاب ونقع في براثن المرض ثم نموت. وبهدف تغيير نموذج العالم نصرف الكثير من الجهد. وإن الإنسان الذي يمتلك نموذجاً ضيقاً ومحدداً للعالم نصفه بأنه مجنون. المجنون المتعنت: هو ذلك الشخص الذي لا يرغب في أن يتطور. وإن ذلك الشخص حكم على نفسه بنفسه. وإذا اهتمت الحكومة بمثل ذلك الشخص، تكون بذلك قد دعمت عملية الانحطاط، حيث تصاب الدولة نفسها بالانحطاط ثم الموت.

لقد تذكرت قولاً مأثوراً ذكياً، قرأته في إحدى المجلات: إذا أردت أن تساعد شخصاً جيداً، اعمل إلى جانبه؛ وإذا أردت أن تساعد مسناً اعمل بدلاً عنه؛ وإذا أردت أن تساعد حرفياً ماهراً دعه يعمل؛ وإذا أردت أن تساعد مجنوناً تكون أنت المجنون! هذا يعني، أن الشخص الذي لديه نموذجاً ضيقاً ومحرفاً عن العالم، لن يستمع إلى النصائح السلمية. لمساعدته يجب أولاً تخريب نموذجه - الأمراض والتعاسة والمصائب تقوم بهذه المهمة. فقط عندما يشعر بنفسه أن نموذجه غير مناسب، عندها يستطيع أن يغير قناعاته، ويتمكن من تقبل أشياء كان يرفضها سابقاً. إنه اختياره الشخصي والمؤلم.

تقف امرأة شابة، تجلس في الصف الرابع، وتبدأ بسرد قصتها: منذ مدة طويلة وأنا أقرأ مؤلفاتكم. لم أستطع اجتياز التجربة، لذلك حصل الطلاق بيني وبين زوجي. وأعيش الآن وحيدة مع ابنتي الصغيرة التي أتولى تربيتها، إني أمر بوضع صعب لا يحتمل. أريد أن أنمي الناحية الروحية لدي، لكني لا أجد الوقت الكافي للقيام بذلك، إنني أشعر أني في وضع لا مخرج منه، أشعر ببداية الاكتئاب. أريد ترك ابنتي والالتحاق بالدير. أجبني من فضلك، هل أستطيع فعل ذلك؟

إنني أفهم لماذا افترقت مع زوجها. المرأة التي تقدس الروحانيات، ليس بإمكانها أن تسامح زوجها. كل ما نقدسه، يجب أن يكون راسخاً أبداً. وعندما نقدس الروحانيات، نقدس الكمال، وإن أي انحراف عن المثالية وأي خلل يحصل لا يترك أمامنا فرصة للحفاظ على الحب والتسامح.

أنظر إلى المرأة بتمعن وأفهم، ما يجب قوله لها، من غير المفيد لها التمسك بالمثل، إن لديها صورة مشوهة عن العالم، وقد استبدلت عن طريق نموذجها هذا مفهوم الحب بالروحانية. كل من في القاعة ينظر إلي، منتظراً ما أقول.

وجهت السؤال للمرأة: ما هي الروحانية؟

لم تفكر ولم تجب عن سؤالي. لكني أعتقد، أنها لا تسعى للروحانية. بل ببساطة إنها تريد الخروج من حالتها المؤلمة. إنها تعاني من حياة صعبة، لذلك خلقت لنفسها نموذجاً جميلاً وملائماً وتقوقعت داخله - إنه عالم الروحانيات الجميل والعادل. من المفترض أن تكون الحياة داخل الدير أسهل. إن تقديسها للروحانية في أعماقها - يعني تعطشها للدخول في عالم جميل ونظيف يخلو من المشكلات والنزاعات، إنها ترغب أن تكون في الجنة وتعود لاحتقار زوجها وهذا العالم الذي تسبب لها بالآلام. إنها تريد حباً جميلاً ونظيفاً دون آلام، وعذاب وخيانة، إنها تريد من قلبها أن ينبسط دون أن ينقبض أبداً.

يمكن للإنسان أن يتغلب على الألم عن طريق الحب والسعي إلى الله. عندما تبدأ برؤية الله في كل شيء، وتتفاعل مع أي عقبة بدافع من المحبة، عندها تتولد لديك الطاقة اللازمة للتأثير على هذا العالم المحيط والتحكم به. إنها لم تتعلم أن تحب وترغب فقط بالتهرب من الألم. ماذا يفعل الرهبان في الدير؟ إنهم يعملون في عزلة داخل

ديرهم، يحدّون ويكبحون رغباتهم ويصلّون. لكنها تعيش هذا الوضع نفسه الآن. إنها تحتاج لأن تعمل لكي تطعم طفلتها. إن إمكانياتها محدودة، إنها تكبح نفسها في كثير من الأمور، لكن الوقت اللازم للصلاة يمكن إيجاده دائماً. إن حياتها الحالية أشبه ما تكون بالحياة داخل الدير، لكنها لا تفهم ذلك ولا تريد أن تفهمه.

العالم المحيط هو نقطة ارتكاز محبتنا. حيث تتوافر إمكانية منح الطاقة - أي الحب، السعادة والصلاة! أما الروحانية: فإنها نتاج وانعكاس للحب. بعد انتهاء المحاضرة قمت بطرح بعض الأسئلة على الحضور:

ما هي صفات الإنسان الروحاني والمتدين؟ لا أحد تمكن من الإجابة على الإطلاق، عندها أخذت أساعدهم.

- هل يمكن للشخص الروحاني والمتدين أن يكون قاسياً؟

- يمكن.

- هل يمكن أن يكون بخيلاً؟

- لا يمكن.

- هكذا بدأنا بتلمس بعض الصفات. هل يمكن للشخص الروحاني والمتدين أن يكره؟

- بالطبع لا.

- هل يمكنه أن يستاء؟ أيضاً لا، إن الإنسان الروحاني من السهل عليه أن يسامح أكثر من الآخرين.

- هل بإمكان الإنسان الروحاني لوم واغتياب الآخرين؟

يسود الصمت لبرهة.

- أي الإنسان الروحاني الحقيقي يجب أن يوجه الإدانات للآخرين.

عقب أحد الحضور بقليل من الثقة.

- ما هي الروحانية الحقيقية؟. تسود برهة من الصمت.

عقبت أنا: إن الإنسان الروحاني ليس ذكياً فحسب، بل يجب أن يكون حكيماً الحكمة هي العقل المتوحد مع المحبة. هل يكثر الشخص الروحاني من الطعام؟ الجميع يجيبون.

- لا. بالعكس، إنه يأكل أقل من الآخرين. ليس عبثاً عندما يقال: المؤمن يتغذى من الروح القدس.

- هل يمكن أن يكون الإنسان الروحاني (المتدين) طماعاً أو متعنتاً أو حسوداً؟

- جاء الجواب سريعاً من الحضور: بالطبع، لا.

- اقترحت أنا: دعونا نعمم ما توصلنا إليه من نتائج. في العادة، إن الإنسان المتدين هو إنسان حكيم، أي إنه يرى الأسباب والنتائج ويربطها بالأحداث الحاصلة في العالم المحيط. إنه يفهم الرابط بين الفعل والنتيجة، أي إن الإنسان الروحاني (المتدين) هو إنسان حكيم وبعيد النظر. وإن تفكيره الاستراتيجي منظور، إنه يرى عواقب أفعالنا في المستقبل البعيد. إن المتدين يتحسس التوحد مع جميع الناس، لذلك لا يمكنه أن يحقر أو يهين أو يخون الآخرين. إن الشخص المتدين لا يمكنه أن يتصف بالجشع أو الطمع. إنه يقدم على التضحية برحابة صدر، ويستطيع أن يكبح رغباته، ويهتم بالآخرين. إن الإنسان المتدين يمكن أن يكون قاسياً ومثالياً، ويدافع عن حبه ومواقفه الأخلاقية ولا يسمح للآخرين التحكم به وبقراره. لنحاول تعميم هذه الأمور.

إن الإنسان الذي يتغلب على الحسد والبخل ويكبح جماح شهواته الجنسية أو غريزة الطعام، يكون بذلك قد قلل الارتباط بينه وبني الوسط المحيط. كيف الوصول إلى تقليل هذا الارتباط؟ يمكن ذلك عن طريق التضحية وكبح جماح النفس. ولكي نستطيع التفكير بتجرد، يجب علينا أن نكون مجردين عن الهدف والمنافع. ولكي تكون حكيماً يجب عليك أن تكون منعزلاً عن الوسط المحيط. لذلك فإن أسلوب كبح الرغبات، قلة الكلام تساعد على التدين والروحانية. عندما ننفصل ونبتعد عن العالم المادي، يصبح من السهل علينا الدخول إلى المستويات الرفيعة. فهناك يكون مستوى التوحد أعلى. وتكون الارتباطات أوضح بين الظواهر، ويتجلى المستقبل. وتكون الإمكانيات عالية، مع الخروج إلى المستويات الرفيعة، تصبح الارتباطات مع العالم المادي أقل.

إن كل ذلك عبارة عن تغلغل ونفاذ إلى المستويات الرفيعة. يجب ألا ننسى إبليس فهو أكثر الكائنات تمتعاً بالروحانية العالية. لذلك إذا صحنا، وحددنا وظائفنا

الخارجية وكبحناها، وإذا قللنا من الكلام أو اعتكفنا، فإن كل ذلك يعني أننا نرسل الطاقة الخارجية باتجاه المستويات الرفيعة. وهنا ننتقل من طاقة كامنة إلى أخرى. لكن إذا بدأنا بتقديس هذه الروحانية، سوف يخرج الحب من أنفسنا، كما لو أننا عبدنا فقط الحالة المادية. من أجل هذا، قال المسيح: «..الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ»[1].

إن إبليس مخلوق عبقري لكن من دون حب. يجب أن نفهم، أن الروحانية هي إحدى أطياف معرفة الله. وأن المادية والروحانية يجب أن يدفئها الحب. إن من يقدس المال. ويعبد الرغبات والشهوات ورغد الحياة يتحول إلى حيوان. والذي يقدس العزلة، عن طريق المستويات الرفيعة تزداد إمكانياته، ويتحول إلى شيطان. فقط من يقدس الحب يمكنه أن يكون روحانياً دون أن يتنكر لما هو مادي، مع كبح رغباته إلى حد ما في هذا الاتجاه أو ذاك. حتى يجب أن نكبح أنفسنا بما هو روحاني أيضاً.

لا يمكن أن نقوم بتنمية مقدرة الطفل، قبل تعليمه وتربيته على الأخلاق الحميدة. وإذا لم يستطع الطفل أن يحب، فإن نمو إمكانياته وقدراته بفاعلية سريعة سوف يحوله إلى مجرم على الصعيد الجسمي أو الروحي. وإذا لم تتعلم الحضارة الإنسانية الحب، وإذا انحدرت لديها المؤشرات الأخلاقية باتجاه الحضيض، فمن الضروري جداً كبح تقدمها التكنولوجي، وإلا سوف يكون نتاج هذه الحضارة أناس أقرب إلى الشياطين، وبالنتيجة النهائية سوف يكون الفناء مصير هذه الحضارة. إن الإنسان الروحاني الحقيقي ليس ذلك الشخص الذي يكبح نفسه في المجال المادي لصالح الروحانية فقط، بل وأيضاً من يستطيع أن يكبح نفسه في المجال الروحاني لصالح الحب. وإذا أردنا أن نفهم ماهية عاطفة الحب بكافة جوانبها، لا بد لنا من السعي إلى الله وأن نتوحد مع المحبة الإلهية. في مثل هذه المحبة، يضغط الكون في نقطة ثم يخرج من نطاق الزمن.

ما هو الحسد والغرور؟ إنهما انقسام الزمن إلى تيارين، يتجلى الفراغ عن طريق الزمن. إذا كان الهدف الذي تسعى إليه أعلى منك، فإنك تسعى إليه، وتخاف أن تفقده وهذا يولد الغيرة. وإذا كان الهدف يقع في الأسفل منك، فإن تدبيره

1- العهد الجديد: لوقا (1: 53).

وتتحكم به، فهذا يولد الحسد والغرور. إن هذا وذاك عبارة عن مؤشرات الارتباط بهذا العالم. وبهدف التغلب على الحسد، يجب أن تكبح الرغبات وأن تخفف من ألم الشخص الذي تحب. ولكي تتغلب على الغرور، يجب أن تضحي وألا تأسف على الماضي. وإن أحد مؤشرات العجرفة الداخلية الرئيسة - هو عدم تقبل الماضي، وإن الشخص المعاق دائماً وفي كل ثانية، يتأسف على وضعه الحالي وإعاقته التي اكتسبها من الولادة أو بسبب حادث ما. إنها تجربة جدية وحقيقية جداً. إنها يمكن أن تتحول إلى موجة مستمرة من التدمير الذاتي، ويمكن أن يحدث العكس، إذ تتحول الإعاقة إلى أداة تطور وسمو للروح والنفس. وعندما تتولد في نفسك في كل ثانية طاقة تسعى لأن تتحول إلى ندم وأسف وعداوة للماضي، عندها يجب أن تمنع نفسك من مثل ذلك التفكير، وتحوله إلى طاقة محبة وتقرب من الله.

يجب ألا تبعد نفسك ولا الآخرين. في حياتنا الأولى إذا اعترفنا بقدسية اليسار وفي الحياة التالية قدسنا اليمين. عندها تكون محبة الله ضعيفة، ويصبح تفكير الإنسان ذا قطب واحد أو من جانب واحد، وحتى يكون سعيداً يشعر برغبة إذلال الآخرين والضغط عليهم. في البداية سوف يدوس الآخرين بعدها ينتقل إلى نفسه ليدوسها ويذلها. فلا بد من الاهتمام والعناية بالنفس ورفاه العيش، لا يسمح بكبت الرغبات بشكل تام أو محاولة قتلها. ففي كل رغبة من رغباتنا يوجد ومضة ربانية، لذلك يجب ألا نكبح رغباتنا بشكل مطلق، بل يجب علينا تهذيبها وتحويلها إلى ما هو إيجابي.

وهناك اتجاهان: الأول: عندما يعبد الشخص نفسه ويصبح أنانياً بالمطلق، حين ذلك تظهر عليه بشكل متزايد صفات الوقاحة، وعدم الاكتراث والاهتمام بالآخرين، وإن ذلك الشخص يصبح عدوانياً بصورة متزايدة. وهناك أيضاً اتجاه ثاني: هو عبادة الآخرين. يسمى ذلك في الأرثوذكسية استرضاء الناس. وحب الآخرين بشكل مطلق يزيد من العدوانية الداخلية، لأنه يقوى العلاقة مع الوسط المحيط. وإن الضغط المستمر على النفس لصالح الآخرين يولد الكره الداخلي تجاه الوسط المحيط، وهذا طبيعي. عاجلاً أم آجلاً سوف نبدأ بكره ما كنا نعبده أو نقدسه. لذلك، فإن نداءات محبة الآخرين بشكل مطلق تناسب فقط الأشخاص الأنانيين.

خير الأمور الوسط، لكن مع ذلك فإن قانون التطور يحتم أن تكون غاية الإنسان هي العطاء أكثر من الأخذ والاستهلاك، عندها يستطيع أن يتطور. إن الخلية تفكر بنفسها، لكن القسم الأكبر من طاقتها تمنحه للجسم. دققوا في مغزى هاتين العبارتين: شخص يضحي بنفسه من أجل إنقاذ المجتمع، هذه الحالة تسمى بطولة. أما الحالة الثانية: شخص يدمر المجتمع من أجل إنقاذ نفسه! ابحثوا بأنفسكم عن تسمية مناسبة لمثل هذه الجريمة.

إن التقاليد الاشتراكية المتبعة عودتنا أن نضحي بأنفسنا ومصالحنا الشخصية لصالح المجتمع من دون قيد أو شرط وإن هذا يؤدي إلى تقديسنا للمجتمع، وهذا شيء طبيعي تماماً. في الدولة الملحدة، من الضروري ممارسة عبادة وثنية، إما عبادة شخص القائد أو المجتمع. في الحقيقة إن الإنسان المؤمن سوف يهتم بنفسه وبالآخرين، هذا الاهتمام مع الزمن سيؤدي إلى التقليل من احتياجاته وسوف يبتعد عن الاهتمام بالآخرين إذا أدى ذلك إلى إفسادهم. وإن حب الآخرين يجب ألا يؤدي إلى التقليل من قيمة وكرامة الإنسان. وإن الاهتمام بالشخص الآخر يجب ألا يصل إلى المستوى المطلق.

الآن في الدول الأوروبية، أصبحوا يتعاملون مع المهاجرين الغرباء بتعاطف أقل. إن التعاطي معهم وحيد الجانب، وذلك أدى إلى حصول مشكلات ديموغرافية جدية: أن تهتم قليلاً بالإنسان وتطلب منه الكثير. لكن عندما تؤمن زيادة الثقافة، ودراسة اللغة، وتنمية نمط التفكير الاجتماعي، أي أن تعامل المهاجر كأي مواطن صالح في المجتمع. وبدلاً من كل ذلك فقد أعطوهم المال والحماية والضمان الاجتماعي، هذا جعل حالة المهاجرين المادية أفضل من سكان البلاد الأصليين. فجأة اكتشف الأوروبيين والأمريكيين بهلع، حقيقة أن المهاجرين لا يريدون أن يتعلموا، ولا يحترمون القانون، ولا يريدون أن يعملوا لصالح المجتمع، بل تحولوا إلى طفيليين يريدون العيش عالة على حساب الآخرين. وتبين أن عمل الخير والاهتمام يجب أن يكون موجهاً إلى عناوين محددة. ليس كل شخص يمكن مساعدته ولا كل شخص يمكن قبوله. إحدى المغنيات عبرت عن ذلك بقسوة لكن بدقة. يجب مساعدة الأقوياء فقط، أما المال يجب إعطاؤه للأغنياء. عندما تعطي الفقير

مالاً تفسده. الفقير يكفي إعطاؤه قطعة خبز. عندما تساعد الضعيف تفسده. يجب تعليم الناس أن يهتموا بأنفسهم.

يمكن مساعدة الشخص الذي يكون مستعداً لتطوير نفسه وتغيير ما بداخله، ويتمكن من اجتياز المراحل المؤلمة في طريق سيره نحو الكمال. من الضروري جداً مساعدة الطفل بشكل عام، أما مساعدة الشاب يمكن أن تكون أقل من ذلك بنسبة 50٪، أما مساعدة الرجل البالغ يجب أن تكون بالحد الأدنى. إذا تم مساعدة شخص لا يريد أن يتعلم منح الحب والطاقة، فإن ذلك يكون ضاراً وخطراً، لأن ذلك يعد مكافأة له مع رفضه للحب. لذلك عندما تقدم الدولة مساعدة للمشوهين، يجب أن تطلب منهم أن يطوروا أنفسهم أخلاقياً، كم يبدو ذلك غريباً. أي يجب أن يشعر الشخص أن المساعدة التي تأتيه ليس بسبب كونه مشوهاً، حتى يشكل ذلك دافعاً له لمزيد من التطور الداخلي. عندما يمنع الخالق عطاؤه من جهة، لا بد أن يعوضه من جهة أخرى.

إن النظرة الكلاسيكية الهندية القديمة بما يخص مشكلة المرض أو الإعاقة، تعتمد على أن ذلك يحدث عقاباً وحساباً لذنوب تم اقترافها. توجد أسطورة تقول أنه في مملكة إسرائيل القديمة وجد كتاب دون فيه كل إثم وما يقابله من مرض كعقاب يحاسب عليه مرتكب الإثم. لكن اليهود تخلصوا من ذلك الكتاب ودفنوه تحت الأرض، حتى لا يعرف أحد نوع المرض الذي يقابل كل إثم. من أمد ليس بالبعيد فهمت لماذا: حتى لا يحصل احتقار أو إدانة أو اتهام للشخص الذي يتعرض للمرض.

إن المسيحية خطت خطوة أكثر تقدماً في مستوى الفهم والوعي، لأنها احتوت على مستوى عال من محبة الله. هنا تم الكشف عن حقيقة أخرى: المرض ليس عقاباً وحساباً فقط لإثم أو خطأ تم اقترافه، بقدر ما هو تحضير للروح لأحداث عظيمة مستقبلية. شئت أم أبيت، لكن المرض يجعل الشخص يتوجه لله. هنا يكون بيت القصيد. كلما كان توجهنا لله قوياً، كان احتمال مرضنا ضعيفاً.

في هذه المحاضرة أخبرت الحضور: «إذا ما أعطيتم المجنون مالاً، فهو لن يجيد الانتفاع به وسوف يهدره سدى». ربح أحد الأشخاص في أمريكا جائزة كبرى

في سحب (اليانصيب)، حيث أقدم على شراء سيارة جديدة نوع «فيراري» وبعد نصف ساعة تعرض لحادث سير قضى داخلها. لذلك لا يجب إعطاء المجانين كمية كبيرة من المال، وهذا في صالحهم. وهذا ما يحدث بالضبط بما يخص الطاقة. عندما تمنح شخصاً ما طاقة كبيرة لا يحسن استخدامها، فإنها قد تقتله. ومن لا يستطيع كبح رغباته أو شهواته، ومن لا يستطيع تحويل طاقة غريزته إلى طاقة إلهية، فإن ما لديه من طاقة زائدة تجعل منه شخصاً شهوانياً وشبقاً، وبخيلاً ومتعجرفاً وقاسياً ...إلخ لذلك نجد أن الشخص الذي يحمل عقيدة فاسدة وعادات سيئة تكون لديه كمية الطاقة منخفضة، وذلك حتى يتمكن من العيش فقط. أو قد يمرض، حتى يتم كبح تصرفاته الخاطئة والحد من نمط حياته السيئ.

لقد أنهيت محاضرتي بعد أن أصبت بالإعياء وأخذ رأسي يطن، لقد كان من الواجب أن أنهي محاضرتي قبل 20 دقيقة. لقد أوقعت نفسي في شرك استرضاء الآخرين، وعلى الفور تغير رد فعل الناس: أعطنا، الآن! مد لنا يد المساعدة على الفور! أنقذنا! هذا ما ظهر لي عبر أعين ونظرات الناس في الدقائق الأخيرة بعد أن غادرت خشبة المسرح ماراً بالممر. شعرت أني أحتاج لأن أعرج على غرفة التجميل لإعادة تجهيز نفسي.

أحاول أن أتأكد فيما إذا قمت باقتراف أي خطأ في نهاية محاضرتي، إني أرى رغبة مضاعفة بالموت ضمن مستوى طاقة مصيري. أي إن محاولة مساعدة الأناس الآخرين أخذت تتحول إلى تدمير ذاتي، دونما حاجة ولا باس أحاول أن أهدئ من روعي، لا نستطيع تعلم كل شيء دفعة واحدة. كنت أضجر في الماضي من الآخرين الذين يحاولون امتصاص طاقتي. وأقول لنفسي: كفى! لن أعود إلى مساعدة مثل أولئك! الآن أصبحت أفكر بطريقة مختلفة إن الناس غير مذنبين، إن طريقة تعاملي مع الوسط ليست صحيحة، هذا ما دفعهم للتصرف هكذا. إن المساعدة يجب أن تكون بصورة صحيحة! يجب تجاوز طريقة العيادة المعتادة وكذلك القيم الإنسانية الرفيعة. عند مساعدة الآخرين يجب ألا يصل الأمر إلى درجة الخضوع لهم. ويجب عدم نسيان إرادة الخالق، لأن المساعدة الأساسية تأتي منه. وعندما يهتم المريض بالمعالج ويتوجه إلى الله بالمحبة، فإن ذلك يعد بداية الشفاء.

أسير في السيارة وأنظر إلى مدينة الشمس الساطعة عبر النافذة، إنه يوم من أيام الصيف الحارة مع أننا في نهاية شهر أيلول. أشعر بخفة محببة في النفس، على الرغم من التعب الجسمي. «إن ذلك يعني أن العقيدة متوازنة، طالما أن الطاقة ظاهرة وعن طريق ذلك إنها تعبر عن نفسها - فكرت أنا - إن ظاهرة التحلق هذه ليس لها علاقة بأي شيء. عندما تساعد الآخرين بشكل صحيح، هذا يعني أنك تساعد نفسك أيضاً. إن الأمر بالنسبة لي سيان إن امتلأت الشوارع بالأمطار والعواصف الهوجاء أم أشرقت الشمس المهم «أن لعمل قد أنجز - فكرت في نفسي - والنتيجة ليست سيئة».

المستقبل

في شهر كانون الثاني من عام 2006 ألقيت محاضرة في مدينة خاركوف. وأعلنت لتلك المحاضرة قبل شهرين من ذلك الموعد، بدأ بيع البطاقات قبل شهر. غالباً ما أتلقى دعوات كثيرة للتحدث وإلقاء المحاضرات في مدن عديدة في الغالب أرد بالاعتذار والرفض. وإن السبب الرئيس في ذلك كان من المرة الأولى عندما تم تسجيل محاضراتي على الفيديو حيث قررت عدم تكرارها.

لقد فهمت في المدة الأخيرة. لا داعي لتكرارها مطلقاً. بالتأكيد يوجد عادة وتقليد يجب مراعاته. وفي كل مرة يتم اتباع بنية معينة من حيث المبدأ تكون واحدة دائماً، أما من الناحية الخارجية فيمكن تغييرها حسب الرغبة، بالمناسبة لدينا نحن سكان القرم تقليد شائع وهو نخب يتم رفعه أثناء لقاء الأصدقاء.

لقد شردت، لنعد إلى المحاضرات. إن الشيء الذي لا أرغب بتكراره، له إيجابيات وسلبيات. فمن الأمور الإيجابية، أنني شخصياً أشعر بالمتعة عند إلقاء المحاضرة، وإنه عمل يتطلب منح الكثير من الطاقة ويحرض على الإبداع والإتيان بأفكار جديدة تتولد مباشرة في قاعة المحاضرة عند إلقائها. لذلك أنا أتحسس القاعة وأسيطر عليها. ما هي الخطورة المتأتية من التسجيل الصوتي (الفونوغرام)؟

أنها تقود لنشر التصنع. إن النطق، الصوت طاقة، يتم التواصل مع القاعة بواسطتهما، لذلك لكي تضبط القاعة دون التسجيل الصوتي، لا بد من طرح كمية كبيرة من الطاقة، وليس كل شخص قادر على فعل ذلك.

إن لاوعينا يعمل وفق مبدأ الثنائية، في داخله تجري إما عملية الانحطاط أو التطور. في على سبيل المثال نشر التسجيل الصوتي عبر سنوات عدة يرده دخل مالي منها يفوق كثيراً ما يستحقه على أرض الواقع. لاحقاً لسبب ما تتولد لديه مشكلات نفسية وجسمية. ولكي لا يتم ملاحظة هدر الطاقة لديه يتم تغطية أدائه عن طريق راقصي الباليه والاستعراضات الراقصة، بينما يبدو المطرب على المسرح بحالة متوترة، وتكون روحه خاوية.

نعود إلى موضوع المحاضرة. من إيجابياتها، الإبداع، أما الأمر السلبي فهو: تكرار إلقائها وهذا ما لا أستطيع تحمله. لكن ذلك أصبح يسعدني الآن.

إني أتذكر كيف أنه في عام 1995 أصبحت مشهوراً وذائع الصيت. بدأت تنهال علي الكثير من الدعوات لإلقاء المحاضرات في العديد من المدن. في البداية كنت أشعر بالمتعة، التنزه والتعامل الاجتماعي، والدخل الجيد، عندها أصبحت مشهوراً وأضحت القاعات التي أحاضر بها تغص بالمستمعين.

في أحد الأوقات من منتصف عام 1997 بدأت أشعر أن التعب أخذ ينال مني. إنني أقدم معلومات جدية، ويتطلب مني ذلك بذل جهد لا بأس به للسيطرة على القاعة بشكل مستمر. إضافة إلى ذلك أقوم بالتنبؤ. عند الإجابة عن الأسئلة، يجب علي ليس مجرد إعطاء إجابات محددة، بل صياغة الإجابة بشكل أكون قادراً على مساعدة من طرح السؤال. في بداية عام 1998، شعرت أنه لم يعد لدي ذلك الاهتمام وأصبحت عاجزاً عن التركيز.

أنا الآن لم أعد كالسابق، ألقي اللوم على التعساء الذين يبتلعون المال والأعمال. تبين لي أن كل ذلك يعمل كما المخدرات. إن الذي ساهم في إنقاذ حياتي، هو الانكماش الذي حصل عام 1998، أخذ الناس يعرضون عن الحضور إلى محاضراتي لذلك تمكنت من التقاط أنفاسي. عندها قلت لنفسي. سوف أتابع إلقاء المحاضرات لمتابعة النحو، ولمساعدة الناس، وللحصول على المتع وبعض المال.

إن منظومة الأولويات! التي تهمني سوف أشرحها وفق المثال التالي: إحدى السيدات تحلم أن تتزوج، وعندما أتاها من يطلب يدها، سألته عن موقعها في حياته. يجيبها: «عزيزتي تحتل أمي الموقع الأول في حياتي، ويحتل عملي المرتبة الثانية، ومزرعتي المرتبة الثالثة، المرتبة الرابعة فارغة، وأنت تليها».

وهكذا حصل معي في عام 1998 شغل لدي العمل المرتبة الخامسة. سابقاً لم أقم بإلقاء أي محاضرة في خاركوف، مع أنها تقع على طريقي إلى القمر. بعد ذلك أخبرني أصدقائي أنها أهم مركز ثقافي في أوكرانيا حيث يكثر فيها الطلبة، ومن الضروري جداً أن تخطب هناك، مع العلم أنه في أيلول من عام 2006، عندما ألقيت محاضرة للمرة الثانية هناك، فلقد كان عدد الحضور أقل، مع ذلك فلقد شعرت بالمتعة جراء تحدثي.

في منتصف شهر تشرين الأول عام 2005 عندما تم البدء ببيع البطاقات لحضور محاضرتي الأولى في مدينة خاركوف، بالنسبة لي أصبح من الأمور العادية حصول الاتصال المباشر بيني وبين المستمعين في الوقت الذي يسبق إلقاء المحاضرة أو مع المرضى قبل المعاينة. بعد عدة أيام من موعد الندوة، أشهر بتعب شديد. جميع الحوارات والتأثيرات والمقابلات تحدث قبلاً في المستويات الرفيعة. في ذلك الوقت بالذات يحدث التصنيف. عندما لا يكون الشخص جاهزاً، أو عندما يتعذر عليه الحصول على موعد في العيادة، تصبح في مثل الآونة إمكانية للقائي. لكي قد لا أكون مستعداً لذلك وإلقاء المحاضرة يمنعني. عندما أرغب في مساعدة الناس للتطهر من الأوساخ والذنوب، على قبل كل ذلك أن أتطهر أنا شخصياً. إن شئت أم أبيت، أثناء الاختلاط ولا سيما عند التنبؤ، فإن درن الروح قد تنتقل إليك. لهذا السبب بالضبط قد يصبح الكثير من الأطباء النفسيين مشابهين لمرضاهم.

أما ما يخص المستمعين الذين قابلتهم في شهر كانون الثاني، فقد أحسست كيف أنهم أخذوا يتواصلون معي في المستويات الرفيعة، وأحيانا ألمس، كيف أنهم «يحرجونني» ودون أن أحس بسبب تأثيرهم الرقيق جداً. لقد بدأت علاقتي بالقيم الأساسية تزداد بشكل كبير. إني أعتقد، أنه مع مرور الزمن، يتوصل الناس إلى قناعة مفادها، أن الروح أكثر أهمية بكثير من الجسد، عندها سوف يتحسسون،

الخطورة التي تؤدي إلى انحطاط الروح. سابقاً لم أكن أستشعر ذلك. لسبب ما لم تعمل آلية الأمان المألوفة. سوف أتحدث كيف أنها تبدو.

افترض أنه سوف تتلقى في المستقبل مالاً، وتحظى بجاه وشهرة؛ وأن روحك في المستويات الرفيعة قد تفاعلت مع ذلك تماماً. لقد ذكرت سابقاً، أن انفعالاتنا العميقة تتفاعل مع المستقبل كما في الحاضر. وعن طريق تتبع الانفعالات، يمكن أن أحصل على معلومات عن المستقبل. وهكذا تشعر النفس بالغرور ويحس في اللاوعي بالأنفة والتكبر والعجرفة، ويصبح الشخص في عقله الباطني على استعداد لاضطهاد وإذلال المقربين منه والغدر بهم، قبل أن يتوصل إلى النجاح أو يحصل على المكاسب المادية. وهم يبدؤون بالتفاعل مع ذلك الوضع، يبدأ الآخرون بتوجيه النقد اللاذع له، دون أن ينتابهم أي شك بوضعه الحقيقي، هنا يبدأ الأهم: إذا كانت لديك القدرة على مسامحة الأقرباء على ظلمهم وإهانتهم، وإذا كانت آلية تقبل الألم تعمل إضافة لتوفر الحب، عندها فإن روحك تستطيع أن تعيد نفسك إلى توازنها وتمنحك السعادة الإنسانية القادمة من المستقبل، بدلاً من قتلك داخلياً. إن التسامح وطيبة النفس بالنسبة لشخص ما قد تكون أساساً لسعادته ولغناه، وقد تكون خطرة على شخص آخر فيما لو اتصف بها. بالمناسبة قد يحصل الشيء نفسه مع التعاسة. أنا في معظم الأحيان أرى ما يحصل مع شخص وكيف تتحرك مصائب كبيرة في مستوياته الرفيعة، وكيف أنها كانت يجب أن تنزل به قبل سنوات عدة، وإذا حصل وتعرض لها، عندها سوف يبدأ الشعور بالرعب والكره، الكآبة، ويؤدي ذلك لحصول وضع غير مفهوم، وبسبب عوامل خارجية والتي تجعل من التعاسة أمر حتمي.

كيف يبدو ذلك؟ على سبيل المثال، شخص ما ينتظر بعد 3-4 سنوات انهياراً في مستقبله. لنفترض أنه كان عليه أن يموت، أو تفلس شركته أو تنهار أحلامه. هو يتحسس لتلك الحالة في اللاوعي، لكن في مستوياته السطحية، تنعكس على أرض الواقع لتظهر على شكل خيانة زوجية. لماذا؟ إن انهيار المستقبل لديه مرتبط بخيانة شخص قريب منه، بعد عدة سنوات يجد أن الموت ينتظره، من مؤشرات هذه الظاهرة، ظهور غيره ليست طبيعية تجاه الزوجة بشكل مفاجئ. وإذا حاول ذلك الشخص أن

يحافظ على مشاعره وفق المخطط التالي: وبما أنه لا يوجد دخان من دون نار، وعندما يلقي بنفسه في دوامة الشك التي لا قرار لها، ويقدم على تصرفات عدوانية طائشة تجاه زوجته، إن تصرفه بهذا الشكل يكون كمن يلقي بنفسه إلى التهلكة بدلاً من السعي لتصحيح الأمور. بذلك يجعل من تصرفاته مشكلات لا حل لها.

إن الماضي والحاضر مترابطان في وحدة متكاملة، ونخرج باتجاه المستقبل عبر انفعالاتنا. الانفعالات هي الرابط الذي يصل الحاضر بالمستقبل. إن انفعالاتنا الخاطئة تحديداً في كل جزء من الثانية تتسبب إما بتدمير مستقبلنا أو على العكس تعمل على خلقه وتطويره.

وحدها المتناقضات تؤمن التوازن فيما بينها، إلى جانب الشخص البخيل يتواجد اللص، وإذا أظهر بخلاً حتى في مستقبله، يظهر شخص على النقيض من ذلك لا يقيم للمستقبل أي وزن أو اعتبار كونه يقدس نقيض المادية. ويتواجد إلى جانب الإنسان المثالي النذل والسافل. ففي روسيا كان دائماً الوعي والمصلحة الجماعية يفوق المصلحة الفردية، وبما أن الإيمان كان ضعيفاً، فإن الشعب في معظم الأحيان كان يتحول من الحب إلى الروحانية. في المرحلة السوفيتية كنا نسعى ليس باتجاه الخالق بل إلى المستقبل الزاهر.

إني أتذكر عندما وجه إلي أحد الأشخاص السؤال التالي:

«إن الأديب العبقري تشيخوف، توفي مبكراً جداً. وكان سبب الوفاة مرض في الرئة. حسب توصيفك إن سبب ذلك هو التكبر، لكنه كان يتصف بأنه شخص شديد اللطف والوداعة، وروحاني. كيف إذاً يمكنك أن تفسر سبب وفاته»؟

- هل تتذكر أهم مؤلفات تشيخوف وهي مسرحية «طائر النورس»؟ والذي بطلها تريليف - أنه يكتب مسرحيات في كل الموضوعات، لكن لم يكن هدفه على الإطلاق كسب المجد والشهرة، بل إنه يريد أن يخلق عالمه الخاص، حيث ينتفي وجود الألم والذل والظلم. ويريد أن يعيش في مثل ذلك العالم الخيالي، حيث لا خالق ولا حب ولا ألم، بل عالم يتمكن الإنسان فيه من تلبية الرغبات كافة مرة إثر أخرى. أخذ يسير باتجاه الواقع الحقيقي. وبدلاً من تقبل الألم باعتباره دافعه نحو

الحب، راح يزداد كرهه شيئاً فشيئاً للوسط المحيط بأكمله، لدرجة أن رغبته أصبحت جامحة في تدمير ذلك العالم. وها هو يقتل طائر النورس. إنه نوع من الاحتجاج ضد الكون بأسره، واستعداد لتدميره. توجد أسطورة تقول: إن أرواح البحارة الأموات تنتقل إلى طيور النورس، وإن طائر النورس هو رمز للروح البشرية. وإن البطل الأساسي في مسرحية تشيخوف «طائر النورس» عن طريق كره العالم بأسره، يصبح نوع من التصرف الإبليسي، إنه نوع من قتل الروح. عندما تموت الروح، يصبح الجسد مقضياً عليه، لذلك نرى أن انتحار بطل مسرحية تشيخوف الأساسي أمر طبيعي تماماً. إن تشيخوف الذي تقمص دور بطل قصته تريبلوف، قد أطلق صفة الكوميديا على قصته، في الوقت نفسه حاول الابتعاد عن مثل تلك الترهات والمشكلات المعقدة، محاولاً تجاوز علاقته بها.

إن قادة المجتمع يعكسون بأشخاصهم النزعة العامة لأعضاء ذلك المجتمع. وإن الفنانين والكتاب والسياسيين يسيرون في مقدمة الركب ويعكسون بشكل مباشر ما يحدث داخل مجتمعهم. وتشيخوف توفي بمرض التهاب الرئة، لأنه لم يستطع إيجاد المخرج. لقد غاص عميقاً في مشكلات البشر الدنيوية، وهذا أدى لحجب ما هو إلهي. في مثل هذه الحالات، إن المرض والموت يساعدان في إنقاذ الروح، لذلك نرى أن البطل الأساسي في مسرحية تشيخوف «طائر النورس» لم يستطع أن يجد المخرج، لذلك حكم عليه المؤلف أن ينتهي منتحراً. وهذا تماماً ما حدث مع الدولة الروسية التي تم القضاء عليها عقب الثورة».

إذا نسينا أن الله بيده مصير كل شيء، وإذا تجاهلنا إرادته، عندها نبدأ نحن بالتحكم بالزمن. بناء على ذلك فأن الحساب الكبير للزمن يصبح من الممكن التحكم به، لكن فقط على المستويات السطحية! ومن الضروري جداً معرفة متى يجب التوقف. لكننا عندما نأسف بخصوص ما قد يحصل معنا، دون أن نظن أنه داخل عقلنا الماضي نرغب في تغيير مجرى الأحداث ضمن الكون بأسره. عندها يصبح مفهوماً ما قد يحدث لاحقاً.

يمكن أن نفعل كل شيء بسرعة، لكن السرعة لا تنفع. إن التسرع هنا عبارة عن اعتداء على الزمن. أنا أقول دائماً لزبائني: إن الزمن هو مقدار أساسي

ضمن الكون. وإن الاعتداء على الزمن تكون عاقبته وخيمة.. إن عدم الرضا على الماضي وعلى الرغبات الداخلية يقابلها عدم الارتياح للحاضر، وعدم تقبل لما يحدث معك والرضا بالمصير، وقدوم المستقبل والخوف منه - إن هذا يعد تشخيصاً.

بالمناسبة، إن العامل المهم الذي يغذي الشعور بالاستياء هو عدم تقبل ما قد جرى في الماضي. إذا لم أستطع نهائياً أن أتقبل الفقدان الذي يحدث، هذا يعني أنني لا أستطيع أن أسامح الشخص الذي أساء إلي وتسبب بتلك الخسارة. من هنا نستنتج: لكي تتمكن من أن تتجاوز إساءة الآخرين، يجب عليك أن تقبل عن قناعة خسارة شيء ما. إن الخسارة التي تقبل بها: هي عبارة عن تضحية، من دون تضحية لا يوجد إيمان بالله. ما هي النتيجة؟ أن الإنسان المسيء لا يمكنه أن يصبح مؤمناً، حتى ولو واظب على الذهاب إلى المجسد أو إلى الكنسية يومياً. إنه يظن نفسه مؤمناً، لكنه في الواقع، لا يتقبل إرادة الله ويقف ضدها.

عندما تنظر إلى الغد

إني أقول لمرضاي دائماً أنه على الرجل أن يفقد كل شيء، تعجب به زوجته في داخلها، وذلك من أجل أن تتطهر روحها، لأن حالة روح الأم لا تحدد فقط طباع أطفالها بل ومصيرهم أيضاً، وحتى حالتهم الصحية والجسمية. إذا كانت الزوجة معجبة بقدرات زوجها، عندها تبدأ أعماله بالانهيار. وإذا كانت معجبة بجماله وقدرته الجنسية، فإنه في حياته القادمة سوف يكون عنيناً ومشوه الجسم، وسوف تحبه بالذات ولا من لها، وعليها أن تتقبل إذلال رغباتها الجنسية والتشويه في مفهومها للجمال، وإذا لم تتقبل الحب في نفسها، فإن القدر سوف يعاقبها من حيث لا تحتسب بشكل حتمي.

إن ما يميز العقاب الإلهي عن العقاب القضائي، أن العقاب الإلهي لا مهرب منه، إنه يأتيك من حيث لا تتوقع، ويضرب في المكان الموجع. أتذكر الفيلم الأمريكي «بيت من رمل وضباب». أحد أبطال ذلك الفيلم يتصف بمبدئية لا حدود

لها وبالتصرف السليم والصحيح. لكن لديه نقطة ضعف وحيدة وهو حبه الزائد لولده، والذي يحاول تربيته وفق شتى الطرائق والأساليب: يعلمه التعامل الأخلاقي، والاهتمام بالآخرين. مع العلم أن الأب في سبيل ذلك قد يضحي بكل شيء وقد ظلم نفسه وداس على مشاعره لكي يؤمن لولده التعليم العالي، والوضع المادي الجيد والمستقبل الزاهر. من الناحية القانونية هو على حق، ولا يستطيع أحد أن يلومه، لكن إذا نظرنا إلى ذلك من منظور إنساني، نرى أن الأب يتصرف تجاه نفسه بظلم ومن دون أخلاق، وهو يحرق نفسه لكي يضمن الرفاه لولده. لكن تصرف الوالد سوف يؤدي إلى تحطيم مصير ومستقبل ولده.

أنا أعتقد أن الكثير من الكتب والأفلام تكتب بعد اطلاع الكتاب على القضايا الجنائية. إن أفضل قصة لفيلم هي تلك التي يتم اقتباسها من واقع الحياة نفسها. إن العقوبة الإلهية لا راد لها، ولن تستطيع بأموال الدنيا أن تشتري الحكمة الإلهية. ولا تستطيع أن تقنع الخالق لحظة إنزال العقاب أن ذلك هو خرق لمبادئ الديمقراطية الغربية، إن ذلك هو من سابع المستحيلات. يوجد طريقة وحيدة لمنع العقاب الإلهي: هي أن تغير ما بنفسك، من دون حب وتقبل الألم لا يمكن حصول ذلك. وكل شيء نعبده ويعجبنا يجب ألا نأسف على فقده ما عدا شيء واحد هو محبة الله، قد يتحول الإنسان إلى مخلوق هابط، وعندما يفقد داخلياً الإيمان بالله يصبح حبه قاتلاً. غالباً عندما يهرب الإنسان من الحب، ويبتذل تلك العاطفة والشعور، لقاء المال، لكي يعيش برفاه - لكنه لا يدري عندما يعبد المال فقط ويجعله محور حياته، إنما يكون بذلك يؤمن أن يحيا اليوم لكي يفنى غداً.

الكثير من الناس يظنون أنفسهم مؤمنين، لكنهم يقدمون على خرق جميع الوصايا والفرائض الدينية عندما يدمرون شعور الحب داخل أنفسهم، وعند البعض ذهبت تلك العملية بعيداً جداً، لدرجة أنه عند تحسس ما هو إلهي، يصبح ذلك بالنسبة لهم قاتلاً. إن المستوى الذي أعمل عليه، أخفض بكثير من المستوى الديني. إن كل ما هو إلهي يكون خارج حدود الفضاء والزمن. إني أعمل حول تحليل أسباب وعواقب الارتباطات، أفهم محدودية دراستي وقيمتها النسبية.

إن معلوماتي تسمح للناس بتغيير مصائرهم، وحالتهم الصحية وطباعهم. بالنتيجة النهائية، إن القيمة الأكبر هي المعلومات. لذلك أرى أن الناس يجهدونني بإعجابهم بي في عقلهم الباطني. في السابق كنت لحد ما أتمكن من التوازن، أما في مدينة خاركوف فلقد انزلقت. لقد شعرت هناك أن القاعة تلتهمني دون أن أتمكن من فعل أي شيء. إن الحال من بعضه. إذا كان الناس في القاعة معجبون بالقدرات، أو الروحانية والمثل، حينها عندما يركزون انتباههم علي يزداد التواصل لدى بعشرات الأضعاف. أما عندما لا أتمكن من التخلص من الإدانة والاستنكار، وعدم تقبل الظلم، وإذا كنت عجولاً على الدوام أو أخاف من المستقبل، فإن ذلك الإعجاب بالنسبة لي قد يكون قاتلاً.

بالطبع، لقد عملت على نفسي، حاولت أن أتغير، لكني علمت أن قوتي لا تكفي، لقد أظهر لي القدر خطأ حساباتي أثناء عملي على نفسي. لقد أصبح مفهوماً لدى، لماذا كل كتاب من كتبي قد يكلفني حياتي. كلما كانت المعلومات أكثر جدية وإلحاحاً في كتبي، وقعت في موقف أكثر صعوبة وحرجاً. إن الطهارة أثناء كتابة كل كتاب وصلت عملياً إلى حدها النهائي. من حيث المبدأ إن هذا أمر طبيعي. ويجب أن يتكلم الشخص النظيف والطاهر حول الأشياء الجدية الهامة. لذلك، أردت في كل الأوقات أن أنهي هذا العمل الذي بدا أكثر خطورة بكثير مما توقعت.

لكنه في المحاضرة التالية التي ألقيتها في أيلول بمدينة خاركوف نفسها لم تحضر أعداد كثيرة من الناس، لذلك شعرت بمزاج رائع. إحدى السيدات حين طرحت علي السؤال التالي: «أنا منذ طفولتي لم أحب الأطفال، حتى إني كنت عدوانية تجاههم، والآن لدي ابن، إنه بالغ، لكنه خجول جداً، إنه لا يريد شيئاً على الإطلاق». أجبتها: وهل ذلك يبدو لك غريباً؟ إن مشاعرك وأحاسيسك وحالة طفلك أمور مترابطة إلى حد بعيد. إن عدم حبك للأطفال، دليل في اللاوعي على كره المستقبل. هذا يعني أنك والمستقبل مترابطان لدرجة لا حدود لها. وإذا قمتم بتوجيه الاتهامات والإهانات بحق الأب أو الزوج، ولم تستطيعوا تحمل الظلم، وإذا لم تستطيعوا أن تحبوا ما لا يعجبكم، وإذا لم تستطيعوا تحمل الخيانة على الإطلاق، عندها فإن العدوانية التي تتصفين بها سوف ترتد ضد الشيء الذي تسبب بها.

البخيل في البداية يعبد المال، ثم يكرهه. الغيور في البداية أيضاً يهيم حباً في زوجته، ثم يتحول كل ذلك إلى كره! لذلك من الخطورة على ولدك التركيز على المستقبل، لأنه قد تنشب لديه عدوانية لا حدود لها، وقد تؤدي للموت. لكي يتمكن من العيش، يتوجب عليه رفض المستقبل. وإن الرغبات هي طاقة موجهة للمستقبل. عندما تنعدم الرغبات، وتنعدم الروحانية والأخلاق، بذلك ينقذ حياته. من الممكن تقديم المساعدة له، وبما أنك أمه فمن الواجب عليك أن تعملي بجد للوصول إلى تغيرات جذرية في نفسيتك».

بالمناسبة، في محاضرتي الثانية هذه حدث أمر ممتع، لاحظت وجود مقاعد كثيرة فارغة في القاعة، أخذ الحضور الذين يجلسون في الخلف يتقدمون لملء المقاعد الشاغرة في المقدمة، توجب علي الانتظار نحو عشر دقائق لكي ينهي الحضور جلوسهم. عندها توجهت إلى القاعة بالحديث التالي:

- أثناء إلقاء محاضراتي، يحدث تسريع كبير للحوادث، ويتكرر ذلك بشكل أكبر أثناء استقبال المرضى في العيادة. أعطي الشخص النصائح والتوجيهات المناسبة والصحيحة، لكن إذا لم تكن لديه القدرة على التخلص من الطمع أو الحسد، أو الصفات المفترضة الأخرى، فالذي يحدث بعد الاستقبال، بدلاً من أن يتحسن وضعه وصحته، يحصل العكس، إذ قد تزداد حالته الصحية سوءاً.

إن الأموال التي تأتيك دون جهد أو تعب قد تقتل. أنتم اشتريتم بطاقات لأماكن جلوس محددة، والآن تجلسون في غيرها. يحدث تركيز في اللاوعي على سلامة المصير. بعد المحاضرة يتضاعف ذلك كثيراً.

هل تعلمون لماذا يصبح الكثير من الناس ملحدين؟ في معظم الأحيان عندما يؤمن الإنسان بربه، يبدأ بالصلاة والدعاء والطلب منه لتحقيق بعض الأمنيات. البعض يطلب مالاً، وآخر منزلاً، وثالث يطلب امرأة جميلة وزواجاً ناجحاً. وكلما أكثروا من الصلاة، تدهورت حالتهم الروحية وأصبحوا أكثر طمعاً. عندها ومن أجل إنقاذ أرواحهم يبتعدون عن الإيمان بالله. وفي الوقت نفسه يتخلون عن تصوراتهم الخاطئة عن الخالق، والتي كانت سوف تتسبب لهم بالكثير من المشكلات المعقدة. إن التصورات الخاطئة عن الله قد تكون أكثر خطورة من الإلحاد نفسه.

إن الملحد ينفي وجود الخالق. لكنه يؤمن بوجود العدالة المطلقة، لذلك وعلى العموم قد يتحلى بالصفات الأخلاقية، أما الإنسان المتدين والمتعصب والذي لديه تصورات غير صحيحة وبعيدة عن جوهر الدين، يتبع سلوكاً مشوهاً لا يمت للواقع بصلة، ويشوه صورة الخالق عن طريق تشبيهه بالصفات البشرية، واعتماداً على ذلك يبدأ بتحديد مطلبه ووضع شروطه. إنه بذلك يتصور أنه يطيع الله أو يحاول التقيد بحدوده. لكن بعد مدة من الزمن يواجه ذلك المتدين مشكلات صحية جدية ومشكلات تتعلق بمصير حياته، لذلك وللخروج من ذلك قد يتجه إلى الإلحاد.

من دون تضحية وكبح للرغبات لا يوجد إيمان بالله. عندما نرغب بالحصول على مال أو حق ليس لنا ولم نتعب للحصول عليه، نكون بذلك قد دمرنا الإيمان في داخلنا. إن الحصول على أموال أو مكاسب شخصية ليست من حقنا أو لم نتعب بها، عبارة عن سرقة، وان كل ذلك يناقض مبدأ التضحية ويخالف الدين ويناقض الإيمان بالله.

أتابع حديثي للحضور: وهكذا، قرروا بأنفسكم: هل من الصواب أن تبدلوا أماكن جلوسكم أم لا! يجب أن تفهموا أن محاضرتي هنا ليست حفلة فنية!

في اليوم التالي، لم ألاحظ عملياً أحداً قام بتبديل مكان جلوسه في القاعة.

إن المحاضرات والندوات التي مرت ببطء والتي كان جوها يعبق برائحة الدخان، أصبحت في المرتبة الثانية، تطفو في الذاكرة أحداث الأمس: بعد أن وجهت عقلي باتجاه «المستقبل» انتابتني موجة من السعال. نشأ لدي شعور بأني في وضع غير قابل للإصلاح. لقد فحصت نفسي: إن رئتي مسدودتان، الجهاز البولي غير مهم. من أين أتت هذه العلل وهذا التكبر؟ إن التركيز على الرفاهية والمصير الجيد، أي على غريزة حب الذات، التعلق بالحياة، أعلى بسبع عشرة مرة من المستوى الخطر. السبب يكمن في أن قراء المستقبل دخلوا في تماس واطلعوا على معلومات كتبي المنشورة. وأصبحوا يفهمون كم تساعدهم تلك المعلومات في تحديد مصائرهم، أنهم يفحمونني بإعجابهم. على الأرجح أن مثل هذه الحالة تتكرر مع الكثير من الفنانين الموسيقيين أو الكتاب. على الأرجح، أن المال والشهرة يمتلكهما من يستطيع أن يعيش، بغض النظر عن مثل ذلك الإعجاب. إني لا أنظر

إلى ذلك بكثير أهمية. لقد كنت دائماً أحس أن المجد والشهرة بالنسبة لي تشكل خطورة.

توجد كنيسة صغيرة بالقرب من منزلي نصف ساعة ذهاب ونصف ساعة إياب. كنت أذهب إلى هناك مشياً على الأقدام، ثم أعود. لقد أصبح الأمر أكثر سهولة. لماذا يذهب الحجاج إلى الأماكن المقدسة سيراً على الأقدام؟ لأن الاقتراب من أماكن العبادة يجب أن يكون بطيئاً، وذلك من أجل أن تتمكن الروح من الاستعداد لهذا. لذلك عندما تريد أن تذهب إلى مكان العبادة، عليك أن توقف سيارتك على مسافة بعيدة عن المكان، وان تذهب إلى هناك سيراً على الأقدام هذا سوف يكون أفضل وأخف وطأة بالنسبة للروح.

إن ما نسميه روحاً أو لاوعي هو عبارة عن مفهومين متقاربين جداً. عندما بدأت بمعالجة الناس وأخذت أرى انفعالاتهم، فهمت أنني أدخل إلى اللاوعي، وهناك تتواجد قوانين مختلفة تماماً. إن المساعدة التي يمكن أن تقدم للشخص على مستوى الوعي والجسد تختلف عن المساعدة التي يمكن تقديمها في مجال اللاوعي. لمساعدة الجسد لا بد من تقديم الغذاء، أما مساعدة الروح، تعني حرمان الجسد من الطعام لبعض الوقت. في العقل الباطني تتواجد منظومات أخرى من الأولويات. أنها قريبة من المنطق الرباني. وإذا كان الإنسان في حياته السابقة قد سرق أو اغتصب، قتل أو سلب، فإن ذلك سوف ينعكس عليه في حياته الحالية بأشكال متعددة من الأمراض الخطرة. يمكن معالجته، لكن من المستحيل شفاؤه بشكل كامل. إن القدر لا يسمح باسوداد الروح بكل مطلق. وإذا حاول أحد ما مساعدته فعلياً، فسوف يتم ردعه بقسوة وبسرعة. إن ذلك فوق مستوى المعالج وإمكانياته. وقد يؤدي ذلك إلى مرضه أو موته.

إن تصوراتنا عن العالم تتغير باستمرار. لقد أكد العلم والدين أنه ليس للحيوانات روح أو وعي. أما الآن فإنه حتى أطفال المدارس يعلمون أن كل كائن حي لديه وعي وروح. ببساطة: إن الإنسان يختلف عن باقي الحيوانات بأن وعيه وروحه متطورة أكثر. فقد اعترفت الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثالث عشر بأن المرأة لديها روح. وحتى القرن الثامن عشر تعاملوا مع المرأة مثلها مثل أي حيوان

منزلي، ومنذ قرنين من الزمن بسمح للمرأة أن تتعلم. إن إظهار دور الرجل في المجتمع لم يكن على سبيل المصادفة، فقد مكن المجتمع من الاستمرار في الحياة. أما البداية الأنثوية هي بالأساس رمز الأمومة. كلما كانت كمية الطاقة الذاهبة لذلك الاتجاه كبيرة، ضعف التوحد بشكل أسرع، المبدأ الأساسي للكون.

إن البداية الذكرية تشد باتجاه الروحانية، إن الرجل ليس فقط يحصل على خط رفيع من المعلومات من المستقبل، بل يقوي أواصر العلاقات الاجتماعية. وإن الحضارة الحالية تتجه أكثر فأكثر لتقديس المنافع المادية، يحصل ذلك على حساب أضعاف التوحد. إن الفطرة الذكرية تضعف ويتغير شكلها. وإن النقيض وحده يطارد نقيضه. وإن محاولة شرح التاريخ اعتماداً على مبادئ مادية، لا يسمح برؤية الروابط بين الظواهر، وهذا يؤدي للفشل.

أنا أفكر دائماً بالظاهرة الفريدة القائد العسكري الروسي ألكسندر سفورف. هذا القائد لم يذق أبداً طعم الهزيمة. كان يقهر دائماً أعدائه ولو تفوق عدده عليه بالعدد بعشرات الإضعاف. إن عبوره جبال الألب تعد ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ الإنسانية العسكري. وإن نقل قوات عسكرية عبر الجبال بما تتضمنه من مدافع وعتاد ثقيل وخيول مع أن تلك القوات لم يتوافر لها التجهيز المناسب، يعد في الواقع أمراً مستحيل التنفيذ. فلم يحصل أن قوات عسكرية مشابهة في العالم قد اجتازت مثل ذلك الطريق. فقط القوات الروسية بقيادة سفورف استطاعت ذلك. إن هذا كله حصل بفضل المبدأ العام الذي ندعوه التوحد.

العيـــادة

إنها نهاية شهر تشرين الأول عام 2006. اليوم لدي برنامج للتواصل الهاتفي مع المرضى. لدى شخص مشكلاته الخاصة، وكل منهم ينتظر أن أعطيه شخصياً النصائح الشافية، كأن لدي عصا سحرية تحل جميع المشكلات وتشفي من جميع الأمراض. هذا يعني أن الشخص في اللاوعي يسعى لوضع مشكلاته على عاتقي.

أما أنا أسعى لفعل العكس: أي تعليم الشخص أن يعالج نفسه بنفسه. لكل إنسان المنغصات الخاصة به، والخسارة، والأمراض، والمشكلات في العلاقات الاجتماعية، إن مهمتي كمعالج أن أبحث في جميع العلاقات والارتباطات الداخلية التي تحدث في حياة ذلك الشخص.

في المحصلة النهائية، إن جميع الارتباطات والعلاقات التي تهدف لبلوغ السعادة البشرية، يمكن تصنيفها وفق نوعين من الغرائز: غريزة حب البقاء وغريزة حفظ النوع. هذا ينعكس سلوكياً على شكل عجرفة وغيرة وهذا يتوافق مع الفطرة الذكرية والأنثوية. في المستويات الرفيعة تتوحد على شكل بنية سميتها التحدي. أثناء حياة الإنسان يحصل على طاقة كافية منسقة، وبشكل دوري تخضع روحه للامتحان: ما هو المهم بالنسبة لها: التوحد مع الخالق أم التوحد مع هذا العالم المادي. اعتماداً على الاختيار الذي تم تبنيه يتحد مصير الحياة اللاحقة بأسرها. بالإضافة إلى الغريزتين الأساسيتين التي تم ذكرهما لدى الإنسان، توجد غريزة ثالثة ومهمة. يمكن وصفها بأنها غريزة النمو والتطور. إنها تدفع الشخص للتجديد واكتشاف المجهول، إنها تشكل خطورة على الحياة، ينتج عنها تدمير الحياة العائلية والمصير في معظم الأحيان. مع أنه عندما يحصل تدمير في الحاضر، مما يؤدي إلى إمكانية استمرار الحياة في المستقبل. من حيث الجوهر، إنها غريزة معرفة الله. عندما تضعف هذه الغريزة، تؤدي إلى تخامد بطيء لكلا الغريزتين السابقتين بشكل لا رجعة فيه.

وهنا أستقبل أول اتصال. امرأة عجوز تتحدث عن مشكلات حفيدها. إنه انطوائي، تنتابه بشكل دوري حالات من سلس البول. أما ابنتها أم حفيدها، منذ الولادة لديها سُماك. منذ أن كان عمرها سبعة أشهر كان جلدها جافاً، مع أن عمرها الآن نحو الثلاثين، إلا أن الوضع بقي على حاله، وجميع الأدوية لم تساعد في علاج تلك الحالة.

سألتها: هل من مشكلات إضافية أيضاً؟

- تتابع المرأة حديثها: بعد ولادة الطفل الثاني لابنتي، حدث لها أمر غريب جداً - لقد ضمر صدرها عملياً لدرجة الاختفاء. في السنوات الماضية حصل

انكماش في عضلات جسمي كلها، وإني اشعر أن الأمر سوف يزداد سوءاً في المستقبل.

سألتها: أهذا كل شيء؟.

- إني أواجه في حياتي مشكلات نفسية، في السنوات الأخيرة أشعر أن شيئاً ما يسبب لي العذاب. إني أشك أن أحد ما أصابني بالعين وهذا هو سبب عذابي. لقد راجعت الكثير من المعالجين لكن دون فائدة، وحالتي تزداد سوءاً، هذه هي المشكلات التي أعاني منها.

أجبت: جيد الآن لنحاول ربط كل ذلك في أمر واحد. لقد قلت سابقاً إن جميع مشكلات الإنسان الذي فقد صلته بالله يمكن إرجاعها إلى حالتين: الحسد والتكبر. أما الحسد فهو موضوع يتعلق بالرغبات، أما التكبر سلوك يتعلق بالوعي. إن المقدرة والإمكانات الشخصية والإرادة والمصير أمور تتعلق بالعجرفة والتكبر، وإن المستويات العميقة من الوعي والرغبات تشكل فيما بينها وحدة متكاملة، لذلك فإن الشخص الحسود والمغرور يشعر في معظم الأحيان بقربه من حافة الموت، وينتقل من حالة إلى أخرى. بحيث يصبح لا يعير اهتماماً إلى الجنس أو الأسرة، ويلقى باهتمامه الكامل العمل، بل ويصبح متعطشاً لمزيد من العمل. ويصبح العمل والسلطة محور حياته. لكنه عندما يصل إلى حافة الخطر في ذلك المجال، يمكنه من جديد أن يعود إلى حالته الأولى.

في حال لم تنغمس الروح بعد في الخضوع للرغبات والشهوات، عندها يبدأ الشخص في المرض ثم يموت. ولكي ينقذ نفسه من ذلك المصير، عليه أن يتخلص من أنانيته ومن العجرفة والتكبر، وأن يتجه إلى الله وعندما يصبح أهم هدف بالنسبة إلى روحه التوحد مع الله، وعندها تستحوذ الروح على طاقة كافية من المحبة، فيحصل التطهير الروحي تدريجياً. عندها تعود إلى الحياة غريزتا التفكير والتمني، لكنهما تصبحان غير خطيرتين كما في السابق، حينها تفتح أبواب المقدرة ويصبح الطريق سالكاً لتحقيق الأمنيات والرغبات.

- أتابع حديثي مع المرأة قائلاً: إنك الآن مع أحفادك تقعين في حالة من الموت. ما هي الانطوائية؟ إنها أحد أشكال الوقاية من الشدات النفسية، هكذا يحمي

الجسم نفسه سأشرح ذلك عن طريق المثال التالي. إذا هجم كلب على طفل صغير يريد عضه. في هذه الحالة يشعر الطفل بالخوف ويبدأ بالتلعثم. أما طفل آخر قد لا يحصل له ذلك. إن تفسير الأمر بسيط. إن الطفل الصغير يعيش بأحاسيس ذويه، وإذا لم يتعاملوا مع الشدات النفسية بشكل صحيح أثناء انطلاقه للحياة، يكون الطفل محروماً من قدرة تحمل المواقف المؤلمة والخروج منها. عندما يزداد الرعب عن حد معين، تبدأ بالعمل آلية إلقاء الخوف، في حال العكس قد يموت الشخص. إن الخوف يولد في أعماق وعينا. هذا يعني، عندما يكون الوعي مشوهاً، أو عندما يوجد إحساس بالظلم عندها يصبح الشعور بالخوف أقل حدة. إن الوعي مرتبط بقدرة التحدث، وعندما نشعر في وعينا بالقلق نتلعثم أثناء الكلام، أن يحصل تحريض أو قلق في عقلنا الواعي، ينعكس ذلك عبر ازدياد العدوانية، هذه العدوانية تنتقل إلى المستويات الرفيعة، والتي تتسبب في دمار ليس الحاضر فحسب بل والمستقبل أيضاً.

لنطرح سؤالاً على أنفسنا. لماذا يتصف عقلنا الواعي بالعدوانية؟ لنتذكر آية مشهورة من الكتاب المقدس: «...الَّذِي يَزِيدُ عِلْماً يَزِيدُ حُزْناً»[1]. لماذا المعرفة لا تعطي السعادة؟ لأن الوعي يرتبط بالجسد، والجسد بحاجة إلى غذاء وحماية، وذلك له علاقة بالعدوانية. يوجد فينا ما يسمى بالوعي الأعلى. والتي يكون ثلاثي الوجه. القسم الأساسي منه يرتبط بالدرجة الأولى بالخالق، والقسم الثاني يرتبط باللاوعي ويتوحد لا جسدياً مع الكون الكلي؛ أما القسم الثالث فهو ما ندعوه بالوعي، إنه على ارتباط مباشر بالجسد ويتعلق به.

وهكذا عندما يصبح الوعي الجسدي هو الأهم، فمن الطبيعي أن تزداد عدوانية الشخص بشكل مضاعف. أما إذا كانت العدوانية بالنسبة إلى الجسد عبارة عن ظاهرة طبيعية، يكون ذلك بالنسبة إلى العقل الباطني أمر غير مسموح، أما إذا حاولت العدوانية في عقلنا الواعي أن تسيطر على عقلنا الباطني، عندها يؤدي ذلك إلى فناء الوعي والجسد معاً. أما عندما يبدأ الشخص بترك العنان للغرائز

1- العهد القديم: الجامعة (1: 18).

المرتبطة بالجسد، عندها يبدأ بالخضوع إلى رغباته وشهواته وحاجاته المادية، في الوقت الذي تكون الروح غير مستحوذة على عطالتها بعد، وتكون العدوانية ضعيفة وغير ملاحظة. مع مرور الزمن، يبدأ الشخص بملاحظة أن روحه أخذت تشحن بالحقد، هذا يعني أن الروح أصبحت خالية من الحب، هذا يؤدي إلى تدمير التوحد مع الخالق ومع الكون. يحصل إدراك بشكل متأخر جداً في معظم الأحيان.

منذ مدة قريبة أحد معارفي روى لي قصة طريفة.

- هل تعلم، أن إحدى صديقاتي تضغط علي، وتطلب مني بإلحاح أن أتزوجها، علماً بأنني لم أعاشرها، كيف أتزوجها. تعدني أن تشتري لي شقة سكنية مع العلم أنها شبقة من الناحية الجنسية، إضافة لذلك تمارس الأعمال الحرة، وهي من نساء الأعمال. لقد أصبت بالدهشة، من أين لديها كل تلك القوة والمقدرة، التي تكفي للقيام بجميع تلك الأعمال؟

طلبت من صديقي أن يعطيني اسم تلك المرأة، لكي أنظر في حقل طاقتها، حينها توضحت لي الصورة.

قلت لصديقي: تدري، لا غرابة البتة في ذلك إنه انحطاط طبيعي وعادي.

لمحت به نظرة شاردة وتابعت كلامي.

- إن ما يدهشك على أرض الواقع، تبين أنه حصل عن طريق الانحطاط أليس كذلك؟ تابعت شرحي. تصور أن أحد المزارعين حصلت لديه مشكلة بما يخص مؤونته المنزلية من الغذاء. وهو معزول تماماً عن العالم الخارجي، لكنه يملك كمية كافية من المؤونة الشفوية في مستودعه المنزلي. حيال ذلك توجد ثلاثة حالات للتصرف الحالة الأولى: مضاعفة مجهوده من العمل لتأمين المزيد من احتياط الغذاء. الحالة الثانية: أخذ كمية قليلة من احتياط الغذاء المخصص للشتاء، مع بذل الجهد والعمل لتعويض النقص في المخزون. أما الحالة الثالثة: فهي فتح أبواب مستودع المؤونة الشتوية والبدء باستهلاك احتياط الأغذية الشتوية والجلوس دون بذل أي مجهود للحصول على مزيد من الغذاء. إنه الأسلوب الأسهل والأكثر راحة، لكنه يؤدي للموت جوعاً في الشتاء للمزارع ولأسرته لعدم بقاء غذاء لهم لفصل الشتاء.

إن روحنا هي بمثابة مستودع الأغذية الشتوية، الذي تستمد منه احتياط غذائنا، لكن علينا بالمقابل أن نعيد الكمية التي تم استجرارها من ذلك المستودع. لكي تعيش وتنتشر الكائنات الحية في الظروف الصعبة والمعقدة، يجب أن تصرف 80٪ من طاقتها لتأمين وتشكيل المستقبل. فيعرضون برامج في التلفاز عن كائنات حية عاشت منذ ملايين السنين ذات هياكل عظمية ضخمة انقرضت الآن مع أنه لم يكن لها أعداء في حينها. كانت تلك الحيوانات تصرف طاقتها فقط على الحاضر، وعلى تقوية بنية أجسادها.

يستطيع الاستمرار في الحياة ذلك الكائن الحي الذي يستطيع أن يستهلك طاقته بالشكل السليم والصحيح.

ومهما كان الجسد ودفاعه الذاتي يجب ألا يستهلك من الطاقة العامة أكثر من 10٪. إن الكائنات الحية الصغيرة ذات الأجساد الضعيفة استمرت في الحياة بسبب التوزيع الصحيح والسليم في استهلاكها للطاقة. وإن قواها الأساسية وطاقتها صرفت لتطوير وتحسين وظائف جسدها وليس لتقويته وزيادة حجمه. لقد شكلت وعياً وتفكيراً جماعياً وأنتجت هياكل عظمية خاصة بها استطاعت أن تقاوم وتتفادى الانقراض، وتبين أنها كانت أقوى بكثير من الحيوانات العملاقة التي كانت تعيش معها في ظروف متشابهة. لقد حصلت عملية التطور نفسها مع الإنسان. إن الدين الذي استطاع كبح شهوات وغرائز الإنسان، جعل قسماً كبيراً من طاقته يتحول لتطوير القيم الروحية. بذلك اتجه الإنسان روحياً إلى الخالق، صارفاً عن طريق ذلك كمية ضخمة من طاقته، وحصل بالمقابل على منافع أكبر بكثير هكذا حصل تناقض في الظاهر، وإن التناقض الخارجي يعني - كلما أطال الإنسان من إمكانية كبح شهواته وسعيه للرفاه المادي، استطاع أن يحصل على دفعات قوية باتجاه التطور. وبالتالي فإن الشهوات والجنس والتفكير والإرادة تبدأ بالتطور إلى مستويات أرقى بشكل متسارع.

مع بداية عصر النهضة دخلت المسيحية في أزمة أن فكرة الزهد والقناعة وإعادة ملء الخزان الروحي تحولت إلى فكرة سرقته. بالتأكيد إن ذلك العصر لا يمكنه الاستمرار إلى ما لا نهاية، ولا بد من تسرب الفساد إليه بشكل تدريجي.

كان الدين في تلك الحقبة يطال النساء عن طريق تقييد حريتهن بإجراءات غاية في القسوة، كان ذلك من الأمور الشائعة والطبيعية. إن الطفل لا يحتاج إلى مجرد ولادة فحسب، بل يجب الإشراف على تربيته إلى أن يصل لسن البلوغ. وطوال ذلك الوقت هو مرتبط بأمه بشدة، إن طاقة أمه المنخفضة تحرمه من المستقبل. لذلك كان نشاط النساء الأساسي يقتصر على الأعمال المنزلية وتربية الأطفال.

- قلت مخاطباً صاحبي: وهكذا، إن صديقتك تمتهن الأعمال الحرة، إضافة إلى ذلك تركز على الجنس، هذا يعني أنها تسعى لصرف وهدر طاقتها الاستراتيجية. إذاً ماذا ينتظرها في المستقبل؟ عندما تنعدم الطاقة، تبدأ الأعمال بالانهيار، ثم تنشأ مشكلات صحية. وللخروج منها يوجد طريق واحد: هو إيجاد رجل، تستطيع أن تمتص طاقته. ولكي تخرق وتنزع الحماية عنه، لا بد من إجباره على أن يكون خاضعاً ومرتبطاً بها، بمعنى آخر إن السيطرة عليه تكون عن طريق شراء شقة له. ومن أجل حصول ارتباط فعال وبما أن درجة الانفتاح لدى الرجل أعلى لا بد من ربطه بأواصر الزواج. بالتأكيد إن تلك المرأة قد لا تعي الدوافع الحقيقية لتصرفاتها، لكن إن كل من يتعامل معها سوف تنشأ لديه مشكلات.

- قلت مخاطباً المرأة التي أحادثها على الهاتف: لقد انشغلت عنكم. نعود إلى مشكلتكم.

لدى حفيدك انطوائية. هذا يعني أنه غير قادر على احتمال الشدائد النفسية، أو الخروج من الحالات المؤلمة باستخدام الحب. وهذا يعني أن العلاج لا يكون عن طريق تفعيل الوعي، بل عن طريق المقدرة على الحفاظ على الحب والطاقة في الحالات المعقدة. إن اللعثمة، والانطوائية، وشلل الأطفال الدماغي، جميع هذه الحالات متشابهة، ومن ذات المستوى. كذلك هناك حالات مثل تضخم الوعي الوظيفي، ونوبات الغضب الشديدة، وفرط الوعي الوظيفي. لعلاج الأطفال الذين يعانون من مثل تلك الحالات، يجب ألا تتم زيادة الوعي، بل على العكس، يجب إيقافه. لماذا التنزه في الطبيعة، واللعب مع الحيوانات يؤدي إلى تحسن حالة مثل أولئك الأطفال؟

تصور أن طفلاً يسبح في الماء مع دلفين. إن ذلك بالنسبة له يشكل سعادة عظيمة، والسعادة هي عبارة عن طرح للطاقة. ونحن نحصل على الطاقة الأساسية عن طريق محبتنا للخالق، مع العلم أن الوعي في مثل هذه اللحظة يتوقف، وذلك لأنه لا يتعدى كونه لعبة، ولا يمكنك أن تتوقع من الحيوان غدر أو دسيسة، إضافة لذلك فالماء يساعدك في كبح الوعي، لأننا جميعنا خرجنا منه. عندما نغوص في الماء، يحصل لدينا رد فعل عكسي يؤدي إلى كبح انعكاسي للأجزاء العليا من الدماغ، هذا بدوره يؤدي إلى انخفاض مستوى العدوانية وزيادة في قدرة تحمل الشدات النفسية. والطفل في اللاوعي يوجه عدوانيته إلى الناس، مكتسباً ذلك بالوراثة عن ذويه الذين تلازمهم عقدة الخوف ولوم الآخرين. ولكي لا تؤدي هذه العدوانية إلى قتل الآخرين أو إلى تحولها إلى برنامج لتدمير الذات يصبح الطفل انطوائياً، ويتهرب الآخرون من التعامل معه، وبالتالي تتوقف العدوانية. فيما يخص الطفل فإنه ليس لديه أي عدوانية تجاه الحيوانات في عقله الباطن. وعندما يتعامل الطفل مع الدلفين، فإنه يتبع علاقة صحيحة وسليمة مع الوسط الخارجي. والتي تتصف بالمحبة ومنح الطاقة وغياب الاعتراضات تجاه الآخرين والإدانات والظلم. وإذا لم يقم الأهل بتعليم الطفل السلوك السليم تجاه الحياة، فإن تعامله مع الحيوانات يؤدي إلى تعليمه وتحسين قدرته في التعامل الجيد في الحياة.

قلت مخاطباً المرأة: أما الآن سوف أحدثكم عن الدور الذي لعبتموه في المشكلات التي وقع بها. ولا بد لي من شرح ماهية الخوف لكم ولماذا هو ضروري. يتم التعبير عن تكيف أي كائن حي مع الوسط المحيط عن طريق مفهومين: ماذا يجب فعله وما لا يجب فعله، وكلما كان مستوى تطور الجسم مرتفعاً، عمل أفضل. والمبدأ القائل «ماذا يجب فعله»، أي مبدأ الزجر، والاهتمام. وكلما كان المستوى متدنياً، عمل بشكل أفضل مبدأ العصا. والخوف: هو عبارة عن فرملة للطاقة. وإن كبح الطاقة أو إيقافها يعني الموت. لذلك فإن الانفعال الناتج عن الخوف عبارة عن نمط من الموت الذاتي، إنه لا يسمح باقتراف الحماقات. أما إذا كان الخوف عبارة عن فقدان طاقة يعني أيضاً فقدان للحب. إذا شعرتم بالخوف حين تمر

بالقرب منكم شاحنة تكاد تصدمكم، يكون هذا الشعور طبيعياً. إن ذلك الشعور بالخطر والخوف من الموت يفعّل غريزة حب البقاء، ويجعلك في المرة القادمة تبتعد عن أماكن مرور السيارات أي أماكن الخطر. أما إذا مرت بالقرب منك سيارة شاحنة بالأمس. في حين ما تزال تشعر بالخوف، عندها قد يؤدي ذلك لمرضك. وإن فقدان الطاقة أثناء الأيام الماضية يكون كبيراً لدرجة أن الجسم ينحل، ولا يكون أمامه فرصة للحياة.

بهذا الشكل يقوم المرض بتدمير الطاقة الخارجية الفظّة، وينقذ بذلك الطبقة الرفيعة من الطاقة الضرورية لتكوين روحنا ومستقبلنا. وبسبب الخوف يمكن أن نخسر طاقتنا، إن ذلك الإحساس يمكن أن يقويه الوجل، الإهانة الذاتية والكآبة. وإن ذلك جميعه شكل من أشكال فقدان الطاقة، وهذا يعني رفض المحبة. وإذا كان الخوف كالتيار الجارف لا يمكن التحكم به. فإنه أثناء مدة قصيرة يمكنه أن يحطم الروح.

لماذا يسبب الخوف لدى الناس أزمات قلبية أو جنوناً؟ إن ذلك كله أحد أشكال إيقاف هدر الطاقة. لكي نعي ما يحصل، يستدعي منا أن نرى وحدة وترابط جميع الأحداث، وهذا يتطلب منا بذل الطاقة. ويأتي الفهم الأساسي لجميع الأحداث عبر محبة الله، وعن طريق تلك المحبة نرى أن جميع الأحداث الحاصلة في الكون تكون مترابطة مع بعضها في وحدة متكاملة. فإذا كان الشخص مرتبط بوعيه الجسدي، عندها يصعب عليه عملياً أن يربط الأحداث مع بعضها. وفي الحالات الحرجة، يحصل تراكم هائل في الوعي، وعند حصول الخوف، إضافة لذلك تبدأ بالعمل آلية الحماية الذاتية، عندها يفقد الشخص الوعي. لماذا يؤدي الخوف إلى الشلل؟ يحصل ذلك بسبب فقدان الطاقة. إن الإنسان الجبان لن يصبح حكيماً على الإطلاق. فمن دون وجود محبة في الروح، لا توجد رحمة أبداً، ولا يمكن للحب الحقيقي أن يتحقق من دون مفهوم الإيمان بالله. والإنسان الذي يعبد نزواته الجسدية، يصعب عليه فهم العالم الذي يعيش ضمنه ويتصف بالجبن ولا تفارقه الأمراض.

ما هو الخوف من دون سبب واضح؟ إنه عدم تقبل لإرادة الله إنه اعتداء ليس على المستوى الخارجي، بل على صعيد العقل الباطني. لقد لاحظت علاقة طريفة:

يكفي الإنسان ألا يتقبل الأحداث الحاصلة، وينسى إرادة الله وأن يكبت عاطفة الحب، أثناء بعض الوقت، عبر هذا وذاك ينشأ كره الناس وإحساس بالخوف. أي إن الأسباب التي تشلنا مثل الخوف والابتعاد عن المحبة هي عوامل مترابطة فيما بينها بشكل متين.

كيف يتكيف الإنسان مع الوسط المحيط؟ بالدرجة الأولى عن طريق محبة الله وإدراك الذات الإلهية. هناك لا يوجد خوف ولا عدوان، لأن الخالق يتواجد خارج حدود الزمان والمكان. وإن المستوى الثاني من التكيف، هو الحدس والإحساس الذي نمتلكه. إن الانفعال مرتبط باللاوعي، ويتحول إلى الطبقات الأكثر رقة المرتبطة مع الكون بأسره، لذلك في عواطفنا وانفعالاتنا تتكون لدينا بعض المعلومات عن الأحداث المؤسفة والتطورات التي يمكن أن تحصل بالنسبة إلى عقلنا الباطن، إن أي تعاسة ليست خبراً ذي أهمية لأنه يعلم ماذا سوف يحدث، لذلك على مستوى الانفعال والشدات النفسية يصبح من الممكن تحملها بسهولة. المستوى الثالث من التكيف: هو وعينا الجسدي، بشكل خاص يمكن اعتباره مهماً. وهو متماثل مع أنفسنا وجسدنا. إن وعينا الجسدي يعمّر قليلاً، ويكون محدوداً، ويمتلك معلومات قليلة جداً، وبالتالي يكون مستوى التكيف هو الأضعف في المجال الاستراتيجي. لكنه يعمل بسرعة جنونية.

تصور أن لديك مسنّناً كبير الحجم وآخر صغير الحجم. لكي يسيرا بالمسافة نفسها يجب على المسنن الصغير أن يدور بسرعة أكبر بكثير. لذلك إن وعينا الجسدي حينما يخسر على المستوى الاستراتيجي، يربح على الصعيد التكتيكي أثناء لحظة من محاولة تكيفه مع العالم المحيط. إن هدف وعينا الجسدي: هو ضغط المعلومات وتحويلها إلى انفعالات وعواطف. ويعمل الوعي بشكل لا يصدق على تسريع عملية التطور، لكنه بشكل مستمر يصل إلى طريق مسدود، عندما يفقد الاتصال مع اللاوعي ومع الذات الإلهية. عندما ينقطع ذلك الاتصال، يكثر الوعي من توليد واستنباط شتى أنواع المخاوف والرعب، وهذا يؤدي إلى فقدان كميات هائلة من الطاقة، وهذا يؤدي للمرض ثم الموت.

لقد قلت إن الخوف والرعب: هو عبارة عن نتيجة لرفض المحبة. وينعكس هذا عند النساء على شكل اكتئاب وعدم رغبة في الحياة. تخيل في نفسك هذه الصورة: امرأة حامل، تتعرض إلى إهانة من قبل الزوج، هذه المرأة تحمل شهادة علمية عالية، إن وعيها المتحضر لم يستطع تقبل الظلم. لذلك نراها متوترة باستمرار، مستاءة تكيل الاتهامات في جميع الاتجاهات، وتتحول عدوانيتها الخارجية تدريجياً إلى اللاوعي، وتتحول الأفكار العدوانية والشتائم إلى أحاسيس وعواطف عدوانية. وتسعى تلك الأحاسيس لتدمير وقتل الظالم. لكن بما أنه على المستوى الرفيع متوحد مع أبنائه وأقربائه، فإن ذلك الاستهداف بالقتل يستهدف الجميع، هذا يعني استهداف الأبناء المشتركين والزوجة نفسها.

إن ظلم الأقارب أشد مضاضة، ويمكنه أن يتحول بشكل سريع إلى برنامج للتدمير الذاتي. نحن نريد إسقاط الأوراق، ثم نبدأ بسقاية الجذور. إن مبدأ التوحد لم يستطع أحد بعد أن يغيره. وهنا نلاحظ أن المرأة التي تعرضت للظلم بدت تظهر عليها علامات الاكتئاب والانحطاط، وأخذت تراودها أفكار عن الانتحار. لنفرض أن المرأة لم تلجأ للانتحار، ولم تبتلع الحبوب، أي إنها لم تقرن انفعالاتها بالأفعال. ثم حصل وتصالحت المرأة مع زوجها ونسيت كل ما سبق من ظلم وإهانات. لكن انفعالاتنا هي أصل لما نقوم به من تصرفات، وعلى مستوى العواطف والانفعالات، نرى أنه قد تم تشغيل آلية كبح الطاقة وتدمير عاطفة المحبة.

تمر السنون، فجأة تلاحظ المرأة طبع طفلها المرضي. الطفل يخاف من كل شيء، وليس له مقدرة على تحمل المواقف المؤلمة، ومع الزمن يتحول الطفل ليصبح شرساً وعدوانياً تطوف المرأة بطفلها إلى الأطباء، الذين بدورهم يقومون بإعطائه شتى أنواع الأدوية. ويقوم أطباء الأمراض النفسية والعصبية والسيكولوجيون بتقديم نصائحهم وتوجيهاتهم، لكن دون جدوى، وتسير الأمور من سيئ إلى أسوأ. بعد ذلك تتحول الأم بطفلها إلى المعالجين والأطباء الشعبيين. لكن النتيجة واحدة ومحزنة. عندها تلجأ الأم المفجوعة إلى الكنيسة، تصلي، تضيء الشموع لكي تتحسن صحة طفلها. تتضرع إلى الله وتصلي لكي يمنحه الله العافية (في هذه الحالة يكون المرض قد ظهر جلياً)، لكن لا تبدو في الأفق أي تطورات إيجابية.

الآن تصوروا أن شخصاً أراد أن يزرع حقلاً من القمح، لكنه لم يفعل ذلك على أرض الواقع. ثم بدأ جميع المزارعين بحصاد حقولهم التي زرعوها. أما صاحبنا الذي لم يزرع أتى إلى حقله. وأخذ يصرخ غاضباً: «أين العدالة؟ لماذا لدى الجميع قمحاً إلا أنا؟ أين العدالة الإلهية»؟ جميعنا مخلوقون هكذا. نقتل في أنفسنا وأرواحنا بذرة المحبة ونبتتها، ثم نأتي بعد مدة من الزمن نعترض ونحزن، عندما لا يجد أطفالنا السعادة التي يحتاجون إليها يفتقرون إلى الصحة والحياة الهانئة.

- قلت مخاطباً المرأة: هكذا نعود إلى حفيدكم، إن حقل طاقة الطفل يخبو. هذا يعني أن طاقته عملياً شبه معدومة، وإذا استطاع أن يستمر بالحياة سوف ترافقه أمراض يصعب علاجها. وعند تعرضه لأي شدة نفسية أو حالة مؤلمة، سوف تتولد لديه نوبات من الغضب والكره والاكتئاب. وإن أي موقف أو حالة مؤلمة يتعرض لها سوف تكون قاتلة بالنسبة له، لذلك هو يخرج من الموقف المؤلم بوعي معدوم. إن أحد أسباب هذه الحالة التي يعاني منها حفيدكم، كان سببها إصابتك بالاكتئاب وكره الحياة عندما حملت بأمه. وإن ما تعانيه ابنتك من مشكلات جلدية، أيضاً له علاقة بانعدام الحب، إن برنامج التدمير الذاتي يمكن كبحه عن طريق وجود مشكلات جلدية ومعوية. بالنسبة للبنت هذا إذلال للجسد في كل لحظة تمر وكذلك للوعي وللمثل. شئت أم أبيت عليك تقبل ذلك. وفي حال نجاح الأطباء في علاج المشكلات الجلدية لابنتك، فإن أطفالها في المعظم لن يستطيعوا الظهور في الحياة. وبما أن المرض منح ابنتك فرصة التطهير الجزئي، لذلك فإنها لم تتحمل إلا وزر عدوانيتها تجاه الحب. ولو كان لديها إيمان بالله قبل ظهور الطفل في الحياة، لكان بإمكانها أن تتطهر. لكنها كانت تفتقد إلى الحب والإيمان معاً، وفي غياب ذلك فإن أي تطهير كان سوف يعطي أثراً معاكساً، وإلى ازدياد الحالة سوءاً. لذلك فإن جميع المحاولات من الأعلى لم تعطي نتائج مرجوة. وهكذا ولد طفل يحمل الكثير من المشكلات الصحية.

أما لماذا ضمر ثدي ابنتك عند ولادة الطفل الثاني أو اختفائه نهائياً؟ ذلك سببه أن جمال الجسم يزيد التركيز على الوعي الجسماني، وبالتالي ذلك يؤدي إلى زيادة العدوانية لدى الشخص، فتتحول هذه الحالة إلى انحطاط. ألا تعتقدون أن تهافت

الأمريكيين على استخدام السليكون لنفخ العضلات والثدي له علاقة بحالة الانحطاط العام التي يعانون منها؟ وإلا كيف يمكن تفسير ذلك؟ إن ضمور الثدي أو اختفائه في حالة ابنتك - يشكل إنقاذ وحبل نجاة لأطفالها.

يجد العلم أنه في الشرق يفضلون الثدي صغير الحجم. في الصين واليابان يقدمون على ربط الثدي بغية الحفاظ على صغر حجمه، هذا يؤدي إلى انتقال الطاقة من الجسد إلى الروح والوعي الجماعي. وهذا يمنح المجتمع فرصة أفضل لاستمرار العيش مستقبلاً. إن الغاية من الجنس هو تأمين استمرار النسل، أي استمرار الذات عن طريق الأحفاد. وإن التركيز الشديد على الجنس والانغماس فيه، يؤدي إلى إجحاف كبير بحق الوعي الروحي والجماعي، وكذلك إلى زيادة الأنانية الذاتية بشكل كبير، والاتجاه نحو الوعي والتفكير المادي. وعندما تتحول الروحانية إلى مادية، يحدث قدح لبدء عملية التطور، لكن إذا حصل وطالت هذه العملية، فإن المادية الذاتية تهدأ بتدمير الوعي الجماعي والروحانية.

إن الوعي يتعارض مع اللاوعي. لكن بما أنه يأخذ من اللاوعي الانفعال والطاقة المرتبطة بالذات، مما يؤدي إلى فناء الوعي.

الآن لنبدأ بتعداد المشكلات التي تعانون منها. لديكم أمراض تتعلق بالحسد وأخرى لها علاقة بالتكبر والعجرفة. إني أعتقد أنكم تفهمون، أن لديكم مشكلة تخص التكبر، لذلك إن حياتكم هي تكرار للإذلال. لذلك كان من الضروري إحداث إذلال في الوعي والإمكانيات والمصير. إن الإنسان الضعيف والذليل يسهل عليه اللجوء إلى الله والحب، ومن هنا قد تنشأ مشكلات تتعلق بالحالة النفسية والحسد والإصابة بالعين. إن التشنج العضلي ناتج عن عدم القدرة على التخلص من الشدات النفسية الداخلية.

عندما نقلق ونعاني، ينعكس ذلك على العضلات، مما يؤدي إلى تقلصها. إن ردة الفعل تلك ضرورية، لكي نركض بسرعة لحظة الخطر، لكن عندما لا يستطيع الوعي أن يهدئ أو يتخلص من القلق، تتولد الشدات النفسية بشكل مستمر، وأن الشد العضلي الدائم يؤدي إلى حصول الأمراض. عندما تتقلص العضلات، تنشب الطاقة الخارجية الكبيرة وتقل الطاقة الرقيقة. ولكي تسير

الطاقة الرقيقة قدماً والتي تمنح التطور والتغيير، يجب أن يحصل استرخاء في العضلات. لذلك نلاحظ أن الشخص المتوتر المشدود لا يستطيع أبداً أن يحسن من نتائجه الرياضية مهما حاول أن يتدرب. هذا يعني أن شد العضلات تثبت مجدداً، إنك لن تستطيع كبح أو حرف الوعي والإدراك لديك. وإن آلية إيقاظ الوعي كانت معروفة منذ القدم. ومن طرائقها المعروفة الغسل بالماء البارد صباحاً، والتواجد في الطبيعة، المشي الرتيب، والموسيقا الإيقاعية. ولقد تحدثت عن ذلك سابقاً.

إن التكبر يزداد كثيراً لدى الإنسان عندما لا يستطيع تقبل ما يحصل. وإن القدرة على تقبل الأمور الحاصلة بشكل كامل باعتبارها قدر من الله، ذلك يؤدي إلى كبح الوعي بشكل كبير. إذا توقفنا بشكل دائم عن التخطيط للمستقبل وقللنا من معاناتنا بشأنه، لمدة من الزمن، نكون بذلك قد تخلينا عن أهدافنا، ووضعناها جانباً، عند ذلك يحصل كبح كبير للوعي، ويصبح من السهل علينا الإحساس بالإرادة الإلهية. هل تذكرون ما قاله السيد المسيح؟ «فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ...»[1].

إن الوعي المتحفز يربطنا أكثر بالجسد، ويبعدنا عن الخالق. بالمقابل يجب علينا أن نتعامل بشكل صحيح مع الحاضر. حاولوا لبعض الوقت أن تعزلوا أنفسكم عن الحياة ومشكلاتها وأن تعطوا تقويماً لأي مشكلة، في هذه الحالة، تختفي المشاحنات والإدانات والانتقادات، هذا يعني وقف لعملية تدمير طاقة الحب. ماذا يعني تقويم أو تقدير لحالة أو موقف أو تحليله؟ إنه خلط الأسباب بالنتائج، والسعي لرؤية الارتباطات والتداخلات مع بعضها البعض. لكن عندما نقول: «هذا ما حصل، إنها إرادة الله» - في هذه الحالة نحن نمتنع عن رؤية وتحليل تلك الارتباطات والأحاسيس المتعلقة بها. إن أحاسيسنا تستشعر الأحوال بشكل لا يصدق أكبر من إدراكنا وتفكيرنا. تذكروا المقولة المشهورة: «إن إبليس يدق في الرأس، بينما الله في القلب».

إن الله كامل، أما إبليس فهو جزء، يحاول أن يجعل نفسه كلاً. وعندما نعتبر الوعي نفسه محور الخليقة، ويجعل الإنسان من نفسه مالك الطبيعة، فإن ذلك

1- العهد الجديد: متى (6: 34).

يمكن اعتباره إبليسية عادية. تصوروا أن يقوم الإنسان بعبادة جسده وفكره. لقد سألتموني، لماذا فشل جميع المعالجين في علاج حفيدك؟ إن ذلك يعود لأسباب نفسية غير متعلقة بك، بل عائدة لأبنائك وأحفادك.

ولو تمكن المعالج من تحسين حالتكم النفسية، لكان أدى ذلك إلى الإضرار بحالة أحفادكم.

وهكذا فإنكم لم تتعلموا أن تحبوا. لو حصل وتحسنت حالة الجسم والوعي لديكم بشكل كبير، عندها سوف يحصل تباعد كبير عن الحب بالنسبة إليكم. هذا التباعد سوف يكتسب قوة أكبر. هنا نتوصل إلى النتيجة البسيطة التالية: إذا أردتم أن تساعدوا ابنتكم وأحفادكم تعلموا أن تحبوا، وأن تتحملوا المصائب وتخرجوا منها بشكل صحيح. اكبحوا لبعض الوقت الوعي والتفكير ومتطلبات الجسد، ركزوا على الذات الإلهية وتخلوا عن الأنا الإنسانية. عندها فإن الصلاة لأجل الأحفاد والأبناء قد تساعد في تحسين حالتهم. لا تضعوا أمامكم الكثير من الأهداف، قوموا بالخطوة الأولى بشكل صحيح، تمسكوا بمحبة الله بشكل دائم، وحافظوا عليها في الشدائد والمواقف المؤلمة. إذا نجحتم في هذا، كل المشكلات الباقية سوف تحل تباعاً.

خطوة إضافية إلى الأمام

الآن، منتصف شهر تشرين أول عام 2006م. إني أحاول تجميع أفكاري لكتابة كتابي الجديد. إن فعل الخلق: عبارة عن ضغط الزمان والمكان، وإن عمليات الولادة والخلق يتكرر حصولها في الكون وإن تطور الكون ونموه تحدث وفق عمليتين متعاكستين. عن طريق الانبساط والضغط. على المستوى الخارجي إن الكون يتوسع، أما على المستوى الرقيق فإنه يتقلص. لنأخذ مثالاً على ذلك، القلب. في هذه اللحظة إنه ينبسط، أما في اللحظة التالية، إنه ينقبض. والعملية المادية: هي الانبساط، أما الروحية: هي الانقباض. وعملية الولادة هي انبساط، وإن كل

ما يعاكس الولادة - فهو انقباض، إذا أردت من قلبك أن ينبسط فقط عندها سوف تموت، وإذا أردت منه أن يتقلص فقط تموت أيضاً.

ما هو الاختلاف الأساسي بين الإنسان والحيوان؟ هل بوجود العقل والروح؟ أبداً ليس الأمر كذلك! إنه موجود أيضاً لدى الحيوان. إن التفكير والإدراك الديني غير موجود لدى الحيوان. من دون إيمان ديني لا يمكن أن تقوم قائمة لأي كيان إنساني على الأرض، وذلك لأن الإيمان حتى بالآلهة الوثنية يعد مستوى آخر وأرقى في نوعية الوعي والتفكير.

ما ماهية الذاكرة؟ إنها الإحاطة بعدة أحداث أثناء مدة زمنية. ولبلوغ ذلك لا بد من تعميم. وضغط والإحساس بهم داخلياً. ومن دون ذاكرة لا يمكن لوعينا وتفكيرنا أن يتطور. إن الدين يسمح للإنسان بتعميم وضغط وتكثيف كمية هائلة من الأحداث، والتعرف على ارتباطاتها الداخلية، وعلاقته مع ما يحدث، وبالتالي فتح آفاق جديدة للإبداع. ليس الإنسان المؤمن كل من يذهب إلى أماكن العبادة ليتعبد، بل إنه بالدرجة الأولى كل من يجعل من نفسه تتحلى بالصفات والأخلاقيات التي أمرنا الله بها. ولتحقيق ذلك يجب السعي للخالق والتقرب منه، والتقيد بالوصايا الإلهية التي تساعدنا على التوحد مع الخالق. ولكي نتمكن من ضغط الزمان والمكان يجب ألا نملك أي عدوانية تجاه الماضي والمستقبل. وإذا كنت تتأسف على الماضي ولا تستطيع تقبله، إذا كنت تتسرع، محاولاً تقريب المستقبل وتخشاه، عندها فإن طريق الإبداع بالنسبة لك سوف يكون مغلقاً، وكذلك إن ضغط الأفكار وتحويلها إلى مشاعر لن يحدث. والإنسان المؤمن يتقبل كل شيء من أعماق نفسه لأنه يعتبر ذلك مشيئة إلهية، إنه يتقبل كل ما جرى ويجري. لذلك يمكن القول: إن الإيمان والإبداع مرتبطان مع بعضهما دون انفكاك. حتى أن أقدم الرسومات القديمة التي عثر عليها والتي رسمها الإنسان البدائي الأول، حملت طابعاً دينياً وسحرياً، والتي نجحت في توحيد ربط أحداث الماضي والمستقبل.

إني شارد الذهن، أنظر إلى السماء التشرينية المكفهرة، تغوص المدينة في مناخ الخريف. تبدو الطبيعة وكأنها تموت ببطء. وذلك بالنسبة إلى بعض الناس مدعاة للانحطاط والكآبة والمزاج السيئ، ولدى أناس آخرون على العكس، إن ذلك الذبول يشكل دافع قوي لديهم للتجديد، لأنه عن طريق الموت تنبثق حياة

جديدة. لذلك نرى بالنسبة لدى الأناس المبدعين، والذين لديهم نسبة عالية من منح الحب والطاقة، إمكانية فتح آفاق جديدة أمامهم كبيرة الحظوظ بغض النظر عن الوسط المحيط. «لا تأسف عن الماضي»؛ تطفو دائماً هذه العبارة في ذاكرتي. قبل استقبال الناس، أو قبل موعد إلقاء المحاضرات والندوات، وفي هذا الوقت يجب أن أكون في حالة اعتكاف عن كل ما يشغل تفكيري.

إن المبدأ الأعلى لتطور الكون هو مبدأ التوحد. إن محبة الله تعني التوحد معه، وعندما يقدم الإنسان على التوحد المهم مع هذا العالم ويحبه، يبدأ تدمير هذا الشيء الذي نحبه. الحركة هي حياة. عندما نعشق الحياة، ونحب شخصاً آخر هذا يعني أننا نرغب باستمرارها، لكن على الفور تبدأ المشكلات. إن القول سهل، لكن مفهوم العجرفة والتكبر أوسع بكثير مما نظن. لقد أنهيت محاضرتي في مدينة خاركوف في وقت متأخر عن الموعد المحدد، لقد أردت أن أقدم مساعدة أكبر للناس الذين كانوا يجلسون في القاعة.

إن التوحد مع أي شخص آخر يجب ألا يكون مطلعاً وإن الرغبة بمساعدة الآخرين يجب أن تنبع من دافع داخلي. وكذلك يجب أن تسير العلاقة وفق تابع جيبي. حتى إن القلب يعمل وفق هذا القانون.

كلما كانت طاقة الإنسان عالية، كان ذلك خطراً عليه. وعندما يؤمن بعقيدة فاسدة. أي أن أي عملية تحدث، من المفترض أن تحوي نزعتين متعاكستين. عندما ترغب بقيادة السيارة يجب أن تتعلم كيفية استخدام دعسة الوقود، والمكابح. أما إذا كنت تجيد فقط استخدام المكابح، عندها فلن تتمكن السيارة من الحركة، أو أنها تسير ببطء شديد، تسير ثانية وتقف أخرى. يقابل ذلك في الحياة العادية على شكل خوف أما إذا كنت تجيد فقط الضغط على دعسة الوقود، عندها سوف يكون مصيرك هو التدهور وتحطم السيارة وموت السائق. وهذا النموذج يطابق في الحياة العملية صفات الشهامة والرحمة، التي يمكن أن تتحول إلى وقاحة وإذلال الآخرين. في النتيجة النهائية هذا يؤدي بالشخص إلى أن يسير على حتفه.

نحتاج أيضاً للسعادة البشرية ليس فقط لاستخدام الغاز، بل وإلى المكابح أيضاً. وإذا شعرتم بالسعادة الإنسانية، من الواجب أن توازيها صفات مثل العفة

والقناعة بمباهج الدنيا. وإذا أردتم مساعدة أحد ما، يجب أن تشعروا متى يجب أن تنهوا تلك المساعدة. نظرياً عن طريق محبة الله والتحول الذاتي يمكن التعافي من أي مرض كان. وإذ لم تحصل تغييرات عميقة، ليس أمام الإنسان إلا أن يتعذب ويمرض، وإلا فإن جرائم الإنسان ضد روحه سوف تتضاعف. وبما أننا على مستوى الروح جميعنا مترابطين، فإن الانحطاط الذي يصيب أحدنا قد يصل إلى المجتمع ويتسبب بفناء الجميع.

تعتمد الحسد في الواقع على الافتتان الدائم بالسعادة الإنسانية ومباهج الحياة، ودون أن تلاحظ تصبح عبداً لها وإن التردد والخجل الزائد هو أحد مظاهر الغيرة التي تتسبب أيضاً بالأمراض.

يطفو موضوع التوحد من جديد في الوعي. وجميع الأحداث والمجريات التي تحصل في الكون مترابطة مع بعضها البعض، وهذا يحصل على المستويات الرفيعة. إن التطور عبارة عن زيادة في التوحد، ويمكن تشبيه نفسك بالكون. يعود بنا التفكير من جديد إلى المارشال الروسي سوفوروف[1]. لقد كان في طفولته ضعيف البينة دائم المرض، كان لديه خيار: تقوية الروح أولاً وليس الجسد. فتوجهت جميع أفعاله بالفطرة باتجاه تقوية الروح. لقد اجترح جنوده المعجزات، لأن الجيش الذي كان تحت قيادته كان أشبه بالجسد الواحد. و سوفوروف هو أول قائد أجبر جنوده على أداء الصلاة. كان شعاره: «ضحي بنفسك لإنقاذ رفيقك». لم أفهم سابقاً مغزى العبارة غير المألوفة التي تقال في الجندية: إذا لم يجد الجندي عملاً يقوم به، انزع عن بدلته العسكرية أزرارها ودعه يخيطها من جديد. الآن أصبح ذلك مفهوماً بالنسبة لي. إن الكسل وقلة العمل، تؤدي إلى إضعاف الروح، والتقليل من التوحد وتولد الفرقة والعدوانية تجاه الآخرين، وتزيد من انحراف الجندي، وتجعله يمارس الرذيلة.

إن سوفوروف هو أول من اهتم بإجراء التدريبات القتالية المستمرة قبل خوض أي معركة. وقبل أن يحتل قلعة إسماعيل في حرب القرم (1790)، أمر ببناء قلعة شبيهة بها،

1- الكسندر فاسيليفيتش سوفوروف، القائد العام (1730-1800): الشخصية الأكثر شهرة في تاريخ روسيا العسكرية.

وأمر الجند بالتدرب على كيفية احتلالها. وإن مقولته المشهورة «الصعوبة في ميادين التدريب يقابلها سهولة في ميادين القتال» لها مغزى عميق جداً. عندما نتمعن فيها، نصل إلى قناعة مفادها أن سوفوروف قام بالتقيد بمبادئ التطور وسعى لإدراك كامل ما هو إلهي: محبة الله، الإيثار، الاهتمام بالآخرين، منح الطاقة بشكل دائم، تطوير التفكير والوعي الجماعي، لأتحمل الألم والحرمان والصبر. كل ذلك جعل من جيشه لا يقهر. ينتصر من يمتلك الإيمان وقوة الروح، هذا ما أثبته التاريخ مراراً. وإن من يمتلك قوة الروح والإيمان، هو من لديه طاقة كبيرة، يكفيه احتياطها للمستقبل، ويمر القسم الأساسي من الطاقة عبر التوحد مع الخالق. وكلما كان التوحد عالياً، كانت قوة الروح لدى الناس أعلى، وتؤدي إلى تقوية المجتمع ودوام استمراره.

الآن يأتي تدفق طاقة كبيرة من المستقبل، وإن مستوى التوحد بين ما هو حي وما هو جماد على كوكبنا يزداد. وإذا كان سابقاً الاطلاع على الارتباط الحاصل بين الأحداث محصوراً بالمكرسين، فإنه الآن أصبح ملاحظاً حتى لغير المكرسين.

لقد أصبح وجود القوى العليا ملحوظاً في كل شيء، مثل هذا حصل قبل ألفي سنة، لكن الآن وعلى الرغم من كل شيء، فإن قوة الطاقة الجديدة سوف تكون أعلى بكثير، لذلك على الإنسانيات والحيوانيات أن يستعدوا لقدوم المهدي. إنه على الأرجح زمن المسيح المخلص وقيام المملكة السماوية.

اللعبة

لم أتمكن اليوم ليلاً من النوم. لقد تعطل وعيي عملياً، عندما كنت على وشك أن أغفو في نومي، فجأة يأتي الإلهام بفكرة مهمة. إذا ما تركت الفكرة إلى صباح الغد قد أنساها، لذلك أنهض من فراشي وأتوجه إلى غرفة المكتب حيث أحتفظ بكراسات الكتابة.

غداً، سوف أقوم بإنهاء كتابة فصل «سدوم وعمورة»، حيث سوف أتحدث عن قلعة مسعدة. مع العلم أن الحديث الذي دار بالأمس عن الموضوع نفسه لم

يجعلني أغفو في نومي. أستلقي للنوم، لكن فجأة يجافي النوم عيوني، وتأتيني فكرة رائعة. في نحو الرابعة صباحاً يتكرر الأمر للمرة الثالثة. فكرت: «هل أضم تلك الأفكار وأجمعها في فصل مستقل، وأسميها اللعبة؟».

من الطريف أنه عندما بدأ كتفي يؤلمني، قمت بمعاينة نفسي. وكل مرة كنت أصل إلى جواب واحد: عدم تحمل دمار التوحد، وانهيار المحبة الإنسانية. لذلك تجري عملية تطهير المستويات الرفيعة بشكل مستمر، لم أستطع تحمل ذلك، عبرت المشكلة عن نفسها عن طريق الألم.

إن الكتف له علاقة بالأبناء والأحفاد. وبما أن الكتف اليميني يؤلمني هذا يعني أنه توجد مشكلة بما يخص المستقبل، هذا يتعلق بأرواح أولادي وأحفادي، وإنهم لم يقدموا بعد على الاختيار الصحيح، إنهم لا يستطيعون تقبل دمار الغرائز والحفاظ على محبة الله. إن المشكلة جدية وعلى أي حال يجب إيجاد حلاً لها. شيء ما يمنعني من التغير بعمق. وبما أن التغيرات العميقة لا تحصل، هذا يعني أن ذلك يشكل خطراً بالنسبة لي، لذلك يتم إلقاء عملية التغيير بشكل أوتوماتيكي. وإن التغييرات تشكل خطورة حتى عندما تكون المحبة غير كافية، هذا يعني أن توحدي مع الله غير كاف، وقوة المحبة ليست عالية.

الآن سوف أحاول الإحساس بكل ما هو رباني، وسوف أحاول لقاء الله. سوف أتوقف محاولاً معرفة متى يصبح التطهير قريباً من الموت. ماذا يحصل عندما يأتي الإله إلينا؟ من الصعب تصور ذلك. بالمناسبة إن كل شخص يحاول التطرق إلى هكذا موضوعات ومعلومات، يتعرض إلى أشياء وأمور مشابهة.. إن المرأة التي بدأت كتابة نص هذا الكتاب على الآلة الكاتبة مرضت في اليوم الثاني، وقد أتت في اليوم التالي وحرارتها مرتفعة ومصابة بالزكام. لذلك قررنا أخذ قسط من الراحة. لقد فهمت أنها بحاجة للراحة لتعود إلى رشدها.

أما الموظفة الجديدة التي تعمل عندي، سارت الأمور لديها على ما يرام، لكن في اليوم الثالث، أصيب ابنها بالرعاف من أنفه.

- قالت لي: «يا عزيزي، إني مضطرة لطرح سؤال عليكم. بالأمس أذى ابني رأسه وهو يلعب في رفع الأثقال. لم تتحمل يداه الأثقال فهوت عليه. هل سبب ذلك أني

أقوم بعمل غير صحيح؟». نظرت إلى حقل طاقة ابنها. - قلت لها: «إن التطهير يحصل ليس فقط بالنسبة لك بل ولأبنائك وأحفادك، أنت لا تلاحظين ذلك. إن ابنك لا يطيق صبراً على المواقف المؤلمة التي تعاني منها روحه في اللاوعي أثناء التطهير، فيقابل ذلك عن طريق الابتعاد عن المحبة، وعدم رغبته في الحياة. وإن برنامج التدمير الذاتي يخرج مع دمه النازف من الأنف، وسوف يتوقف بعد إصابة رأسه بحديد الأثقال».

إن المس بما هو إلهي بالنسبة للشخص غير المهيأ لذلك، عمل مضني وخطير. كيف تمكنت الاتجاهات الدينية المسيحية الجديدة من التكيف؟! إنهم يغنون ويمرحون وبالتالي لا يشعرون بأي توتر حين يتوجهون إلى الله. ما تفسيركم لذلك؟ - من دون أن أنتظر الجواب تابعت - إن الإنسان الوثني الذي يخر ساجداً أمام الصنم يظن أنه بذلك يتوجه إلى الله، لكنه وحده من يظن ذلك. وإن الخالق خارج نطاق الزمان والمكان. كيف تظن، لماذا إحدى الوصايا الإلهية من عشرات الوصايا تحرّم عبادة الأصنام؟

عندما نجسد الخالق على شكل صنم من الحجر أو الخشب، نكون بذلك قد شغلنا وعينا المرتبط بمواد الطبيعة. عن طريق ذلك تحدث عملية لا نلاحظها تؤدي إلى هدر ما هو إلهي. نحن نحاول جميعاً التعرف على الله وتعاليمه بشكل أكبر عن طريق وعينا، ولكننا نقوم بوصف الخالق عبر المنطق البشري، والتعامل معه وفق العادات البشرية. لذلك من الطبيعي أن تنشأ لدينا وبشكل تدريجي اعتراضات تجاه الخالق. وإن وجود هكذا اعتراضات على أمور إلهية تكون خطرة بل وقاتلة. ومن أجل أن يستمر الإنسان في الحياة في مثل هذه الحالات، يخرج الشخص دون أن يشعر، ويتخلى عن توحده مع الخالق. وكلما خضع الإنسان للإله المادي وعبده اتجه أيضاً لعبادة جسده ورغباته وشهواته، وبالتالي يهمل روحه لصالح الاهتمام بالجسد. لكننا إذا قمنا بالابتعاد عن الخالق، هذا لا يعني أنه لا يستطيع القدوم إلينا. والشخص الذي يستبدل المنطلق الإلهي بالبشري، سوف يهدر ويخسر الحب، وسوف ينحو باتجاه الفساد دون أن يشعر، أما إذا اتجه إلى الله، فإن فساده وموته يحدثان بشكل أكثر سرعة.

عندما يتعطل دوزان البيانو، نستدعي المصلح، وباستخدام شوكة الدوزان يقوم بإعادة دوزانه من جديد. أي إن أي مجموعة من الكائنات الحية من الواجب

عليها أن تؤقلم نفسها دورياً مع الإيقاع الأساسي للكون. إن ذلك يعد خشبة الخلاص لها لكي تستمر على قيد الحياة. أما إذا أجلنا عملية دوزان البيانو، عندها بدلاً من الموسيقا سوف نسمع مجرد أصوات ضجيج.

إن المجمع الحيوي الذي يمضي إلى طريق الافتراق مع الخالق يكون بذلك قد اختار طريق الفناء النهائي. وإن طريق التقرب من الله، يكون مضنياً، لكنه يعطي فرصة للتطهر وللتغير: إن النغم الموسيقي يصدح دورياً في الكون، وإن الله يحضر إلينا وفق إرادتنا. والتحول في هذا الزمن شديد القوة لدرجة أن الأشخاص غير المستعدين يتعرضون للموت.

إن جميع التجمعات الحية تخضع لهذا القانون العام، أو أن يكون مصيرهم الفناء أو الانحطاط والفساد. في الواقع على صعيد المستوى الجسمي للإنسان: هو عبارة عن تجمعات من الأجسام الدقيقة. وإن قانون الكون عام يشمل الجميع، إنه قانون المحبة والتوحد مع الخالق، وعدالته واحدة تشمل الجميع.

أثناء مدة صيرورة كوكب الأرض، ظهرت وانقرضت أعداد هائلة من الكائنات الحية. أنواع محددة من الحيوانات والنباتات، ومختلف الأقوام والحضارات اندثرت لمبادئ متشابهة. وتصدح في الكون نغمات موسيقية تحت تسمية المحبة، وإن الكائنات الحية التي فقدت هذه الحاسة تعرضت للفناء.

من الملاحظ أن الدين في عالمنا يفقد قوة دفعه ويتحول إلى مجرد طقوس شكلية خالية من الجوهر الإلهي، أما مفاهيم المحبة والأخلاق فقد أصبحت نسبية، هذا يدل على حقيقة واضحة وبسيطة: منذ زمن بعيد لم تصدح النغمات عن شوكة الدوزان الموسيقية، ومنذ زمن بعيد لم يأت المنطق الإلهي إلى الأرض. تذكروا ماذا قال السيد المسيح: «وَلِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ»[1].

إن أمثولة عشرات الفتيات اللواتي انتظرن العريس هي تصوير مجازي للمس الإلهي. سوف تصدح شوكة الدوزان بأنغام موسيقية رائعة للبعض، وللبعض الآخر سوف تعصف في آذانهم أصوات كصوت البوق تنذر بالعقاب.

1- العهد الجديد: متى (24: 12).

وكثيراً ما يبتعد الإنسان عن إرادة الخالق ويعيش عابداً أهواءه ورغباته، لكن فيما بعد يصبح هرماً، وتلاحقه الأمراض وشبح الموت، ثم يخلد للموت بهدوء. ربما لا داعي لعذاب النفس، والابتعاد عن مباهج الحياة الإنسانية، لحساب التقيد بالأخلاق الحميدة ومتاعبها. عش كما يقال على هواك، بعدها مت! إن الكثيرين يفعلون هكذا. لا سيما أننا نلاحظ الدعايات الحديثة في كل زاوية تدعو إلى: «خذوا من الحياة كل شيء!». هذا يعني الدعوة لعبادة رغباتك وشهواتك. إني ولا مرة رأيت دعاية تدعو: «امنح الحياة ولو شيئاً ما!». مثل هذه الدعاية لا تراها أبداً، فقط خذ، خذ كل شيء تستطيعه! ماذا يبقى من هذه الحياة البائسة، الأفضل لك أنت أن تتخيل. «وهكذا - إني أتوجه بكلامي إلى المرأة — عن طريق جملة من المؤشرات، فإن موسيقى الدوزان الإلهية سوف تصدح قريباً، وإن أول نغماتها قد انتشرت في الفضاء. إني أرى ذلك عن طريق تتبعي لمرضى من أرجاء العالم كافة».

سألتني المرأة: «على كل الأحوال، كيف يمكن مساعدة ابني؟». تجري لديه عملية التطهر من الأبناء في المستقبل على المستويات الرفيعة، تدور المواقف المستقبلية من الخيانة، والخسارة، المرض والألم والإذلال. فنحن نستطيع أن نؤثر في أحفادنا وأولادنا في لحظة المنح الأعظمي لطاقة الحب. إنه في مدة البلوغ الجنسي، الحب الأول، الزواج، الحمل. إذا لم تستطع الحفاظ على عاطفة الحب في تلك المراحل، على الأقل حافظ على محبة الله في وقت انهيار المحبة البشرية، وإذا شعرت بالاكتئاب في نفسك أو بالإذلال عندها من جديد ستمر بتلك الحالات مئات ومئات المرات.

سألت المرأة: «هل من سؤال؟». أجابت: «نعم. لقد قلتم: إن الإنسان الذي يعيش بحالة استقرار، فإنه عندما يجتاز عملية التطهير ودون شك يتطهر وأبناؤه وأحفاده، لكن لماذا لم أستطع أنا من تطهير ابني؟». أجبت: «أولاً لديه مصيره المستقل، مسؤوليته الشخصية أمام الله، ثانياً: لقد اجتاز مرحلة البلوغ، هذا يعني أن علاقته الخارجية بك وكذلك المستوى الخارجي للتوحد أصبح أقل بكثير من السابق. إذا

لم يشأ أن يصلي أو الذهاب إلى المعبد، فمن الصعب عليك تقديم يد المساعدة له. وتصبح المعاناة والكآبة والحزن لا معنى لها. يجب التحرك إلى الأمام وأن تعملي كل ما في وسعك. وفي نهاية المطاف ليس نحن من يتحكم بمصيرنا. ما يهمنا هو الاستمرار في محاولاتنا. وما يحدث من تطورات يكون ذلك وفق إرادة الله العلي القدير».

أنظر محدقاً حولي. تأخذني الذاكرة إلى ما قبل الأمس، إلى 25 من تشرين الأول. أتمعن النظر في كرة بلياردو تقع بالقرب من جيب طاولة البلياردو، أنظر إليها طويلاً وأنا أحاول تسديد الضربة. في السابق كنت أضرب عشوائياً بالكرة البعيدة، وكان تفكيري على الشكل التالي: إن انحراف الكرة بمقدار ميليمتر واحد عند ضربها بعصا البلياردو يسبب ذلك عدم وقوع الكرة الثانية في السلة، المسافة نحو ثلاثة أمتار، وإن ضرب الكرة هكذا بحيث لا تتحرك من مكانها ولا ميليمتر واحد، أمر غير ممكن عملياً. لذلك كنت أضرب عشوائياً، وأخطئ الهدف. في أحد المرات حاولت التصرف بشكل مغاير. لقد شرعت بمطابقة الكرة الثانية مع العصا، حيث استطعت تحديد نقطة توجيه الضربة، وحفظها في ذاكرتي، بعدها أسدد دافعاً الكرة عن طريق عصى البلياردو. كان الأمر مدهشاً لقد انطلقت الكرة بدقة إلى السلة. بعد ذلك ارتفعت فاعليتي في هذه اللعبة عدة مرات.

لقد فهمت المغزى بشكل غير متوقع. بالفعل أن تضرب الكرة بعصا البلياردو دون حدوث انحراف ولو بمقدار ميليمتر أمر غير ممكن، الشيء نفسه إذا كان العالم يعيش وفق قوانين العشوائية المادية. لكن عندما تدرك أن الأحداث المادية تحدث أولاً على المستويات الرفيعة، وهذه المستويات مرتبطة بعواطفنا وانفعالاتنا، عندها إن صورة العالم سوف تتغير على الفور. وتتصور بدقة، ما يحصل عندما تصطدم الكرة الأولى مع الثانية وكيف تتدحرج على الأرضية الخضراء إلى النقطة المطلوبة، بعد ذلك تحصل الأحداث وفق النموذج الذي صنعته أحاسيسك. وإن طريقتك بأخذ العصا ومسكها، وكيفية التسديد والضرب، كل ذلك يحدده ما يحدث على المستويات الرفيعة فيما إذا كانت سوف تذهب الكرة الثانية إلى السلة وتسقط بها.

لنتخيل المشهد، إن الإرادة الناتجة عن الانفعالات القوية والمتينة والواثقة والثابتة تؤثر سببياً في النتائج التي سوف تتمخض عنها الأحداث التي سوف تحصل لاحقاً. وإن تشفير الحقل يحدد الأحداث الحاصلة على العناصر المادية المتواجدة فيه.

لقد فهمت سابقاً لماذا لم أكن أنجح في إرسال الكرة إلى هدفها في الجيب، مع أني كنت شديد التوق لإصابة الهدف، لقد كنت أركز تفكيري على هذه الرغبة. لكن كلما كان توقي لذلك شديداً، كنت أخاف أكثر ألا أصيب الهدف، وبالتالي يكون ندمي أكبر. بينما كنت أحتاج بكل بساطة إلى الإحساس، كيف تقع الكرة في الجيب. لقد كنت أحتاج إلى «بذرة الدور» (على حد تعبير ستانيسلافسكي) التي تنمو داخلي.

في حال حصولي على عدة ضربات: أقوم بالتسديد، ثم أضرب الكرة بواسطة العصا، التي تتدحرج على سطح الطاولة، وتصدم الكرة الأخرى التي بدورها تذهب وتسقط في الجيب. إذا قمت بضغط جميع هذه الحركات في إحساس وشعور واحد مبرمج ومخطط لإصابة الهدف، عندها فإن كل شيء سوف يسير بالضبط كما قد تصورته. أما إذا قمت فقط التركيز كل جهودي على الحركة الأولى، أي على الرغبة بالتسديد بشكل صحيح وضرب الكرة، أو على الحركة الأخيرة حين تسقط الكرة في الجيب، أي ضغط جميع الحركات في انفصال وحيد، «خلق بذرة الدور» بالشكل الذي نرمي إلى تحقيقه في المستقبل، بذلك قد لا أتمكن من النجاح. هذا يعني أن القدرة على التفكير السليم، وتحويل الإرادة إلى إحساس هي الوصفة الأساسية للنجاح والتوفيق في الحياة. على المستويات الرفيعة، يمكنك التحكم بمجريات جميع الأحداث. لذلك فإن السيد المسيح قال مخاطباً تلاميذه: «...لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ»[1].

إن لعبة البلياردو تعجبني، كونها تحمل الجسد والروح إجهاداً في آن معاً. إن أي تفكير في المزاج، يتسبب بعدم سقوط الكرات في الجيب. ذلك أن الإجهاد

1- العهد الجديد: متى (17: 20).

النفسي يكون أشد وطأة من الإجهاد والتعب الجسمي. بالنسبة لي بما يخص لعبة البلياردو ليس ذلك هو المهم. إن المهم هو قضاء عدة ساعات من الترفيه والتسلية دون أن يعكر مزاجي أحد.

تماماً عندما أمارس اللعب في البلياردو، أتوصل إلى نتيجة مهمة جداً، تتعلق بشكل مباشر بعملي على نفسي. سوف أتطرق إلى ذلك بالترتيب. في لعبة البلياردو توجد مفاهيم: مثل دحرجة الكرات، أما عندما تضربها. ما هو الفرق؟ في البداية تحرك العصا بهدوء وسلاسة، لكن في النهاية ومع ازدياد الرغبة في إصابة الهدف، تقوم بتحريك العصا بشكل متشنج، ولكي تكون الضربة أقوى تفقد الضربة تركيزها ودقتها. توجد عبارات: «أصيب بالعمى من الحماس»، «أصيب بالصمم من شدة الرغبة». لقد لاحظت أثناء لعبي بالبلياردو وفي لحظة قذف الكرة بالعصا أعجز عن تذكر كيف قمت بقذف الكرة. ولا حتى إلى أين طارت الكرة، وفي أي جهة اصطدمت، وكم حاولت أن أتذكر طريق سيرها لكن ذلك كان عبثاً.

عجز الرغبة يعمي البصر. لقد توصلت إلى مثل هذه القناعة عن طريق تجاربي. لذلك قررت الابتعاد عن التشنج عند قذف الكرات، وبدلاً من ذلك سوف يتم توجيه ضربات هادئة ومتزنة بواسطة عصا البلياردو، وسوف أقوم بدحرجة الكرات وليس ضربها بقوة. أقوم بتوجيه الضربة إلى الكرة، أسدد وبلا شعور أقوم بتوجيه ضربة قوية للكرة. كانت ضرباتي تزداد قوة. من خمس عشرة ضربة فقط تمكنت من توجيه ضربتي بشكل سلس وموثوق، وهكذا لم أتمكن من التخلص من ردة فعلي المتشنجة.

لقد تبين لي أن التكفير بإرادة التغيير يمكن أن يستمر لمدة طويلة. إن التغيير يحدث فقط، عندما تشعر به وإنك بدأت تتغير. ويصعب التغيير على مستوى الأفكار. عندما لا يتم تحويل التفكير إلى شعور، فلن يحدث التغيير أبداً. بعد مدة، فهمت لماذا؟ إن ذلك سببه أن البنية الحقلية يمكنها أن تتحمل أي تغيير يحدث. وأن الوحدة هي القيمة العليا فيها، إنها لينة وأكثر مرونة، أما البنية الفيزيائية يمكن أن تتحطم بسهولة. وإن أفكارنا مرتبطة بالجسد، وإمكانيات الجسد محدودة،

فيما يخص التغيير والتحول. عندما نشغل انفعالاتنا السطحية ووعينا الجسدي، نصبح مثل يرقات الضفدع التي تسبح في كأس ماء، والتي لا تصل إلى أي نتيجة. والتحول الحقيقي يحصل في اللاوعي. فهناك تتركز عاداتنا وغرائزنا وردود أفعالنا. والدخول إلى اللاوعي يكون عبر الانفعالات، وإن التفكير يصبح خطراً عندما يعبر إلى هناك.

عندها فهمت لماذا مع بعض المرضى تم التوصل إلى نتائج ضعيفة. منذ مئات السنين يتكرر مصطلح، أصبح عادة بالنسبة للجميع Homo sapiens بما يخص الإنسان العاقل والمفكر. هذا المصطلح لا يرمز فقط إلى الفرق بين الإنسان والحيوان، بل أصبح رمزاً للإنسان ككل. بل إن إحدى صفات إبليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة sapiens! أما بما يخص الملائكة فإن الحب يحتل المرتبة الأولى، أما إبليس - الفكرة. لذلك فإن التعريف الحقيقي للإنسان: هو المخلوق الذي يحب، هذا يعني أنه يجب أن نظهر المحبة ونعود أنفسنا على الإحساس بها، وكذلك من الواجب الإحساس بالتسامح، ويجب أن نحس بما هو إلهي داخلنا. وكذلك يجب أن نعتبر أنفسنا قدوة للآخرين بهدف تربيتهم وإظهار الحب لهم في أي موقف مؤلم أو حالة ضعف أو ذل، ذلك يجب أن يحفزنا دائماً لإظهار المحبة داخلنا.

اقتربت من طاولة البلياردو، انحنيت باحثاً عن نقطة التسديد للكرة التي سوف أضربها. «البلياردو، وإنها لعبة جيدة - فكرت أنا - بالمناسبة ما ماهية اللعبة عموماً؟ مما؟ وماذا تمنح الإنسان؟ وما هو الفرق بين هذه اللعبة وبين ما يحصل فعلاً على مسرح الحياة»؟ «إنه من الممتع - فكرت في قرارة نفسي، - لنحاول شرح ذلك». أسدد وأحرك العصا بشكل سلس إلى الأمام. لم يحصل لدي كما في السابق انعدام للرؤيا. لقد رأيت الكرة لحظة الاصطدام وتصورت حركة سيرها.

وهكذا، ما هو الفرق بين الحياة الحقيقية واللعبة؟ في أي لعبة نحن نعرف قوانينها وماهية الهدف منها. ونحاول عن طريق اللعبة محاكاة الحياة التي لا نعلم قوانينها، لذلك نحاول التعرف عليها لكي لا ننسحب، وذلك عن طريق اللعبة. مع العلم أن هذه القواعد موجودة. إن الحياة تسير وفق المبادئ نفسها كما يحصل في الكون. وإن تلك المبادئ أتت من الخالق وتعود إليه. وإن مغزى الحياة، هو إدراك

ما هو إلهي. كيف يحصل ذلك نجده موضحاً في عشرات الوصايا المقدسة. ما هو المغزى من الألعاب مهما كان نوعها؟ إن الغاية من ذلك تحويل المغزى إلى إحساس. اللعبة قصدت ثم قوانينها وضعت، بعدها يتم تحقيقها بالحركات والمشاعر.

لكي تتحول الأفكار والنوايا إلى مواقف، لا بد من وسيط. إن الأحاسيس والانفعالات هنا تؤدي دور الوسيط. كلما كانت مشاعرنا كبيرة، كان شعورنا بالسعادة كبيراً. إن السعادة وعملية منح الطاقة أمران مرتبطان مع بعضهما بقوة، لذلك نجد أن من أهم قواعد اللعب هو الحصول على المتعة والسعادة. وإن أعلى أشكال السعادة هي المحبة. لذلك ليس مصادفة أن يقول أحد الرسل: «افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ»[1]. الكآبة هي رفض للحب ولمنح الطاقة. وعندما لا تمنح اللعبة الفرح، لا يمكن نعتها باللعبة. إن التغيير لدى الشخص لا يحدث، لزوال المبدأ الأساس الثاني من مبادئ اللعبة: التغيير.

عندما تلعب وتشعر بالفرح، فإن أي معلومة يتم تقبلها، تتحول إلى عاطفة بشكل سريع جداً. لكي تتقبل معلومات جديدة يجب أن تتغير، وهذا يتطلب الانفعال الفرِح، كونه يحتوي في طياته على كمية كبيرة من الطاقة الضرورية لإتمام التحول وفهم ما هو جديد. وعندما يتعامل الشخص مع الحياة كتعامله مع اللعبة، وإذا كان يتمتع بروح الفكاهة، أي إنه يجيد الوصول إلى الفرح في الحالات التي يشعر بها الآخرون بالتعاسة، هذا يمنحه فرصة التمتع بصحة جيدة بنسبة أعلى، وكذلك يسهل عليه إمكانية أن يصبح غنياً، بالطبع هنا أعني الوصول إلى غنى الروح. وإن النفس التي لا تجيد الحصول على الفرح تفقد الحب داخلها. وهنا عندما نصل إلى اللحظة التي نقتنع فيها أن الحياة ليست أكثر من مجرد لعبة، سوف نتحرر من ارتباطنا بها. اللعبة يمكن أن تتوقف في أي لحظة، فتصبح خارجها. هذا يعني أننا يجب ألا نصبح عبيداً لتلك اللعبة. وعلينا ألا ننسى أن أهم شروط هذه اللعبة هي المحبة والفرح.

لهذا يوجد المسرح. على خشبة المسرح نشاهد فصول اللعبة التي تحاكي الحياة. إن جميع مواقف وأحداث اللعبة تنشأ من عواطف وأحاسيس الممثلين.

1- العهد الجديد: رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي (5: 16).

وإن المؤلف المسرحي يخلق المشهد، حيث الفكرة تتحول إلى نماذج فكرية ومواقف عقلانية. ثم يتم تكرار هذه العملية. أما مهمة المخرج فهي جعل الفكرة تصبح نموذجاً مادياً مفعماً بالطاقة والحركة. بعد ذلك تأتي المرحلة الثالثة، عندما يأتي دور الممثل على خشبة المسرح ليحول النص إلى حالة واقعية مستخدماً عواطفه وأحاسيسه. المهم في المسرحية الفكرة. أما الإخراج فمهمته إبراز الانفعال والعاطفة. أما الممثل فإن المهم بالنسبة له إجادة وإتقان الدور الذي يؤديه.

لماذا يقول شكسبير: «العالم مسرح كبير، والناس جميعهم ممثلون به»؟ لذلك فإن الحياة والمسرح يخضعان إلى مبادئ اللعبة. إن النبضة الابتدائية هي الخطة الأولية التي يتم تحقيقها في المستويات الرفيعة، بعدها على المستويات الخارجية، ثم الجسدية. في البداية كانت الكلمة. ولقد نشأ الكون من الخطة الابتدائية للخالق. تحقق ذلك على المستويات الروحية الدقيقة، بعد ذلك تم تحويله إلى المادية. عندما يشاهد الإنسان مسرحية عليه أن يتفاعل مع جميع الأحداث والمواقف ويحولها إلى المجال الانفعالي. إن ذلك ينتقل إليه من المخرج عن طريق الممثل. جميع الانفعالات يجب أن تصب في نقطة واحدة، وفق نمط واحد، وفي خطة ابتدائية، إنه قدح لشعور الحب. في المسرح يسمى التفريج[1]. عندها يصبح الدور المؤقت كاملاً. إن السلسلة المؤلفة من الكاتب المسرحي والفكرة، المخرج - العاطفة، الممثل - المسرحية، وعن طريق تلك السلسلة تنتقل أحداث المسرحية إلى النصف الثاني من الدائرة: أي للمشاهد - المسرحية، المشاهد - الموقف، المشاهد - المسرحية، الفكرة، تفريج عاطفة الحب. من دون شرارة الحب والطاقة، لا يمكن أن تظهر الفكرة الحقيقية لقصة المسرحية.

كما إن الكون نشأ من انبثاق شرارة الحب والطاقة، وكذلك تنشأ الحياة والمسرحية. إن جميع هذه الألعاب الثلاثة تحاكي مسرحية، الحياة والكون وعليها أن تعود إلى الأصل؛ إلى الحب.

1- مصطلح التفريج (Catharsis): كلمة يونانية تعني التطهير والتفريغ استخدمه أرسطو للدلالة على الأثر الذي يتركه العمل الفني في المتفرج.

لقد قال المسيح: «...دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ»[1]. إن أهم شيء يمتلكه الطفل هو عاطفة الحب والطاقة العالية، إنه يحتاج بشكل دائم إلى التطور والتعرف إلى العالم. وإن حياته عبارة عن لعب دائم، حيث يتغير كل شيء بشكل مستمر، وتكون الحاجة إلى الفرح دائمة. من المهم أن نفهم أن الشعور بالفرح في المقام الأول يجب أن يكون موجهاً إلى الله والمحبة، وليس إلى أجسادنا ورغباتنا. إن المهم في أي لعبة ألا يكون الفرح مرتبطاً باللعبة نفسها، بل بما يحصل الشخص عليه من تلك اللعبة. عندها يظل الإنسان متمتعاً بالفرح على الرغم من انتهاء وتوقف اللعبة. وعندما تنتهي اللعبة التي تحاكي الحياة أو تنهار، علينا أن نخرج من تلك المسرحية بشعور مفعم بالحب والفرح. إن الحياة وكل الأحداث التي تحدث داخلها، هي نتيجة ووسيلة من أجل الحب.

إن أي لعبة هي عبارة عن نموذج مصغر عن الكون. وبما أن الحياة بحد ذاتها عبارة عن لعبة، فهذا يعني أن كل الأحداث التي تجري داخلها مترابطة. وإذا كان موجوداً في المسرحية بندقية معلقة على الحائط، هذا يعني أنها قد تكون جاهزة للإطلاق. من يستطيع الإحساس بالترابط الداخلي لجميع الأحداث، يسهل عليه إدارة الخيوط في اللعبة الكبرى التي تسمى الحياة.

«أعتقد أنه قد شاع مؤخراً استخدام شتى أنواع وطرائق اللعب بقصد التعلم والتدرب. أي إن كمية من المعلومات التي تعطى عن طريق الألعاب، أصبح من السهل تحويلها إلى انفعالات، بحيث تكشف في نقطة وبالتالي يسهل تذكرها. إن التفكير والإدراك لا وجود لهما من دون ذاكرة، تنشأ الذاكرة فقط عن طريق المشاعر والأحاسيس والتصور. في إحدى المرات قمت بإجراء تجربة طريفة. في واقع الأمر، لكي تتمكن من تذكر فكرة ما. تحتاج إلى استخراجها من الذاكرة، ومن العقل الباطني. والفكرة: عبارة عن عدة حالات مترابطة مع بعضها في كتلة واحدة. منذ زمن بعيد لاحظت، أن الأفكار التي يتم استرجاعها من العقل الباطني،

1- العهد الجديد: لوقا (18: 16-17).

تبدو للوهلة الأولى وكأنها أحاسيس ومشاعر، وهذه الأحاسيس لها صبغتها الخاصة. إنها تخرج من العقل الباطني، تنتشر ثم تتحول إلى فكرة».

لقد حاولت تشخيص هذه العملية وإيجاد نمطها على المستويات الرفيعة. من الممتع جداً معرفة في أي منطقة من الدماغ تحدث هذه العملية. لقد كانت النتيجة مدهشة جداً. إن تحويل المشاعر إلى أفكار يحدث خارج الرأس. وإن تلك المنطقة عبارة عن دائرة قطرها نحو سبعين سنتيمتراً. عندها فهمت لماذا يرسمون حلقة دائرية حول رؤوس القديسين، والمنطقة التي يتم فيها تحويل المشاعر إلى أفكار يمكن أن تكون مختلفة من شخص إلى آخر.

لقد تذكرت كيف أن إحدى النسوة سردت لي قصة طريفة: «زوج إحدى صديقاتي شرب حتى الثمالة، ولقد تذكرت أنك قلت في إحدى محاضراتك إنه من الخطأ تعليق ساعة الحائط فوق الأيقونة. عند صديقتي، كانت الساعة معلقة في الأعلى. ذهبت إليها وقلت: «إن الزمن هو رمز للرغبات. وهذا يعني بالنسبة لك أن الرغبة هي في مرتبة أهم من مرضاة الله، وهكذا فإنه في عقلك الباطني سوف تنمو وتزداد الغيرة، لذلك أخذ زوجك يكثر من الشراب». في النهاية سمعت صديقتي النصيحة وعلقت الساعة تحت الأيقونة. ومن تلك اللحظة ترك زوجها عادة الشراب نهائياً. ولقد مرت عدة شهور دون أن يشرب».

أنتقل إلى الكرة التالية على طاولة البلياردو: أحاول أن أسدد الضربة، لكني لم أستطع تمالك نفسي من الضحك، عندما تذكرت اقتراح أحد أصدقائي: «هل تريد أن أعرفك إلى إحدى الطبيبات المعالجات الرائعات؟ إنها تحصل على نتائج باهرة، هل تعلم كيف تقوم بعلاج مرضاها؟ لا يمكنك أن تتوقع كيف. إنها تستخدم كتبك تقرأ للشخص المريض محاضرة مختصرة مأخوذة من أحد كتبك، ثم يقرأها المريض فيتعافى» «ما أهمية من يكتشف القانون؟ المهم أنه يطبق ويستخدم على أرض الواقع».

لقد تذكرت الحديث الذي دار بيني وبين أحد الأشخاص منذ مدة ليست بالبعيدة، والذي أرسل إلى بريدي الإلكتروني عدة رسائل. لقد أراد مساعدة الآخرين، حيث استخدم فحوى مؤلفاتي. لقد تمكن من شفاء العديد من المرضى

بهذه الطريقة. في حين عجز الطب التقليدي عن علاجهم، لقد تغيروا ونسوا أمراضهم. لقد كان ذلك مهماً لي، وكيف كان تأثير ذلك فيه، أنا أعرف كم هو خطر، أن تتدخل في مجرى حياة ومصير شخصاً آخر.

لقد اتصلت به في المنزل، حيث دار حديث ممتع بيننا: «أستطيع أن أقدم التهاني لك - قلت له - لم أر أي أخطاء ولا انحرافات تذكر في عملك».

- فقال معترفاً لي: «في الحقيقة واجهتني إحدى المشكلات».

- إنه من المهم معرفة ذلك، أخبرني بالتفصيل من فضلك.

- راجعتني إحدى المريضات بالسرطان، حيث كان المرض منتشراً، بعد أن حدثتها عن كتبكم ومضمونها، لاحظت وجود تحسن كبير في حالتها. بعد ذلك طلبت مني إجراء مقابلة ثانية، ليس للتحدث معها فقط، بل ومع أقربائها أيضاً، لقد شعرت بصعوبة إقناعهم «قالت المريضة معترفة بذلك. لذلك قررت الذهاب إلى منزل أسرتها، وهناك أجريت لها جلسة علاجية ثانية.. لكنه وفي اليوم التالي شعرت بسوء حالتي الصحية، وعندما ذهبت إلى العمل، أخذ الجميع ينظر إلي الجميع بدهشة وأكدوا لي أني وأثناء يوم واحد ظهرت وكأني تقدمت في العمر عدة سنوات. عانيت كثيراً حتى عدت إلى حالتي الطبيعية، هل بإمكانكم أن تشرحوا لي تفسير ذلك؟

قلت له: «أنا أعتقد، أنه بالنسبة لكم لم يكن من الضروري إجراء الجلسة الثانية. إن الشخص غير المستعد سوف يذهب إليك للحصول على الطاقة التي يحتاجها للتغير، بدلاً من اللجوء إلى الخالق للحصول عليها لاستعادة صحته. وفي هذه الحالة لن يتغير، بل سوف يقوم بامتصاص طاقتكم مستقبلاً مراراً. يجب توجيه الشخص إلى الله للحصول على الطاقة، وليس من شخص آخر، أو من المعالج نفسه. إن ذلك يعد من الحماقة، بل وخطر جداً، من الضروري إيقاف تقديم المساعدة في الوقت المناسب. إن المعالج يجب أن يعتمد على الشفاء الذاتي، وهذا موجهاً لمن نحاول علاجه، ولمن تم إفساده».

إن رؤية أحد أصدقائي قطع سلسلة أفكاري، إنه أحد رفاق اللعب في البلياردو، يتوجه إلى طاولتنا برفقة زوجته.

سألته:

- كيف أحوالك، وما هي مشاريعك؟

- لقد أردت أن أسألكم عن أمر غريب حصل معي ومع زوجتي. لقد كنا في سهرة مغلقة في سويسرا تواجد بها علية القوم. هناك وأثناء العشاء حصل الأمر الغريب. «شعرت وقتها بنعاس شديد».

- أكدت الحديث زوجته وتابعت قائلة: «أخذنا بشرب نبيذ عادي تشيلي المصدر، إنه يتميز بمذاق رائع. لقد قدموا في دعوة العشاء هذه أفضل أنواع النبيذ، شربت نبيذاً أحمر، شعرت عندها بحرقة في البلعوم. حاولت أن أتابع الشرب، لكن ذلك كان مستحيلاً. عندها طلبت ملأ الكأس بالنبيذ الأبيض. شعرت بطعم شديد الحموضة، لم أتمكن من الشرب أيضاً. تركت الشراب، وانتقلت إلى الطعام، أحسست أن كل الأطعمة ذات طعم واحد، والأصح شعرت أن لا طعم لها».

سألتها: ماذا حصل مع الطعام.

فأجابت: لم أشعر بأي فرق في طعم لحم البط والكبد والتونة. لكن الغريب في الأمر عندما خرجنا من السهرة، شعرت بشهية لم أعهدها أبداً، إنها أشبه بشهية الذئاب.

تابع زوجها:

- وأنا طار النعاس الذي كنت أحس به.

فأجبتهما: إن سبب ذلك يعود إلى عمل آلية الحماية الذاتية، وأن الطعام يساعد على فتح ذاكرة العقل الباطني. إن الحالة التي تكون بها أثناء الطعام. تنتقل إلى اللاوعي وتتضاعف عشرات المرات. لذلك من المفيد أن تصلي قبل الطعام في المجتمع السويسري والذي يتمتع باستقرار عالي المستوى، وتطور منظومات البنوك جعل الدولة تأخذ أكثر مما تعطي. وهذا يقلل من طاقة المجتمع، بل يؤدي إلى حصول أزمة عالمية. في الدول المتطورة، يزداد برنامج التدمير الذاتي لأفرادها. إنها أخطر الخسائر لكننا لا نلاحظها. وهكذا نرى أنهم اعتادوا على مثل ذلك المستوى من العيش هناك. بالمناسبة، إنهم في سويسرا الآن يعالجون مسألة تيسير الموت (Eauthanasia)؛ ليس فقط بما يخص الأشخاص المصابين بأمراض لا علاج لها، بل وبما يخص الأشخاص الذين يتألمون ولا يريدون الاستمرار في الحياة.

لكن نسأل لماذا يقف الدين ضد الانتحار وتيسير الموت؟ هل سمعتم بعبارة: أحرق الجسور خلفه؟ إن أول من استخدمها القائد الصيني الكبير سون تزي. يتضمن مغزى العبارة التالي: إذا شعر القائد أن هناك أدنى شك في قدرة قواته على تحقيق النصر، عندها عليه أن يرفع من معنويات جنوده القتالية، ويرص صفوفهم. ويجب توجيه مجمل الطاقة المعنوية لتحقيق النصر. فمن أجل ذلك يجب إحراق الجسور، وبالتالي تدمير سبل التراجع كافة.

إن العقل الباطني لكل إنسان يستهلك 20٪ من طاقته من أجل حماية نفسه والتراجع. وإذا كانت وحدة وتماسك القوات ليس عالياً، عندها فإن المقاتل يركز اهتمامه ليس من أجل تحقيق المهمة بل من أجل حماية نفسه وحياته. عند الشعور بالخوف، تصبح الطاقة المخصصة للهروب والتراجع تقارب 40-50٪. في حال زادت النسبة عن ذلك، فإن المقاتل عندها يفر مذعوراً من أرض المعركة. لكن عندما يعلم المقاتل أن لا سبيل أمامه للتراجع، أو الفرار عندها فإنه ليس فقط يقوم بتكريس كل طاقته لتحقيق النصر، وبل ويستخدم جميع احتياطاته الكامنة لتحقيقه لهذا السبب، يتم إعدام من يفر من أرض المعركة دائماً ومن دون رحمة وأمام الصف. إن الشخص الذي ينهي حياته بالانتحار مثله مثل الجندي الفار من ساحة المعركة. كلما كانت المهمة الملقاة على عاتق الإنسان في الحياة صعبة، أصبح الحب والطاقة أعلى داخل روحه. إن الذي يفر من المعركة لا يحتاج إلى الحب. إن تبني تيسير الموت في المجال الحكومي، يشغّل برنامج التدمير الذاتي داخل المجتمع.

وبما أن الدين يهتم بالروح، ليس فقط بما يخص الفرد البعيد، بل والمجتمع ككل، لذلك يصبح من المستحيل الابتعاد عن الحب وعن الخالق. إن فكرة جعل الانتحار عملاً مشروعاً وقانونياً، يتعارض مع الإيمان بالله ويبعد المجتمع بشكل نهائي عن محبة الخالق، وهذا يجعل الإنسان عاجزاً عن تحمل الصعاب أو اجتياز الأزمات والحالات الطارئة.

لقد اعتدنا على تغيير الحقائق الكبيرة بحرفيتها وبشكل سطحي. دققوا النظر بوصايا المسيح بما يخص الروح لا الجسد. وبناء على ذلك أعتقد أن مغزى الصلب كان

موجهاً بشكل خاص إلى الروح. لقد رأى المسيح كيف أن الطقوس السطحية تقتل الحب وتفتك بأرواح الناس. وإن الروح تعمّد المحبة. إن المسيح يتحدث عن المحبة دائماً ويقصد ذلك بشكل خاص. وصلب المسيح يرمز إلى الفناء المتكرر للجسد والنفس وما يتعلق بها من رغبات وشهوات وتكريس لانتصار الحب على كل ذلك.

إننا جميعنا من حيث الجوهر من روح الله. ولقد خلقنا وفق مشيئة الله، وتوجد داخل أرواحنا مركبة أبدية لا ترتبط بأي شيء. كذلك توجد طبقة ترتبط بجسدنا تقوده وتحدد مصيره. وتوجد طبقة ثانية والتي لا ترتبط بالجسد فحسب، بل تتعلق به.. إنه الوعي الجسدي الذي ترتبط به الرغبات والشهوات. وإذا كان الجسد يتغذى بالطعام، فإن الروح تتغذى بالحب، وبالطاقة الصادرة عن الخالق، لكنها تموت من الزيادة في ارتباطها بالجسد، أما الصلب فهو ابتعاد عن الجسد وتقرب من الله.

- قلت: يجدر الانتباه بما يخص الطعام. فإن أي نوع من أنواع المنتجات الغذائية تحوي على ثلاثة مركبات: حريرات، وطاقة، ومعلومات. وتوجد أطعمة تحوي على كمية كبيرة من الطاقة الحرارية، لكنها قد تسبب الأمراض لأنها تحوي على القليل من الطاقة والكثير من المعلومات القذرة. لماذا سعر الأسماك التي تربى في المسمكات الصناعية، أرخص بمرتين من الأسماك البحرية؟ في البداية لم يفهم الناس ذلك، لكن فيما بعد أدركوا أن طعمها مختلف. إن الأسماك البحرية لكي تعيش لا بد لها من البحث عن طعامها، لهذا يتوجب صرف الكثير من الطاقة والمعلومات النظيفة. وإن كانت الأسماك البحرية تمتلك القليل من الطاقة حينها سوف تتمكن الأسماك المفترسة من التهامها. أما الأسماك التي تربى في المسمكات الصناعية لا حاجة لها إلى الطاقة - إنها سوف تعيش في الأحوال كافة.

ما هي حاسة الجوع؟ إنها طرح للطاقة. قبل ذلك تظهر الشهية للطعام. وعندما نبدأ بتناول الطعام، من دون شهية، هذا يعني، أننا نستخلص من الطعام الحد الأدنى من الطاقة، ونأخذ من الطعام فقط السعرات الحرارية. إن ذلك يؤدي إلى حصول اضطرابات في الأمعاء وظهور المرض لاحقاً.

أما ما يخص نظافة المعلومات في الطعام: كلما كان الطعام خالياً من لحوم الحيوانات أصبحت المعلومات القذرة التي تدخل جسم الإنسان أقل نسبة. ضمن هذا السياق يعتبر لحم الخراف هي الأكثر نظافة وطهارة بين منتجات اللحوم الحيوانية، أما الأكثر قذارة فهو لحم الخنزير. إن الأبقار تتغذى على العشب، لكنها لا تعتبر حيوانات تتميز بالتربية الجماعية كما الأغنام. لذلك نلاحظ أنها تتواءم مع الإنسان، وينشأ ترابط متبادل معه. ومن أهم مبادئ تربية الحيوانات، المبدأ البسيط التالي: ألا تتغذى على ما هو شبيه لك، وألا سوف تبدأ بالعمل آلية التدمير الذاتي، لذلك نلاحظ أن القبائل آكلة لحوم البشر هي الأكثر بدائية بطبيعتها مع تحليها بنزعة الجنوح للفساد.

عندما يتعايش الإنسان والحيوان لمدة طويلة، تصبح العلاقة متينة بينهما على المستوى الانفعالي وقد يحصل تداخل في الجينات بينهما. وبما أن الخنزير يعتمد كلياً في طعامه على الإنسان لذلك يعتبر من أكثر الحيوانات التي تشبه الإنسان من الناحية النسيجية. إن آخر الاكتشافات العلمية أثبتت ذلك. من ناحية نقل الأعضاء إلى البشر، يمكن اعتبار الخنزير من أفضل المانحين، وأفضل من القرد. ما خطورة الانتقاء، ولماذا هو محرم في الدين اليهودي؟ عندما تمتزج جينات نوعين من النباتات أو الحيوانات بشكل سريع، ذلك يشكل طفرات على شكل إدخال معلومات جديدة مشوهة، تكمن خطورتها بالدرجة الأولى على الطاقة الخاصة بمالكها مع جشعه وأطماعه وقذاراته. إن الانتقاء يمكن أن ينجزه بنجاح فقط الأناس الخيرين، أما العلماء الذين يفكرون فقط بالربح والرفاه المادي، على الرغم من إرادتهم سوف يقومون بتسميم المعلومات والطاقة في النباتات، وهنا مكمن الخطورة.

أما الانتقاء بما يخص الحيوانات سوف يؤدي إلى جعلها سريعاً مشابهة للإنسان. وهذا يؤثر في مصائرهم ونمط حياتهم، ويجعلهم يتفاعلون مع كل شيء بشكل مشابه للإنسان. منذ مدة تم عرض قصة محزنة في التلفاز، وكيف أن كلبة منزلية نهشت طفلة صاحبة المنزل. وأمضى العلماء النفسيون ساعة كاملة وهم يحاولون شرح مغزى ما حدث. عدم الفهم ذلك فسرته لاحقاً ربة المنزل نفسها

وصاحبة الكلبة. قالت المرأة «عندما توفيت أمي عشت أوقاتاً صعبة وشعرت بالحزن، لذلك جلبت معي إلى البيت كلبة صغيرة ربيتها واحتضنتها واحتلت مكان الإنسان الأغلى على قلبي. لكن كيف استطاعت فعل فعلتها، لم يتمكن عقلي من فهمه».

أما تفسير ما حصل هو التالي: قبل ولادة الطفل كانت الكلبة تحتل موقع «الإنسان الأكثر قرباً ومعزة» بالنسبة لربة المنزل، لكن الأحوال تبدلت بعد ولادة الطفل. عادت الكلبة إلى موقعها الطبيعي مجرد حيوان منزلي أليف. في نظر الكلبة ارتكبت صاحبتها خيانة بحقها عندما أهملتها، كتم الحيوان انفعالاته طويلاً، لكنه في النهاية أفلت انفعالاته من العقال، ونهش الطفل من الغيرة.

بالنسبة للعالم الغربي المعاصر أصبح تقويم المنتجات الغذائية بما تحويه من طاقة ومعلومات بمثابة الخرافة. وشكل تغليف الأغذية أصبح هو المعيار الأساسي في تقويمها. كلما تطور العلم، ازدادت عملية تدمير وتخريب المنتجات الغذائية شدة. وهكذا أيضاً يتم تخريب الروحانية لدى الإنسان لصالح عبادة الجسد. هل تعلمون كيف اكتشفوا النبيذ المعتق (الماديرا)؟ عبؤوا النبيذ في براميل خشبية وحملوه على متن السفن للتصدير. لسبب ما عادت السفن المحملة بالنبيذ إلى الوطن دون أن يتمكنوا من بيعه. طال تخزين النبيذ في براميل مصنوعة من خشب البلوط، لكن عند تناوله، وجدوا أنه يتمتع بطعم رائع وعند بيعه أعطى مرابح هائلة. بعد ذلك أخذوا ينقلون براميل النبيذ عبر المحيط تحت أشعة شمس الجنوب، بعد ذلك أحد ما أشار أنه يمكن تخزين تلك البراميل على الشاطئ بالقرب من البحر. صيفاً تحت أشعة الشمس أو شتاءً في الأقبية. وهكذا لاحظوا أن النفقات تقل والنوعية نفسها. إن النبيذ المعتق (ماديرا) ينضج عندما يخزن في براميل من خشب السنديان لمدة خمس سنوات، بعدها يصبح طعمه رائع المذاق ومفيداً.

أما التجار الحاليون ماذا يفعلون؟ يعبئون النبيذ في البراميل الخشبية ويقومون بتسخينه إلى درجة الغليان لعدة أيام. بعد أسبوع يصبح النبيذ جاهزاً. من حيث الطعم يصبح مشابهاً تماماً للنبيذ الحقيقي. أما من حيث الطاقة فهو أشبه بالسم. مع العلم

أن الآثار السلبية لتعاطي هذا النوع من الخمر قد تظهر بعد عدة سنوات. إضافة لذلك إن التشوه المعلوماتي لهذه العملية قد تطول لسنوات في تمايزها عن التركيب الفيزيائي.

في إحدى المرات تحدثت مع إحدى العاملات اللواتي يعملن في معمل إنتاج الشمبانيا في القرم. فسألتها: «كيف يجري العمل لديكم الآن، وهل يتم التقيد بتكنولوجيا الإنتاج؟ إن تعتيق زجاجة النبيذ لمدة 4 سنوات ليس مربحاً في معظم الأحيان أليس كذلك؟ وهل تخزونها لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر»؟ لم تجبني عن هذا السؤال، لكني توصلت لمعرفة بعض المعلومات الجديدة حول هذا الموضوع. لقد ثبت لو أن الخميرة جيدة وطازجة ربما تكون الشمبانيا مقبولة. عندها على الفور فهمت لماذا يؤلمني رأسي عندما أتناول الشمبانيا. مع العلم أن أهم مكونات النبيذ هو المكون المعلوماتي.

إن النبيذ الأحمر المز يحتوي على مئات من المكونات المتنوعة، إنها تتفاعل مع جسم الإنسان، تنشط بنيته المعلوماتية وتفتح الذاكرة المعلوماتية للإنسان، وتسهل تعامله مع العالم المحيط. ذلك يحدث في النبيذ الجيد. أما في نبيذ (البرتو) المغشوش يوجد عشرين فقط من تلك المركبات، وعلى رأسها الكحول وحريرات، لذلك فإن نبيذ البرتو يخرّب المزاج ويقلل من قدرة الرجال. إنهم الآن يقتلوننا ببطء بواسطة النبيذ في المحال التجارية وسراً يتم بيع مسحوق، عندما تخلطه في برميل من النبيذ، بعدها تستطيع بيعه على أساس أنه نبيذ معتق غالي الثمن. لا تستطيع تميزه من حيث الطعم والشكل عن النبيذ الحقيقي، لكن بما يحويه من مركبات كيميائية تكون قاتلة.

أحد أصدقائي مقيم في موناكو حدثني عن حادثة طريفة: مع وصول حماه إلى هناك ذهب إلى المتجر واشترى عدة زجاجات من النبيذ الجيد. لقد كان لديه جهاز لاختبار جودة النبيذ، إن النبيذ الجيد يحتوي على مركبات بنسب محددة. قام باختبار زجاجات النبيذ، فتبين أن من أصل ثلاث زجاجات نبيذ اثنتان مغشوشتان. هذا يعني أن النظرة المادية المعاصرة التي تعيد الشكل ينتج عنها تخريب الجوهر بشكل سريع.

يسأل صديقي: بالمناسبة كم عدد الحفلات الآن في موسكو، إلى أيها يجدر الذهاب؟

- أجبت أنا: تصعب الإجابة. في الحقيقة منذ مدة قريبة، حضرت إحدى المسرحيات المخصصة للانتخابات الجديدة. نفذ المسرحية مجموعة من الشباب، عرضت المسرحية في مسرح الشعب للفنون. كانوا يقهقهون ويتحادثون مع المشاهدين. إلى هناك يجدر الذهاب؟!

- أما الفكاهة؟

- إنه مشهد محزن حقاً إذا كانت الفكاهة سابقاً عبارة عن إحدى أشكال إظهار طاقة الإنسان، وقدرته على السمو فوق الأزمات والمصائب، أما حالياً فلقد انحدرت إلى مستوى ما دون الحزام، وتحولت إلى مجرد استهزاء بالآخرين. أحد معارفي أخبرني بالآتي: «تقولون إن الضحك عبارة عن طرح للطاقة الزائدة، والتي بدورها تفعّل طاقة الجسد وتشفيه. إني أتذكر أننا عبر السهرة كنا نضحك باستمرار، لكنه في اليوم التالي استيقظت وكان وضعي الصحي سيئاً، ثم وقعت في براثن المرض». لقد تفحصت تلك الحالة في الزمن، ثم قلت له، كنت تشعر وقتها بالتكبر على الناس وتنظر إليهم نظرة استهزاء، لذلك وقعت في المرض. بعد أسبوع تلقيت من ذلك الرفيق اتصالاً، حيث أخبرني أنه تذكر تفاصيل الجلسة بدقة. «نعم بالفعل، كانت تجلس معنا فتاة. لقد أخذنا نستهزئ بها ونضحك عليها، سرى ذلك مثل كرة الثلج. لم أكن أتوقع أن الاستهزاء والضحك على الآخرين، يجلب المرض» - قال هو.

وهكذا، فالآن في روسيا فكاهة تعتمد أساساً على الاستهزاء والسخرية الجنسية. فقط قلة من الممثلين والفنانين الموهوبين يبتعدون عن الخسة.

اللعبة انتهت اليوم. لكن اللعبة التي تمثل الحياة تستمر. وعندما تنتهي، تبدأ لعبة جديدة، لكنها مخصصة للروح هذه المرة. بالتأكيد جميع تلك الألعاب لا بد أنها تخضع لقاعدة أساسية واحدة، والتي يحيا الكون ويتطور عن طريقها.

سدوم و عمورة

ذات مرة في نهاية أعوام التسعينيات كنت أجلس داخل السيارة التي تنطلق مسرعة على أتوستراد رائع يخترق الصحراء، تظهر فيها بعض الصخور والتلال القليلة، وبحر لا حدود له من الرمال الصفراء الرمادية. نسرع في سيرنا باتجاه البحر الميت. أتمعن في المناظر الطبيعية التي تظهر أمامي، والتي أخذتها ذاكرتي. في المرة الماضية عندما زرت فلسطين، أمضيت عدة ساعات في الصحراء الواقعة بالقرب من ميناء إيلات، شعرت باختفاء الحكمة من أذناي، هذا يعني أن الحسد والتعلق بهذا العالم قد اضمحلا كثيراً.

في فلسطين تشعر بطاقة غريبة. هنا تياران من الزمن، الشرق والغرب يلتقيان بشكل هادئ. الغرب: هو الوعي المرتبط مع العالم المادي، والشرق: هو اللاوعي والعالم اللا مادي. وبما أنه في العالم الروحاني كل الأشياء واحدة، لذلك فإن تفكير الإنسان الشرقي يكون مجازياً. هذا المجاز يظهر على شكل الرموز الهيروغليفية. يمكن أن نجسد الشرق على شكل وعي متجمد، أي كالإنسان المتأمل. كيف يمكن تجسيد الغرب ورمزيته؟ عن طريق تمثال العجل الذهبي. الموضوع في أحد أهم شوارع نيويورك! أو عن طريق الرجل اللاهي الذي يجلس داخل سيارة وبيده علبة بيرة! أو عن طريق العروض في النوادي الليلية! لكن الاهتمام في الغرب بمظهر النساء العاريات أخذ يخف بريقه تدريجياً، وذلك بسبب الانخفاض في مستوى الذكورة وازدياد عدد العقول الفارغة. يصعب التكهن بذلك هل الشرق يمتلك نمطه الخاص؟ وبالتالي هل فهم الغرب يتشظى إلى قطع متناثرة، تماماً مثل تفكيره وحديثه وأبجديته؟

إن النواس يتراقص بشكل دائم. قبل أن نأخذ، يجب أن نعطي. قبل أن تحصل على الخيرات الإنسانية، يجب عليك ولمدة طويلة الابتعاد عنها. ولو لم تظهر في الهند فلسفة الزهد الكلي عن العالم، لما كانت قد ظهرت في الحضارة الغربية

الحديثة نزعة عبادة المادة. إن التطور يسير وفق منحى جيبي، إذا نظرت إلى النابض من الجانب تجده هو المنحى الجيبي نفسه.

إن النواس المشحون بالقدرة الكامنة الروحية عندما يبدأ بالحركة بالاتجاه المادي، لن يقف هناك طويلاً. وإن توقف النواس يعني الموت. ومن المحتمل أنه منذ تطور الحياة كان الأمر كذلك. إن حالة التلاشي والتجميع القوي للمستقبل تبدلت إلى حالة النشاط والتبادل مع الحاضر والخسارة التدريجية للمستقبل، وإن تسارع التطور أدى إلى ظهور حلزون مضاعف. حتى في الجسم الحي أخذت تحدث عمليتان متقابلتان في وقت واحد. فكل شيء في الكون يتكرر. في الماضي كانت الحضارات تحتوي على مخزون روحي، استبدلناه بالمنجزات المادية، بعدها حصل الفناء. هناك أمران متناقضان، المادية والروحانية، توحدا في الزمن وليس في الفضاء. وعاجلاً أم آجلاً في المنطقة المتوسطة بين الغرب والشرق سوف يتم اندماج هذه المتناقضات في وقت زمني قصير. هذا يمهد لمرحلة جديدة من التطور الإنساني لكن يجب أن نكون على يقين، أن كل واحدة من هذه المتناقضات لا يمكنها أن تستمر في العيش بشكل منفرد. وإذا كانت طاقة كل واحدة منها تنمو ولا تنتقل إلى مثيلتها، عند ذلك يحصل تخامد ذاتي. وإن أي منظومة عند تطورها، وعند حصولها مستوى معين الطاقة، يجب أن توجد نقيض خاص بها.

- قلت في نفسي وأنا أنظر إلى الصحراء من حولي: «منظر طريف. إن الحضارة الحديثة بكليتها نشأت من قوة زهد هائلة عما هو إنساني، وشحن أعظمي في المستقبل. كان ذلك في منطقة الهند. ما هو مغزى التأمل؟ إيقاف جميع وظائف الجسد والتفكير. العمل، والعلاقة الأسرية، والتعامل الاجتماعي، والتفكير، وكل هذه الأنشطة يجب إيقافها. على الإنسان أن يذهب إلى الغابة، أو إلى إحدى المغارات، ويتواجد لمدة طويلة في الظلمة أو مغلق العينين. ويجب أن يحافظ بشكل دائم على إيقاف وظائف الجسد. إن جميع الوظائف مثل الجنس، تناول الطعام، التنفس. التبادل المادي، حركة القلب، يجب أن تتباطأ. كمية ضخمة من الطاقة تتحرر، لتذهب إلى تشكيل الجسد اللا مادي، جسد المستقبل.

لكي يولد الكائن الحي، لا بد من وجود DNA، الذي يحوي على برنامج المستقبل المضغوط داخله. ولكي تولد الحضارة، لا بد من خلق مستقبلها الروحي. بعد ذلك تضغط في نقطة، بعدها، تظهر الفتوحات أديان، وثقافة، وعلوم. إن الفكرة تولد وتظل لمدة طويلة لا قيمة لها. بعد ذلك يتم ضغط الأفكار على شكل انفعالات، بعدها يظهر الموسيقيون، والشعراء، والفنانون والرسامون. ثم يظهر مردود عملهم. عندما يتحول مجال الانفعالات إلى ثقافة، تتولد المنجزات المادية والتقنية. في هذه الحالة تزداد إمكانية الابتكارات. على امتداد آلاف السنين كان الشرق هو مصدر توليد الأفكار، حولهما الشرق الأوسط إلى مشاعر، أما الغرب فلقد كان هو المخترع في المجال المادي.

لقد بدت تلك العملية أكثر وضوحاً في المئة سنة الماضية. بعد الحرب العالمية الثانية جنح النواس العالمي باتجاه المادية. وهكذا أضحى تعايش اللولب الحلزوني المزدوج يشوبه الخلل. لقد قهر الغرب الشرق وقيمه وأجبره على تبني قيمه. اليوم عملياً لم تعد القيم الروحية والقناعة هي مصدر السعادة الأساسي في العالم. لقد أضحت النقود والرفاه المادي هي التي تجسد السعادة ليس فقط بالنسبة للإنسان الغربي وبل للإنسان الشرقي أيضاً، لا أحد يريد أن يعمل بلا أجر. لقد اتجهت الشبيبة لعبادة العجل الذهبي. من الواضح أنه أصبح زيادة في المال وقلة في الأفكار. إن الدفق الأعظم للطاقة بالنسبة للطفل يمتد من عمر تسعة سنوات إلى ستة عشر أنها تصب في المكان الذي يوجد تصوره عن السعادة. إن تلك التصورات الآن على ارتباط وثيق بالجسم والوعي والتفكير.

إن الحضارة المعاصرة أشبه ما تكون إلى الإنسان نفسه، والذي سد عليه الطوب في غرفة محكمة الإغلاق، ولم يدر في خلده أنه قريباً سوف يموت مختنقاً داخلها. الفكر هو الهواء بالنسبة للمجتمع. إن الفكرة أساساً موجهة لنمو وتطور الروح، أما إذا كانت الفكرة موجهة فقط إلى الإنجازات التكنولوجية، هذا يعني كمن يتنفس داخل جو مليء بالهواء الفاسد الذي يدور وكل مرة تصبح فيه نسبة الأوكسجين أقل. الآن نشاهد انفجاراً في انتشار الأمراض النفسية في العالم أجمع. إضافة إلى الأمراض النفسية تنتشر أيضاً أمراض الجسد بوتيرة عالية، هنا مؤشر واضح على أن الإنسانية بدأت بالاختناق.

لقد تذكرت الآية من الكتاب المقدس: «...إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ وَتَصْنَعُ الْحَقَّ فِي عَيْنَيْهِ وَتَصْغَى إِلَى وَصَايَاهُ وَتَحْفَظُ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ فَمَرَضاً مَا مِمَّا وَضَعْتُهُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ لاَ أَضَعُ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ»[1].

إن الطريق المعبد الذي يؤدي إلى البحر الميت، ينحرف بشكل سلس، حيث يظهر منظر بانورامي جديد. إن هدوء ولا نهائية الصحراء تستدعي وقفة تأمل. إن العقل الطبيعي لا يمكنه أن يرتبط بشيء أو يتفاعل مع أي شيء. إنه يشعر بالسكينة التامة وينضغط في نقطة، ويصبح تقبلك للعالم المحيط بعقل وطريقة تفكير مختلفة، حيث لا وجود للملل ولا للخوف ولا للأحقاد ولا الحسد.

لماذا خاطب الخالق الناس في هذه الأماكن بالذات؟ على الأرجح إن جريان الزمن يكون هنا على شكل حلزون مزدوج. تظهر أمامي ببطء الأماكن التي ذكرت في الكتاب المقدس. من هنا انتقلت القدرة الإلهية والمعلومات إلى البشر، لكنه تبين أن ذلك الاتصال كان شديد الخطورة.

«۞وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ الْمَحَلَّةِ لِمُلاَقَاةِ اللهِ فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. ۞وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدّاً. ۞فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَاداً جِدّاً..»[2]

قلت في قرارة نفسي: «هذا ممتع! كل ذلك كنت أتعاطاه على أساس أنه حكاية. إن الزلزال وثوران البركان يمكن أن أفهمه على أساس نوع من تخويف الشعب اليهودي التائه». مع مرور الزمن فهمت المغزى. إن البرق والرعد، والنار، والدخان، واهتزاز الأرض، أخذت معنىً جديداً تماماً.

قبل أن يتلقى الناس الوصايا العشر الأساسية، نزلت إلى الأرض المعلومات والطاقة الإلهية. بشكل أبسط يمكن القول: لكي تحصل البشرية على معلومات إلهية جديدة، لا بد أن تجتاز عصر الطوفان. عندها كان الشعب اليهودي واحداً، وكان الوحي يهبط إليهم من الأعلى. الآن أصبحت البشرية

1ـ العهد القديم الخروج (15: 26).

2ـ العهد القديم: الخروج (19: 17ـ19).

كلها شعباً واحداً. على هذا الأساس، يجب أن يكون الوحي الذي يأتينا والطاقة الإلهية أكبر بكثير. وإذا كان إنسان بعينه مثل إبراهيم، حصل على العلم الإلهي مع كمية قليلة من الطاقة، فذلك لأنه كان مستعداً لإبلاغ الكثير من الناس بالوحي الإلهي، ترافق ذلك مع نشر كمية هائلة من الطاقة الفيزيائية. إن الإنسان غير المهيأ لا يستطيع تقبل وتحمل مثل تلك الطاقة الهائلة، وذلك سوف يؤدي إلى هلاكه. لذلك أمر الله موسى بألا يدع شعبه يقترب من مكان تواجد التيار الطاقي.

إن تحول الإنسان يتم عبر الروح، وإذا كانت روحه متعلقة بشكل كبير بالجسد والرغبات، أثناء تحول الجسد ينغمس في الألم والعذاب. ويمكن للشخص عندها أن يموت. لذلك نجد أن الشخص الذي يستطيع تحمل المعلومات الإلهية، هو فقط الذي يكون ارتباطه ضعيفاً مع الجسد والعقل. حتى إن رجال الدين يجب أن يباركوا أنفسهم لتلقي المعلومات الإلهية، وإلا قد تقتلهم. فقط شخصان: موسى ومرافقه استطاعا أن يتواصلا مع الله، وأن يستمرا في الحياة من أجل تلقي عشرات الوصايا الإلهية. كان عليهم تحمل التحول الجذري لأرواحهم، لقد تبين أن أي معلومات جديدة قد تكون شديدة الخطورة بالنسبة للإنسان غير المهيأ لذلك.

لقد أفضت التفكير وأنا أحدق في الصحراء التي تضربها أشعة الشمس. لقد أجريت بشكل ما حساباً، كم من الوقت يحتاج الإنسان لكي يتخلص من مشكلاته وارتباطاته، وحتى تعطى الصلاة مفعولها عملياً. تبين لي أنه عبر ثلاثة أيام يحصل ذلك، يجب البقاء ثلاثة أيام في وحدة تامة وعزلة وحمية قاسية. عندها يحصل انفصال عن الوعي وانقطاع في الارتباطات العادية. لقد خاطبت زبائني: «تخيلوا جميع مشكلاتكم، ابتعدوا عنها لمسافة خمس خطوات، ثم انتظروا لبرهة من الزمن، بعد ذلك ابتعدوا عن المشكلات لمسافة أكثر بعداً، بعد ذلك أغلقوا الباب ذهنياً، اتركوا مشكلاتكم خارجاً. الآن انفصلوا عن العالم لمدة ثلاثة أيام فقط واعتكفوا للصلاة فقط. أثناء ثلاثة أيام يحصل التغيير لديكم، وبالتالي يتغير مصيركم أيضاً».

قفزت إلى ذاكرتي آية جديدة من الكتاب المقدس: «فَانْحَدَرَ مُوسَى مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدَّسَ الشَّعْبَ وَغَسَلُوا ثِيَابَهُمْ. فَقَالَ لِلشَّعْبِ: «كُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ. لا تَقْرَبُوا امْرَأَةً»[1].

هذا يعني أن المدة الدنيا اللازمة للتهيؤ وتقبل الحدود الإلهية هي ثلاثة أيام. في أيامنا هذه، إذا أردنا أن نذهب إلى المعبد، فلا يجوز الذهاب في حالة سكر أو تخمة أو مباشرة من الفراش. وإن الماء يغسل انفعالات الإنسان وعواطفه، ويكبح التفكير، ويفتح أمام الإنسان إمكانية الفهم والإدراك بطاقة متجددة. إنه لمن الروعة، بالنسبة للشخص العادي كحد أدنى ألا يقرب زوجته لمدة ثلاثة أيام، ثم يغتسل ويستعد لملاقاة وجه ربه. هذا يعني، أن من أهم الأسباب التي تمنع الإنسان من معرفة الله هو تكريس إمكانياته لتلبية رغباته الجنسية. من هنا نتوصل إلى نتيجة بسيطة: إن الشخص الذي يعبد رغباته وشهواته الجنسية، يكون الطريق مغلقاً أمامه من أجل التواصل مع القدرة الربانية. وعندما تهبط القدرة الإلهية على الأرض، يكون مقدراً لذلك الشخص أن يموت معذباً.

هذه الاستنتاجات تذكرني ببعض الأحداث. أحاول أن أعبر عن أحاسيسي عن طريق الأفكار، لكني لم أنجح في ذلك. يقطع السائق سلسلة أفكاري، عندما أخبرني: «نحن نقترب من البحر الميت. هنا في القرب يوجد موقع مشرف، حيث يمكن أن نرى منه منظراً رائع الجمال، هل تريد أن نتوقف»؟ «بالطبع أريد ذلك» قلت مخاطباً السائق.

خرجنا عن طريقنا الأساسي، حيث وقفنا في مكان مشرف تحت مظلة تقينا حرارة شمس الجنوب الحارقة. إن الروح هنا تستحوذ على إمكانيات هائلة. في الأمام يمكن رؤية سفوح الجبال الحمراء والبنفسجية. وفي الأسفل يمكن رؤية مياه البحر الميت التي يتراوح لونها بين الأزرق الداكن والفيروزي والأخضر الفاتح. الآن فهمت لماذا عاش النساك في الصحراء أو في الجبال! يشعر الإنسان في الجبال بصغره وضآلته قياساً بما يحيط به من ضخامة الجبال. أما الصحراء القاحلة المجدبة، فإنها

1ـ العهد القديم: الخروج (19: 14ـ15).

تتسبب في كبح الوعي والرغبات. وتقلل إلى حد كبير من الغريزة الجنسية. وإن الإنسان في اللاوعي ومنذ طفولته يماثل ما يراه؛ وإن الصحراء تساعد في كبح الغريزة الجنسية، وهذا يساعد في سعي الإنسان وتقربه من الخالق.

فكرت: «هذا المكان كان يوماً ما واحة خضراء. وبالتالي من الصعب هنا كبح الغريزة الجنسية». أسير على حدود سفح جبلي شديد الانحدار. أشاهد أمامي شاخصة تظهر أسماء النقاط السكانية. قلت في نفسي: «من المستغرب أن توجد هنا تجمعات سكنية. ولم ألحظ أي منزل هنا، فكيف إذاً بقرى سكنية»؟

أتمعن وأقرأ أسماء المدن المدونة على الشاخصة، ولم أفهم لماذا لا توجد مباني سكنية ولا سكان. ثم قرأت كلمة «سدوم». لقد اتضح لي أن هذه المدينة المندثرة كانت تقع بالقرب من البحر الميت. في يوم من الأيام من الماضي السحيق كان هذا البحر ينبض بالحياة. على الأرجح كان أكثر الأماكن رفاهاً وأكثرها وفرة وغنى. وهكذا إن عبادة الحياة والرفاه المادي أدت إلى عبادة مقومات الحياة ومباهجها.

في البداية عبدوا المرأة، ثم عبدوا الأطفال، ثم الرغبة الجنسية؛ الرغبة الجنسية التي تم تحريفها عن هدفها الحقيقي، وأصبحت أحد أسباب الفساد. وهكذا فإن بعض حالات الشذوذ الجنسي كاللواطة أضحت شائعة ومنتشرة في ذلك المجتمع. إن الناس يتوحدون على المستوى اللا مادي، وكلما كان ارتباط الشخص بالجسد ضعيفاً، أحس بسهولة توحده مع الآخرين، وبالتالي يكون أخلاقياً. تحصل الوحدة في الأعلى عن طريق الإحساس بمحبة الله والأخلاق الرفيعة أيضاً. عندما تفقد محبة الخالق، يجنح الشخص إلى عبادة المحبة الإنسانية. إلى هذا الحد لا يزال يشعر بألم الآخرين، ويمتنع عن ارتكاب الجرائم مثل السرقة أو القتل أو إذلال المقربين. لكنه عندما يصبح تدريجياً عبداً للجسد وللرغبات الجنسية تموت لديه الأخلاق، ولا يغدو قادراً على الانسجام مع الآخرين.

إن جميع الأقوام والشعوب، حتى تلك التي تحظى بعدد قليل من القوانين، لديها عادة أو عرف أو قانون عام، وهو احترام وإكرام الضيف. هذا يعني أن ذلك المجتمع منفتح على المعلومات الخارجية، وأنه على استعداد للتغير لكي يعيش في

المستقبل. وإذا ما ارتكب أحد أفراد تلك الأقوام أو القبائل جرماً، فإن قبيلته تتحمل كامل المسؤولية أمام المجتمع، هذا يعني أنه على المستوى الرفيع إن الجميع موحدون وأن المصير المشترك يوحد جميع الأقرباء، والأقوام والشعوب والدول. وإذا أقدم أحد الأشخاص على ارتكاب جريمة فظيعة، هذا يعني على المستوى الرفيع، أن المجتمع بأسره قام بها.

أما سكان سدوم، كانوا على استعداد أن يغتصبوا أو يقتلوا ضيوفهم. هذا يعني أنهم جميعاً منغلقين على أنفسهم، وبعيدين كل البعد عن الخالق. وهم من عصاة أوامره، وبالتالي ليس لديهم أي فرصة للتطور أو التحول. لقد انقرضوا. إن الكون يتوسع باستمرار هذا يعني أنه يحصل تحول بشكل دائم في بنية الحقول الفراغية. وعندما لا يحدث تغير، ينشأ ما يسمى الندبة. وإن الطاقة الإلهية في ذلك المكان تتجمع، ثم تتدفق بتيارها لمرة واحدة.

من جديد تذكرت عبارات من العهد القديم، وكيف أن المعلومات الإلهية تجلب الطاقة الفيزيائية. إن إبراهيم هو أحد الأنبياء الذين تلقوا الوحي الإلهي: عندما كان عمر إبراهيم 99 عاماً، تجلى الله للنبي إبراهيم وخاطبه: «۞...وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيراً كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ. ۞وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي»[1]

كيف يمكن أن تنشأ العديد من الشعوب من نسل شخص واحد؟ مادياً يصعب فهم وتفسير ذلك. لكن بما أن الكون نشأ من نقطة واحدة، ثم انتشرت وتوسعت بشكل غير متوقع، فهكذا ظهرت من نقطة واحة ثقافات وحضارات جديدة. وليس مصادفة أن يكون عمر إبراهيم 99 عاماً. حيث إن جميع غرائزه أصبحت شبه ميتة، وإن وعيه وجسده الضعيف لم يؤثر في قوة روحه، ومن أجل أن يحمل الطفل شيئاً من روح الله وعلمه، لا بد أن يكتسب إبراهيم القدرة الإلهية والتي هي أهم من البشرية.

على روحه أن تختار، ما هو الأهم لها، أن تتوحد مع الله أم مع العالم المادي. يجب أن تتراجع المحبة البشرية لتترك مكاناً للمحبة الإلهية، ثم يطلب الله من

1- العهد القديم: التكوين (22: 17-18).

إبراهيم أن يضحي بابنه. فتقبل إبراهيم أمر ربه برحابة صدر، لقد كانت روح إبراهيم تختار الاختيار الصحيح. وهذا يعني أن أحفاد إبراهيم أطهار ويمكنهم تقبل إرادة الله والخضوع لمشيئته وتنفيذ أوامره. ليس بما يخص ضرورات الاستمرار في الحياة، بل وبما يخص التدفقات الكبيرة من الطاقة التي تضمن استمرار البشرية في الحياة للمستقبل. إن تجلي الله لإبراهيم ومخاطبته إياه حول الوصايا الأخلاقية، إن ذلك يعني، أن دفعة كبيرة من القدرة والطاقة الإلهية قد نزلت إلى الأرض في ذلك الوقت، وأن أمر الله بذبح إسماعيل هو رمز للابتعاد عن السعادة البشرية لتحل مكانها السعادة الإلهية، وتعني بالنسبة للشخص المستعد لتقبل الوصايا الإلهية الاستعداد لتلقي الوحي ونشر الوصايا الإلهية. أما بالنسبة للشخص غير المستعد لذلك يعني العذاب والموت. لذلك وعلى الصفحة التالية من الكتاب المقدس، أرى كيف أن الوحي الذي نزل على إبراهيم، نوّه إلى المستقبل وإلى الكارثة التي سوف تحل بسدوم وعمورة. وقال الرب: «❁...هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ ❁وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ ❁لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ لِيَعْمَلُوا بِرّاً وَعَدْلاً...»[1]. وسوف يفي الله بوعده لإبراهيم. ثم قال الرب: «❁...إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدّاً. ❁أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ وَإِلا فَأَعْلَمُ»[2]. إن الطاقة الإلهية على الدوام هي سعادة، إنها ترمم روح الإنسان وتنقذها. لكنها بالنسبة للإنسان غير المهيأ تبدو ليست كالسعادة، بل عبارة عن متعة للجسد وعذاب للروح وألم وأمراض يأتي بعدها فناء الجسد. جلالة الخالق يمكن أن تظهر مثل يوم القيامة. قلت: «ممتع! ولماذا هنا على وجه الخصوص في الأرض المقدسة منح الله الناس هذا القدر القوي من الوحي؟

على الأرجح، لأننا ندرك الله عن طريق الحب. وبما أن الخالق خارج نطاق الزمان، علينا أن نرتقي فوق تيارين من الزمن، فوق اليساري واليميني، المذكر

1- العهد القديم: التكوين (18: 17-19).

2- العهد القديم: التكوين (18: 20-21).

والمؤنث. هذه الازدواجية المتناقضة، يمكن توحيدها أساساً، بما يربطها على المستوى الرفيع، أي عن طريق الحب. إذا حاولنا معرفة الله فقط عن طريق المادية أو الروحانية عندها سوف نضل الطريق.

هنا على الأراضي المقدسة تعارك الماضي والمستقبل أحدهما ضد الآخر بكل عنف، ثم توحدا. وعلى الأرجح، إن إمكانية إظهار عاطفة الحب هنا كانت في حدّها الأعلى، هذا يعني أن كمية الدفق الأعظمي من الرؤيا الإلهية من الممكن أن تأتي إلى هنا على وجه الخصوص، مدمرة الأقوام غير المهيأة ومنقذة ومخلصة من امتلأت أرواحهم بالإيمان، والذين اختاروا الطريق الصحيح.

لقد استغرقت رحلتنا الاستجمامية إلى البحر الميت عدة أيام. تتواجد الصحراء والجبال حول البحر الميت. إن الطبيعة هناك خالية من مظاهر الحياة، وتشعر بوجود الموت في الأرجاء، والماء مرّ المذاق وملحه دهني. إضافة لذلك لم ألحظ خواص علاجية خاصة به. إن العامل النفسي هو السائد أكثر من العامل العلاجي الفعلي. هنا تستطيع أن تنسى الهموم والمشكلات وتتخلص من الملل بكل سهولة ويسر.

ما يلفت النظر كيف تتصرف النساء اليهوديات. إنهن يشكلن الطبقة الأهم. إن النساء في «إسرائيل» يتمتعن بالحماية التامة من قبل الحكومة، وإن زج أي رجل في السجن بالنسبة إليهن من أبسط الأمور. في شهادات ميلاد الأطفال على سبيل المثال: يعتمدون على الأم في كل شيء. فكرت: إنه تحول طريف. في الصفحات الأولى من العهد القديم كتب أن الأب يلد الابن والبنت، بينما المرأة لم يتم ذكرها على الإطلاق، لماذا؟ ربما لأن المهم أثناء ولادة الأطفال، ليس ظهور الجسد، بل إن المهم منحه المضمون الروحي. لذلك إن القومية اليهودية تعتمد الآن على الأم في تحديد النسب، أي إن الطبيعة الأنثوية هي الغالبة لديهم.

إن اليهودية في الأساس ليست قومية بقدر كونها ديانة. يمكن أن تصبح يهودياً عندما تعتنق الديانة اليهودية. ماذا يحصل عندما يتخلص الأب من يهوديته لصالح ديانة أخرى؟ إذا كانت القومية يتم تحديدها وفق قومية الأب، عندها لا يعود الأبناء يهوداً، بينما الأم تبقى يهودية حتى ولو غيرت ديانتها. وهكذا لكي يحافظ اليهود على قوميتهم اعتمدوا على نسب الأم. وبذلك حافظوا على

القومية، لكنهم فقدوا الديانة. لقد أخذت فطرة الأمومة النسائية تساهم بتغيير الروحانية.

إحدى الزبونات التي تسكن في «إسرائيل» أخبرتني كيف أن زوجة أخيها تهزأ به وبأمهم، حتى إنها هاجمت ذات مرة زوجها بالسكين.

قالت المرأة: إن أخي يخشى زوجته جداً ولا يستطيع مخالفتها.

سألت مستفسراً: لماذا لا يستدعي الشرطة؟.

- عندها سوف تقول: إنه هو الذي هاجمها، وهي دافعت عن نفسها. إن الشرطة في هذه الحالة تثق بأقوال المرأة فقط.

- فكرت في قرارة نفسي: ماذا حل بهذه الأرض. ربما هذا المكان لم يعد المركز الوسطي؟ لا هذا غير صحيح. إن اليهود فقدوا الحب، وفقدوا الوحدة مع الله. لقد أصبح الدين عندهم شكلياً. كان هناك اثنتين من المتناقضات كانتا مترابطتين مع بعضهما على شكل وحدة. الآن انفصلتا وأخذت كل واحدة تتصارع مع الأخرى. لقد أخذت «اسرائيل» تغوص شيئاً فشيئاً وبشكل لا رجعة فيه في المادية والشهوانية. وهنا بالقرب من أرض فلسطين، أخذ المسلمون يتصرفون بعنف أشد مع عودتهم لتقديس البداية الروحانية.

لقد حاولت فهم لماذا يعد الهلال رمز للإسلام؟ ولماذا في رمضان ممنوع تناول الطعام نهاراً حتى غروب الشمس. لا أحد على الإطلاق استطاع أن يشرح ذلك لي. وتوصلت بشكل تدريجي إلى النتيجة التالية: إن القمر عندما يكون بدراً يعطي إضاءة قوية، أما مع بداية الشهر القمري تكون إنارته في الحد الأدنى. وإن وعينا وإدراكنا يرتبط بالضوء. إن الوعي والتفكير في الليل يكون محدوداً ومغموراً، وبالتالي يتم كبح الرغبات وتقل العجرفة، ويصبح من السهل على الإنسان أن ينعتق ويبتعد عن كل ما هو أرضي ومادي، عندها ينحصر تفكيره بالخالق وحده. عندما كنت أرسم لوحاتي، كنت أتقصد أن أفعل ذلك ليلاً. في مثل هذا الوقت يكون الانفصال عن المادية أعظمياً، وبالتالي تكون طاقة الإبداع أعلى.

إن الإسلام يعترف بكل أنبياء الديانتين اليهودية والمسيحية بشكل مطلق. في الإسلام يوجد توازن بين ما هو مادي وما هو روحي. لكن هذا نظرياً. في واقع الأمر

إن الإسلام المعاصر سعى بكل قوة إلى تقديس المبادئ الروحية. ومن هنا نتج التطرف والعدوانية، والإدانة والرفض. إن ذلك الانحدار لم يحصل مصادفة، إنه حصل لكي يوازي العدوانية الإسرائيلية، والتي سلكت منذ بضع عشرات السنين الطريق الأمريكي نفسه الذي يحض على عبادة المادة.

فكرت «إنه وضع طريق. ليس لهذا البلد قانون خاص به، عندها يجب أن يحل الدين بدلاً عن ذلك. هذا البلد لا يمتلك تشريعات قضائية، حيث اقتبست التشريع القضائي البريطاني. توجد ديانة رسمية، لكن الأغلبية الساحقة من السكان تؤمن بالدين شكلياً فقط، ولماذا إذاً أنزل الله الأديان! إن البلد يغوص ببطء نحو الوثنية. وإن عبادة مباهج الحياة والشهوات والنساء يؤدي بالمجتمع إلى الهلاك». من جديد تذكرت آيات من العهد القديم: «۞لَكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي وَلَمْ تَعْمَلُوا كُلَّ هَذِهِ الْوَصَايَا ۞وَإِنْ رَفَضْتُمْ فَرَائِضِي وَكَرِهَتْ أَنْفُسُكُمْ أَحْكَامِي فَمَا عَمِلْتُمْ كُلَّ وَصَايَايَ بَلْ نَكَثْتُمْ مِيثَاقِي ۞فَإِنِّي أَعْمَلُ هَذِهِ بِكُمْ: أُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ رُعْباً وَسِلاًّ وَحُمَّى تُفْنِي الْعَيْنَيْنِ وَتُتْلِفُ النَّفْسَ. وَتَزْرَعُونَ بَاطِلاً زَرْعَكُمْ فَيَأْكُلُهُ أَعْدَاؤُكُمْ. ۞وَأَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّكُمْ فَتَنْهَزِمُونَ أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْكُمْ مُبْغِضُوكُمْ وَتَهْرُبُونَ وَلَيْسَ مَنْ يَطْرُدُكُمْ. ۞وَإِنْ كُنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ لاَ تَسْمَعُونَ لِي أَزِيدُ عَلَى تَأْدِيبِكُمْ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ»[1].

فعلاً إن شعب اليهود كان مشتتاً في جميع أرجاء المعمورة، بعد أن رفض اعتناق المسيحية، ونهوضه في الحرب اليهودية ضدها. إن التقيد الشكلي بوصايا الخالق لا تضمن التوحد مع الله. الآن يمكن ملاحظة عملية أكثر سوءاً: كلما أصبح الشعب اليهودي أكثر قوة، ابتعد عن القيم الإلهية، وجنح نحو عبادة المادة أكثر فأكثر، وهذا يجعل العالم العربي يتعامل بردة فعل أكثر عدوانية رداً على ذلك.

إحدى المرات حاولت التمعن في مستويات الطاقة الرفيعة للإسلام في سنوات نشوئه الأولى، تبين لي عندها في القرن السادس الميلادي تشكل طاقة معاكسة للمسيحية الكاثوليكية، حيث كانت الكاثوليكية تتصف بنزعة مادية. وإن

1ـ العهد القديم: لاويين (26: 14ـ18).

تفوق المادة على الروح لا بد أن تعادلها نزعة أخرى معاكسة لها. إن تقديس الفطرة الأنثوية في الكاثوليكية لا بد من أن يؤدي ذلك إلى الانحطاط الروحي. ومن الطبيعي جداً أن تنشأ في الجوار نزعة معاكسة عظيمة القوة تفضل الفطرة الذكرية وتقدس الروحانية وهكذا كان نشوء الإسلام.

تعرفنا على زوج وزوجة يهوديين، لقد تبين لنا أنهم أناس رائعون، أتوا معنا في رحلتنا إلى البحر الميت. في اليوم الرابع أو الخامس اقترحا علينا أن نذهب في رحلة قصيرة في الجوار.

- قالت المرأة: نزهة رائعة. هناك في الصحراء، تعاد الأحداث التي حدثت منذ آلاف السنين، هناك يمكن استذكارها بكل التفاصيل.

ها نحن نجلس داخل الحافلة، التي أخذت تصعد بنا إلى الأعلى، على جبل يطل على البحر الميت. أشاهد الشفق الزهري المائل إلى اللون البنفسجي الذي يغطي جبال الأردن التي تنعكس على سطح مياه البحر الميت.

فكرت:

يا للمتعة، أرض واحدة قسمها البحر الميت إلى إقليمين مختلفين. إذا لم تسع شعوب هذه المنطقة إلى حل مشكلاتها، فإن صفة الموت لن تقتصر على البحر الميت بل سوف تتعداه إلى جواره. ومن أجل حل هذه المشكلات لا بد من العودة إلى الله.

عندما يتخلى الناس عن القيم الإلهية يصبح من الصعب عليهم أن يفهموا بعضهم البعض. إن أمثولة برج بابل تعكس تماماً هذا المغزى. مع العلم أن هذا النزاع هو نزاع بين نصفين فقدا الحب بينهما، وهذا يلاحظ في المسيحية أيضاً. ليس مصادفة، أن تختلف الكاثوليكية مع الأرثوذكسية حتى في توقيت احتفالية عيد الميلاد.

نظرت عبر نافذة الحافلة. كان الوقت ليلاً. والضوء الصادر عن إنارة الحافلة يضيء الطريق المعبد. وهو يقترب إلى المكان المحدد.

- فكرت: هذا ممتع! كل شيء مضغوط في هذا المكان. إننا نتواجد في المكان نفسه حيث تمت محاكمة فناء حضارتنا. وإلى المصير نفسه يسير الغرب الآن. إن الذنوب لا تبتلع كل شيء فحسب، بل إنها وحسب وصف أحد القادة الروحيين أصبحت «موضة».

إن الغرب يضع الجسد والمال بمرتبة أعلى من الحب، لذلك نرى أن الحياة هناك أخذت تخبو رويداً رويداً وتفسد. أما الشرق فإنه يعتبر أن المبادئ والروحانية أهم من الحب، لذلك يسعى إلى تدمير الآخرين بسرعة وبعدها إلى الانتحار. من الصعب القول أيهما أفضل. في السنوات الأخيرة لاحظنا ظهور الكثير من الناس الذين يرغبون بتدمير العالم تعصباً لمبدأ أو فكرة ما يؤمنون بها. إن الفاشية والاشتراكية من ذلك الصنف. لقد عاشت روسيا مأساة الاشتراكية. والآن هي في حالة مخاض مؤلم للخروج من كارثة الديمقراطية الغربية. هذا يعني أن لديها فرصة ناجحة لسلوك الطريق الوسط، والذي لن يتكلل بالنجاح إلا عن طريق الحب والإيمان بالله والتقيد بالأخلاق الحميدة.

شردت مخيلتي في التفكير، وأنا أنظر إلى خيال الصخور التي تظهر أمامي. أبطأت الحافلة من سيرها قليلاً ثم توقفت.

- ماذا يسمى هذا المكان؟ وجهت السؤال إلى زميلي.

- مسعدة. هنا كانت قلعة قديمة شديدة التحصين. ولقد استمر حصارها لعدة سنوات، جميع المدافعين عنها قتلوا. الآن سوف يحدثونا عن كل شيء، هلم لنخرج.

تزاحم الجميع للخروج من الحافلة. عندما خرجنا وجدنا صفاً من المقاعد الخشبية القديمة على شكل مسرح مدرج صغير. ورأينا أمامنا صخرة كبيرة الحجم منتصبة بمفردها بالقرب من السفح الجبلي. جسر ضخم يصل منتصفها مع السفح، لقد تبين أن هذا الجسر مبني بواسطة الإنسان. وفي عام 72م، دخلت الفرق الرومانية هذه المنطقة، وحاصرت قلعة مسعدة.

كانت الصخور في هذا المكان هشة، وكان الماء وفيراً لدى المعسكرين في القلعة. وكذلك المؤونة كانت كافية لسنوات عدة. لم يستطع الجيش الروماني أن يحتل القلعة. لذلك قرر الرومان بناء جسر ضخم يصل بين الصخرة والسفح الجبلي، لكن اليهود ألقوا الحجارة على العمال الذين حاولوا بناء الجسر وقتلوهم. عندها عمد الرومان إلى استخدام الأسرى تحت التهديد بالموت وأرغموهم على بناء الجسر.

استمر بناء الجسر نحو عامين، وعندما اقتحم الرومان القلعة لم يلقوا أي مقاومة. لقد وجدوا جميع من كان داخل القلعة من أطفال وشيوخ ونساء ومقاتلين قتلى، وكان عددهم بحدود الألف إنسان، فقط امرأة عجوز بقيت على قيد الحياة شاهدت ما حدث. تم اختيار خمسين رجلاً من الألف، وتم تكليف كل منهم بقتل عشرين من سكان القلعة. ثم تم اختيار عشرة لقتل الأربعين الباقين، بعدها اختاروا اثنين لقتل الثمانية المتبقين، ثم قتل الاثنان الباقيان نفسيهما.

لم أتذكر في أي إطار تم تقويم هذه الأحداث سلباً أم إيجاباً. عندما يقوم الرجل والمرأة بقتل نفسيهما لقاء الرغبات والمثل، يعد ذلك ابتعاداً عن الحب مع قتل النفس. إن روميو وجوليت قتلا نفسيهما بسبب عاطفتهما. وإن الكاتب شكسبير هو أول من لاحظ هذه النزعة، التي راح الغرب يحاربها. وقبل هذا كانت سدوم وعمورة.

ماذا سوف يحصل لاحقاً؟ وما هو السيناريو الذي سوف يحصل عند فناء الحضارة البشرية الحديثة؟ الشرقي أم الغربي؟ أو هل يمكن لبلد مثل روسيا أن يكون نموذجاً مصغراً للبشرية وأن يتلمس الطريق لتوحيد الشعوب والأديان؟

التحليل النفسي

منذ الأزل والإنسان يتساءل: لماذا يمرض؟ تمر على الإنسان أوقات جيدة يشعر فيها بالسعادة والمتعة وتكون أعماله موفقة، فجأة تمر عليه أوقات من التعاسة وتلازمه الأمراض بعدها توافيه المنية. إن الإصابة بالأمراض ليست من قبيل المصادفة لقد عرف الإنسان القديم هذا. إن الوعي البدائي للإنسان المتوحش توصل إلى أن الإصابة بالمرض يعود إلى سبب ما، في هذه الحال يوجد حلان: إما القضاء على سبب المرض أو التعايش معه، أو ربما يكون سبب المرض الجار الذي تسبب بذلك الضرر عن طريق الإصابة بالعين... أو ربما يكون السبب هو الأرواح الشريرة، التي يجب التفاهم معها وإرضاءها أو تقديم القربان لها.

في كل يوم نرى ترابط الأحداث، التي تحدث عبر الزمن. عندما تلقي حجراً في الماء، بسبب ذلك تتشكل دوائر. عندما تنشر الغصن الذي تجلس عليه سوف تسقط على الأرض، وعندما تستهلك مؤونة الشتاء من الغذاء، قد لا تجد شيئاً تأكله شتاءً عندها سوف تجوع وقد تموت. وعندما تهاجم الدببة بحرية رفيع، قد يؤدي ذلك إلى حتفك. في كل يوم نشاهد كيف أن التصرف الخاطئ يتسبب بالتعاسة والضرر. كل شيء في الطبيعة مترابط مع بعضه البعض. إن كل حادث يحصل له مجموعة من المسببات، ربما لا تكون ظاهرة للعيان أو مفهومة دائماً.

مع تطور البشرية، توصل الناس إلى فهم أعمق لآلية حصول المرض أو لفقدان السعادة. إن الذين كرسوا أنفسهم لنشر الوعي الباطني، وكبح وظائف الجسد، وتحويل جل طاقتهم في الاتجاه الروحي، عندها فإن ظاهرة آلية الأسباب والنتائج تشاهد في الطبيعة على مستوى واسع. في المستويات الرفيعة يكون الزمن مضغوطاً. هناك تستطيع أن ترى الماضي والحاضر والمستقبل، حيث يمكن مشاهدة كيف أن الإنسان المشحون بالحقد والذل، عبر عشرين عاماً يحصل على كبد مريض ورئة مهترئة. هناك يمكن رؤية أبناء شخص ما، وهم يقتلون ويسرقون جارهم، ويصبحون قساة القلب وقتله عبر عدة سنوات ويمكن أن يقدموا حتى على سرقة أو قتل والدهم نفسه.

منذ آلاف السنين ظهرت في الهند مفاهيم حول الكارما: ربط النتائج بالأسباب. إن أفعال الشخص وانفعالاته وأفكاره، كل ذلك يؤثر في حالته الجسدية ويحدد مصيره. إن أي فعل أو انفعال أو فكرة لا يختفي ولا يتلاشى، بل يسجل في الأثير الكوني. هذه التسجيلات تمت تسميتها من قبل الهندوس «سجل عكاش»[1]. إن الهنود القدماء هم أول من عرّف مفهوم الروح والجسد باعتبارهما وحدة متكاملة. إن العقيدة، والفكر والتصرفات تؤثر في روح الإنسان. وإن حالة الإنسان الروحية تؤثر في وضعه الصحي، وحتى في مصيره. وإن الإنسان المعتل الروح: هو

1- «سجل عكاش» أو «كتاب الحياة»: مستودع للمعلومات عن كل شخص من اي وقت مضى، أي كل من عاش على الأرض. هذه المعلومات تتعلق بالمشاعر، والأفعال، والأفكار، والنوايا. وهناك أيضاً معلومات عن حياة الماضي ومستقبل كل واحد منا.

لا أخلاقي، بخيل، سافل، عبد لشهواته الجسدية، مثل هذا لا يمكن أن يتمتع بصحة جيدة. إن القدماء فهموا ذلك بشكل تام. من هنا ظهرت المعايير الأخلاقية والإنسانية للسلوك، والتي اهتمت بتهذيب الروح، وترويض متطلبات الجسد، ذلك يؤدي في المستقبل إلى نشوء أحفاد أصحاء ومجتمعات مزدهرة.

إن الأديان السماوية، والرسل ورجال الدين، أيضاً توصلوا لمعرفة علاقة الأسباب والنتائج، وارتباطها مع الروح والجسد. إن المذاهب الباطنية أتت بتعاليم ساهمت في الحفاظ على الصحة الروحية. لقد توصلت تلك المذاهب إلى فهم عواقب عدم الالتزام بحدود الله وشرائعه. والمرض هو عقاب إلهي عن ذنوب كان قد اقترفها الإنسان. هذه الفكرة موجودة حرفياً في العهد القديم.

«...اذهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ وَقَدِّمِ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ»[1] - هكذا قال المسيح مخاطباً أحد المرضى الذين شفاهم. إن مرض الجسد هو مرض للروح - هذا ما تؤكده جميع الأديان والمذاهب الباطنية والتجربة الإنسانية. هذا مع التأكيد أن العلم اهتم فقط بالناحية المادية لجسم الإنسان، منذ أمد طويل لم يستطيعوا تقبل وجهة النظر هذه. تم اعتبار أن المادة لا يمكن معالجتها إلا بالمادة. هذا يعني أن مرض الجسد يمكن علاجه عن طريق الأعشاب الطبية، والمراهم، والمغاطس والتمارين الرياضية، والعمليات الجراحية. كان من الواجب على العلم أن يربط عواطف وانفعالات الإنسان بتصرفاته وتأثير ذلك في حالته الصحية. الرائد في هذا المجال كان سيغموند فرويد. إنه أول من لاحظ أن المعاناة العاطفية الشديدة، والتي زالت من الذاكرة منذ أمد بعيد، تكون فعالة وموجودة في اللاوعي.

لقد ثبت أن اللاوعي هو خزان عام للمعلومات، ولقصة حياة كل إنسان، هناك يتم تسجل كل شاردة وواردة. ولقد تبين أن العقل الباطني للشخص مرتبط إلى حد ما بحالته الصحية. مع العلم أن ذلك ليس كل شيء. ولقد ثبت أن العقل الباطني أكثر تعقيداً مما كان يظن الباحثون. لنتذكر ظاهرة التنويم المغناطيسي. إذا تمكنا بوسائل معينة من إيقاف وعي الإنسان، عندها ينشط على الفور عمل

1- العهد الجديد: متى (8: 4).

اللاوعي. وتبين أن استغلاله يجعل الإنسان يمتلك قدرات خارقة مثل الذاكرة التامة، أيضاً يستطيع الشخص أن يضع يده في الماء المغلي دون أن يظهر عليه أي تأثير، يستطيع أن يستلقي عارياً على الثلج في درجة حرارة (20°) تحت الصفر، وسوف يذوب الثلج تحته دون أن يتأثر، كذلك يمكن أن يحصل الشفاء من أمراض استعصت على العلاج. وحتى هذه اللحظة لم يتمكن العلماء من معرفة ظاهرة التنويم المغناطيسي. بسبب أنهم يجهلون علم وتأثير اللاوعي. مع العلم أنه في الآونة الأخيرة أطلقوا تسمية القدرة الفائقة للوعي على تلك الظاهرة، وهذا يؤكد أن الوعي يأتي في الدرجة الثانية من حيث ارتباطه بالجسد.

نعود إلى الطبيب النفسي فرويد. لقد لاحظ أن الانفعالات القوية تدخل إلى اللاوعي، وتستمر في التواجد هناك، وتظهر تأثيرها في الصحة الجسدية للشخص، أي إن الروح تؤثر في الجسد. وهكذا يمكن أن تؤثر أفكار وانفعالات غير ظاهرة للعيان سلباً في الجسد وبنيته، وتؤدي إلى تدميره. وهكذا نجد أن المبدأ المادي الأهم الذي تسلح به العلم قد انهار، وأن الاعتقاد بأن الانفعالات والوعي يحتلان المرتبة الثانية في علاقتهما مع الجسد وفي تكوين الجسد والجزء الأساسي منه ألا وهو الدماغ. لقد تبين أيضاً أن الروح قادرة على التحكم بالمادة.

كان من الصعب في ذلك الوقت التعبير عن هذا الرأي بشكل صريح. إن وعي الناس في ذلك لم يكن قادراً على تقبل مثل تلك البراهين المتناقضة في وقت واحد. كان بمقدورهم تقبل شيء واحد فقط: إما الروح تكون تابعة للمادة، أو المادة تكون تابعة للروح، إما العلم أو الدين. من منظورها أن الروح والمادة هما مظهران لجوهر واحد، والذي اتفق على تسميته الزمن، والذي لم يتسع وعي الأوروبيين لتقبله، مع العلم أن الرسائل الفلسفية الهندية القديمة التي كتبت منذ آلاف السنين تحدثت عن أن الزمن هو بداية كل شيء.

وعند التمعن بالعادات المسيحية، وعند تذكر العهد القديم والجديد، علينا أن نعترف أننا عندما نعالج الروح، نكون قد عالجنا الجسد. وهذا يعني أنه لكي تعالج المرض لا بد من أن تكون الروح معافاة، وكذلك يجب أن تتغير عواطفه وانفعالاته وطبعه وعقيدته أيضاً. نستنتج من ذلك أن اتباع وصايا الله والتقيد بحدوده

والسلوك القويم، والتفكير الصحيح والعمل الصالح، وبالدرجة الأولى الصلاة الذي يقصد بها وجه الله، تحتم إحداث تغيير إيجابي في سلوك الإنسان، وتطهير روحه، ذلك يؤدي إلى قهر المرض.

لاحظوا أن الصلاة الموجهة إلى الله، والتخلص من المرض هي عبارة عن فعل روحي بحت، يثبت أولوية الروح على الجسد. من أجل تطهير الروح لا بد من القيام بخطوات، ليس فقط الامتناع عن الطعام، بل وكذلك فيما يخص الجنس، ومن المفيد النوم على فراش قاس، هذا يساعد على الوحدة والاعتكاف وقلة الكلام، عندها علينا أن نرى العلاقة العكسية أيضاً. إن الجسد له تأثير في الروح، وإلى حد ما يساعد في تشكيلها. لذلك نرى في جميع الأديان تم الاعتراف ضمنياً بالطبيعة الواحدة للروح والجسد، وتم التحديد بشكل صحيح أولوية العالم غير المرئي أمام العالم المادي. وإن العالم المادي هو جزء ضئيل من العالم اللا مرئي. إن وعينا وتفكيرنا وجسدنا، هو جزء من لاوعينا، والذي يضم الماضي والحاضر والمستقبل. إذا أردنا أن ندخل في العقل الباطني، عندها علينا أن ندخل إلى عمق روح الإنسان، عندما ندخل في عمق الروح عندها سوف نؤثر فيها. وعندما نؤثر فيها بشكل غير صحيح نكون قد عمدنا إلى تشويهها.

بالنسبة للشخص المتدين، الروح هي الجوهر، لا انفصال في عراه عن الخالق، لذلك من يستطيع أن يقدم المساعدة الروحية للآخرين هو من يمتلك الحب والنزاهة؛ ومن يلتزم بحدود الله ووصاياه ويتخلى عن الطمع والجشع والحسد وعبادة الشهوات، يترك جانباً الخوف والندم. بالنسبة للعالم الروح هي إحدى وظائف الجسد. وهكذا كلما كانت صحة الجسد جيدة انعكس ذلك على الروح إيجاباً. وإذا تم تنظيف الجسم من الخبث، ومنحت شروط الحياة الرغيدة، فهذا يؤثر في ازدهار الروح وصحتها.

بما أن فرويد إنسان علمي واقعي، فقد اعتبر أن الوعي والجسد ومتطلباته، يحتل أعلى مرتبة، لذلك حاول أن يوافق بين نزعتين متناقضتين. كان من الواجب إيجاد الاستخدام العملي للظاهرة التي تم اكتشافها مؤخراً، وهي إمكانية التأثير في الروح بغية المساعدة في علاج الجسد. وهكذا، فإن استخدام طريقة فرويد

تجنب الإنسان الأمراض الجسدية الفعلية، وذلك عن طريق إعادته ذهنياً إلى الماضي بغية معايشة الأحداث من جديد، والتي تتصف بالانفعالات العنيفة؛ بهذا الشكل يمكن شفاء المرض. لماذا تؤدي الانفعالات العصبية السلبية إلى الإصابة بالأمراض. لقد تمت رؤية الآلية، لكن كان من الصعب فهم عملها. عندما حاول التفكير العلمي المادي تبيان تأثير الروح في الجسد، عاد إلى احتياجات الجسد.

إن الوظيفة الأساسية للجسد: تحقيق الغرائز. اعتماداً على ذلك تتشكل الأهواء والرغبات العليا. عندما يتم كبت الرغبات والغرائز، هذا يعني كبت الجسد أيضاً، لذلك يمرض الجسد. وبالنتيجة عندما يتم تحرير رغبات الإنسان والإفصاح عنها، يتم شفاء الجسد. يمكن أن تكون الرغبات ظاهرة أو مخفية. وبما أن الرغبات الأساسية هي عبارة عن غرائز، وتقع في اللاوعي؛ وعند تحليل الأحلام التي تراودنا أثناء النوم، والتي تكشف محتوى اللاوعي، نستطيع تحرير جسد الإنسان من العوائق الضارة، وبهذا الشكل نستطيع قهر المرض.

إن هذه الخطة أخذت تعمل! لقد أطلق فرويد تسمية عقدة أوديب على كبح الرغبات، وبما أن جميع الرغبات تصب في الغريزة الأساسية، وهي غريزة استمرار النسل، فهذا يعني أن كبت غريزة الجنس هو السبب الرئيس لجميع الأمراض. لماذا لاقى تفسير فرويد رواجاً لشرحه عقدة أوديب؟ ذلك لأن فرويد حاول ربط طريقته اعتماداً على الغريزتين الأساسيتين. الأولى: غريزة حفظ النوع، أي الجنس؛ والغريزة الثانية: حب الحياة والتحكم بالوسط المحيط، أي إبعاد المنافس والاستحواذ بالأنثى وامتلاكها. هذه هي الغرائز الأساسية لأي رجل كان. وبما أن الغرائز المهمة تعود بالدرجة الأولى إلى الأهل، عن طريقها ولدنا في هذه الحياة، فهذا يعني أن أهم عقد الإنسان رغبته في إبعاد الأب لتبقى الأم له. هذا العالم وصل بمنطقه إلى السخافة. لم يتوصل منطقياً إلى إثبات أفضلية الجسد على الروح. لقد اعتمد أساساً في طريقته على التجرد التام عن الأخلاق ونكران الروح. على الرغم من كل سلبيات تلك المحاولة ونتائجها المأساوية، إلا أنها كانت المحاولة الأولى التي هدفت إلى ربط العلم بالدين. هنا ينشأ سؤال منطقي: لماذا أخذت في العالم الغربي مدارس التحليل النفسي هذا المنحى المتسارع في تطوره وانتشاره؟ ولماذا كانت تلك المدارس هي

السباقة في الولايات المتحدة الأمريكية لاحتلال الموقع الأول؟ أعتقد أن الجواب مفهوم للجميع، وفي غاية البساطة. إن الحضارة في العالم الغربي بدأت بخرق الثقافة، وأضحت متطلبات الجسد تحتل مرتبة أهم من متطلبات الروح.

لقد خلق الله الزمن، ومن الزمن نتج الفضاء، ومن الفضاء ولدت المادة، ثم بعثت الروح في المادة وأخذت تكشف الزمن والفضاء، ثم عادت إلى الخالق. أنزل الله وحيه بشكل متكرر إلى الأرض، ذلك أدى إلى نشوء الأديان. شيئاً فشيئاً أخذت الأديان تتغير متحولة إلى ثقافة؛ والثقافة تحولت إلى حضارة. طغت المادية في الحضارة وأخذت تحنق رويداً رويداً الثقافة والروحانية، وحتى الدين. إن البذرة تنتج نبتة، والنبتة تتحول إلى شجرة؛ تكبر الشجرة ثم تعمر ثم تموت، لكن قبل ذلك تنتج ثماراً وبذوراً جديدة. هذه هي ضريبة التطور: الشكل يفنى، أما المضمون يستمر في البقاء، أي إن الشجرة في مراحل نموها وتطورها تحاكي تطور الكون.

إن أي حضارة تولد، تشيخ ثم تموت. إنها تبدأ بدفعة جديدة من القيم والمعلومات التي تختزل مستقبلها. تلك المعلومات يمكن أن تصل عبر الوحي الإلهي، الذي يشكل منظومة من الحقائق الدينية. بعدها تتحول الديانة إلى ثقافة. الثقافة تتحول إلى حضارة، ثم تشيخ الحضارة وتموت، بعد أن تنقلب إلى المادية. لكي يبقى مجتمع ما على قيد الحياة، لا بد من الاهتمام بالبذار الجديد بشكل أكبر. إذا كان المجتمع يؤيد أولئك الذين يهتمون بالروح أكثر من الجسد، والذين يتقيدون بالخلق الحسن والروحانيات، ويسعون لمرضاة الله ويقللون من متطلباتهم المادية، فيمكن أن تحل حضارة مكان حضارة أخرى، ويستمر التطور. إذا تم التقيد في الآلية الأولى، فذلك يمنع هلاك الحضارة كما ذكر في العهد القديم عندما خاطب الرب اليهود، ووعدهم بعذاب أليم، فيما لو أهملوا الاهتمام بأرواحهم وخالفوا وصاياه. نحن نرى أن ذلك هو الأسلوب والآلية الواجب استخدامها لإنقاذ الشعب والحضارة الإنسانية عموماً.

نعود إلى التحليل النفسي: عندما يتم التقيد به حرفياً، ذلك يعني تحليلاً روحياً. إن الوعي يحلل اللاوعي، محاولاً فهمه والتحكم به. كل طفل يحاول أن يتحكم بذويه؛ إنها مدرسة للنضوج والتعليم. لكن عندما يصل الطفل إلى حد

معين، يعتبر نفسه فيه في مرتبة أعلى وأكثر قيمة من ذويه، هنا يجب إيقافه عند حده ومعاقبته العقاب المناسب الذي يردعه وينقذه من التعاسة ومن الوقوع في مآسٍ لاحقة.

لقد بدأت أهتم بالتحليل النفسي، بعد أن تعرضت لأحد الأسئلة: لماذا يقيم الكثير من المحللين النفسانيين علاقات جنسية مع مرضاهم؟ في الآونة الأخيرة، أخذت هذه المشكلة بعداً واسعاً وجدياً. وحاولوا علاجها، دون أن يفهموا أن السلوك اللا أخلاقي للمعالج هو نتيجة للفساد المستشري في منظومة العلاج نفسها. إذا كانت المشكلة الأساسية التي تسبب المرض تكمن في كبت الغريزة الجنسية، فهل نصل إلى هدفنا في علاج الشخص من مرضه عندما نطلق العنان لهذه الغريزة. هذا يعني أن مفاهيم مثل: العفة، والأخلاق الحميدة، والثقة بالآخر، وعدم الانصياع للغريزة الجنسية... والتي أمرت بها الأديان والشرائع السماوية، تصبح من الأسباب الرئيسة لأمراض الجسد. وعندما ينصح المحلل النفسي مريضه بأن يعبر عن الكره الذي يشعر به تجاه الشخص الذي يعتقد أنه قد أذاه أو تسبب له بالضرر، ثم يبصق في وجهه، أو يحضر ما يشبه العدو، ثم ينهال عليه ضرباً بالهراوة؛ فذلك كله يتم تنفيذه تماماً وفق آلية العلاج التي وضعها فرويد. عدما نمعن النظر في هذه المشكلة من وجهة النظر التاريخية، نلاحظ عندها أن طريقة العلاج والتحليل النفسي التي ابتدعها فرويد ترمي إلى الإضعاف التدريجي للأديان السماوية، والابتعاد غير الملحوظ عن عقيدة التوحيد والانحدار فعلياً إلى الوثنية. إن عبادة الشهوات والرغبات الجسدية تعني العودة إلى فطرتنا الحيوانية الأولى. وما يرمي إليه أسلوب التحليل النفسي هو تحويل الإنسان إلى حيوان.

إنني أتذكر كيف حدثوني عن أشخاص كانوا مرشحين ليصبحوا رهباناً. كان من الواجب عليهم أن يبتعدوا عن رغد العيش، وعن الحياة الجنسية؛ وأن يروضوا أنفسهم بغية الابتعاد عن الرغبات التي تتطلبها حياة الناس العادية. الكثيرون منهم لم يتحملوا ذلك، فتركوا الدير. أكثر شيء لم يستطيعوا تحمله هو كبح الرغبة الجنسية. تبين أن الطاقة الحيوانية لدى هؤلاء الناس لم تتحول إلى إلهية. من المعروف أن الاتجاه إلى الله يجعل المرء يبتعد عن الكآبة وظلم الناس،

وعدم الرضا بالمصير، ولوم الآخرين، وعدم تقبل الإرادة الربانية. إن الشخص الذي لا يستطيع تكريس نفسه لعبادة الله والزهد والقناعة، قد يصاب بالأمراض وينتهي بالموت، لذلك يعود إلى العالم المادي وأتباع الرغبات والأهواء. إن عدم امتلاك القدرة على التفكير الصحيح يمنع حدوثاً تقبل العالم والانسجام داخله؛ من حيث المبدأ تلك هي النظرة الدينية والربانية للعالم. إن القدرة الإلهية خلقت الزمن، الذي ينقسم بدوره إلى تيارين: ماضي ومستقبل. هذان التياران يتفاعل أحدهما مع الآخر، فتنتج عن ذلك دفعات من الطاقة تتحرك لملاقاة بعضها بعضاً. إن الفطرة الذكرية والأنثوية، الروحانية والمادية، الماضي والمستقبل، اليسار واليمين، الأسود والأبيض، كلها مظاهر للقدرة الإلهية.

لكي تتحسس الله، لا بد لك في الوقت نفسه من رؤية الماضي والمستقبل، وتحفظ في وعيك اليسار واليمين. عندما ترتبط روح الإنسان بذلك العالم وتنسى الله، يحصل تشوه في الوعي. إن الإنسان يعي ويفرق بين اليسار واليمين. ويمكنه أن يكون قاضياً أو محامياً. عندما تنقطع الروابط بين الظواهر يصبح الإنسان غير قادر على التمييز بين السبب والنتيجة. عندما تكبت رغباتك تتولد الأمراض. من الضروري إلقاء جميع الحواجز، عندها تصبح صحيح الجسم. وليس من الواجب أن تمتنع كلياً عن الجنس، أو أن تصبح عبداً له. لكي تتحسن القدرة الإلهية لا بد من توحيد هذين الشيئين المتناقضين. يجب تحويل الطاقة الحيوانية إلى إنسانية، ومن ثم إلى إلهية. وحسب قوة الإيمان بالله، تتحول طاقة الجسد التي تم كبحها إلى طاقة تذهب إلى تغذية الروح، وبالتالي تتضمن عملية التطور الاستراتيجي لاستمرار حياة الإنسان وحياة أحفاده.

أشاهد في التلفاز صورة معتادة: الشعب منزعج ويعاني، وذلك بسبب تدني المؤشرات الاقتصادية. إن مستوى الحياة المعيشية يتدنى، ووسائط الإعلام بمجملها تتابع ذلك لحظة بلحظة، بينما تتجاهل وسائط الأعلام تلك أي حديث عن فساد الأخلاق السائد، وتدني المستوى الثقافي. ولا أحد يتحدث عن انتشار الشذوذ الجنسي الذي عمّ البلد بأكمله. ويعد هذا مؤشراً يدل على الانحطاط الروحي، وكذلك لا أحد يذكر ذلك. عندما تذهبون غداً إلى المعالج النفسي، سوف يبذل

كل جهده لكي يقنعكم بأن الخجل والأخلاق مضران بالصحة، ويحرضان على الكسل، لذلك يجب اللجوء إلى الأسلوب الذي يساعد في شفاء الروح والجسد. أنظر من جديد إلى شاشة التلفاز، ثم أتساءل هل ستقبل روسيا أن تبيع روحها إلى مثل أولئك المعالجين النفسيين أم لا. الزمن سيظهر ذلك.

ندوة في مدينة فرانكفورت

الساعة الخامسة صباحاً في الثالث من شهر تشرين الأول عام 2006. إني مستيقظ، مع أن وعيي ليس صاحياً تماماً؛ أما لاوعيي فأكثر نشاطاً. إن الجسر الذي يصل بين اللانهاية وبين أفكاري المحدودة لم ينقطع بعد. إنه الوقت المناسب للإبداع. أنت تبدأ بمعرفة نفسك وشخصيتك، لكنك لا زلت تتواجد هناك: في عالم المشاعر والصور. في ذلك اللاوعي تتواجد جميع معلومات الكون: كل ما قد جرى وما سوف يجري في المستقبل. إذا كان التركيز الداخلي عالياً، يمكنك أن تحصل من هذا المستودع المدهش على أي معلومات تحتاجها. ينشأ الإبداع كإحساس جديد. في ذلك الإحساس تنضغط كتب جديدة وصور، وعالم جديد في النهاية.

اليوم هو الثلاثاء. في العطلة الأسبوعية الماضية أجريت ندوة. أعجبني أن أجريها في ألمانيا. كانت المجموعة صغيرة العدد، ولم يحضر أحد عشوائياً. نجلس في غرفة، وكأننا في جو منزلي. قلت مخاطباً الحضور: «لا تتصورون ماهية المشاعر. إن أفكارنا ووعينا مرتبطان بالجسد، ويختلف أحدهما عن الآخر. يمكن أن تتراكم كمية لا حدود لها من الأفكار. وإذا لم يحصل تواصل جراء ذلك قد نصل إلى مرحلة الجنون. بدلاً من مئة فكرة متفرقة، تظهر فكرة واحدة. وبالتالي يحصل التواصل عبر الإحساس، أي عن طريق اللاوعي.

يتشكل الإحساس من أشياء مادية، ثم يتحول إلى لا مادي، عن طريق هذا الإحساس يمكن أن تنضغط المعلومات كيفما اتفق. من حيث المبدأ: إن الكون بأسره ينضغط إلى إحساس واحد هو محبة الخالق والتوحد معه. وكلما كان حب

بالله كبيراً أصبحت إمكانياتنا في التواصل أعلى، وقدرتنا على ضغط المعلومات أفضل. عندها نصبح من أمهر الحكماء. وهكذا تخيلوا الآن أن أحدكم رأى الآخر، وبسبب ذلك تشكل إحساس ما. عبر هذا الشعور تجسدت في جسدكم تجربة حياتكم القصيرة بأسرها. عن طريقها يمكن انعكاس الماضي السحيق، حتى عندما كنا أسماكاً تعيش في البحر أو ديناصورات. إن ذلك الشعور يحدد ما سيحدث معكم في القريب العاجل. وليس معكم فحسب، بل ومع الحضارة الإنسانية. إن تكثيف داخل المشاعر يمكن أن يحصل بشكل لا محدود، دون أن تحصل أي زيادة في الوزن، لأنه لا توجد هناك أوزان، ولا توجد مسافات، أو إلى أعلى أو أسفل».

في ليل السبت وصباح الأحد اكتشفت اكتشافاً جديد لنفسي: إنه يتعلق بعشرات الوصايا. سوف أحاول اليوم أن أستيقظ باكراً. سأحاول من جديد أن أفكر بالمشكلة التي تقف أمامي. إذ إن تحرر الطاقة يبدأ في الساعة الرابعة صباحاً. إنها موجة، وترتفع بشكل تصاعدي حتى الساعة الرابعة بعد الظهر. وبعد ذلك تنخفض بشكل تنازلي. إن أفضل وأنظف طاقة هي تلك التي تستمر من الرابعة وحتى السابعة صباحاً. إنه وقت الصلاة والإبداع وبدء الأعمال.

كنت أكرر أمام الجميع: «على أرواحكم أن تجري اختياراً. يجب أن تحدد أي شيء أهم بالنسبة لها: التوحد مع الله، أم الانغماس بهذا العالم المادي».

لقد طغى في ذاكرتي حديث غير متوقع جرى مع أحد معارفي. قال: «لقد أحسست بالإحساس الإلهي. هل تعلم كيف بدا ذلك؟ ظهر لدي إحساس أن «الأنا» الخاص بي أصبح خارج جسدي». قلت مؤيداً كلامه: هذا صحيح. لقد أحسست بالشعور نفسه، لكنه ظهر بشكل مختلف: وكأن الجسد أصبح أرق وأخف وزناً، حتى إنه يكاد يختفي. يصل إحساس تخيل الجسد إلى حد معين، بحيث تشعر أن «الأنا» الخاص بنا أصبح لا يربطنا مع الجسد فقط، بل وكأنه ينتشر في كل مكان؛ ينعدم الإحساس بالوزن. إنه ليس الشعور بالطيران، إذ إنك حتى عندما تطير تكون مرتبطاً بجسدك». قال محدثي: «أوافقك. لقد حاولت فقط أن أعبر عن الحالة التي شعرت بها حسب استطاعتي».

بعدها دار الحديث عن الدين. قال محدثي: «إن الكثيرين من المتدينين لا يستطيعون تقبل وإسقاط إيمانهم على واقع الحياة الفعلي. صديقي متدين، ويطبق تعاليم دينه بدقة، لكنه عندها تنعدم النقود في جيبه، تصبح تلك اللحظة، لحظة غضب، وتتحول إلى حفلة شتم وكره، حيث يوجه لعناته إلى الشرطة والدولة وكل روسيا». قلت معلقاً: «تلك الآن مشكلة جميع الأديان: يعتقد المتدين أن الدين شيء، والحياة الفعلية شيء آخر. بعض الناس يتقيدون بدقة بالطقوس كافة، أي إنهم يحافظون على الشكل ويهملون الجوهر والمضمون. وهذا ليس مجرد شق فاصل بين الدين والحياة، بل إنه هوة تتسع مع مرور الزمن». طالما أنه في اللاوعي لم يتم تحطيم الأصنام، فإن منظومة الأولويات سوف تبقى على حالها وتصب في صالح الشخص الذي نحب. إن أي مريض يضع أمله بي، سوف يقوم بأخذ الطاقة من عندي. هذا يؤكد أن تقديم المساعدة للشخص غير المناسب هو أمر خطير بالنسبة للطرفين. إن الذي يحاول تقديم المساعدة ولا يملك الإيمان الحقيقي بالله، فإن مساعدته تلك سوف تفسد الآخر. فالذي تلقى هذه المساعدة سوف يصبح مستهلكاً، ومصاص دماء كالخفاش، وسوف ينسى الله. وهكذا، فإن المساعدة التي تقدم إلى الإنسان غير المؤهل، تؤدي إلى إيذاء صاحبها. لذلك فإن الذين يأخذون، يظلمون ويسرقون، لا يمرضون. أما من يقدم المساعدة لأولئك ويهتم بهم، يأتيهم العقاب بأسرع ما يمكن. يبدو ذلك غير عادل، لكنه في الواقع أمر موجب جداً.

إن تحسين صحة ومصير الإنسان البخيل والطماع، والذي لا يعرف أن يحب، يعد عملاً في غاية الخطورة. إذ إن ذلك يفسد روحه ويطفئ فيها آخر نغمة من الإيمان الإلهي. فنحن نذهب إلى رجل الدين، وفق حسابنا الكبير، لكي نحسن صحتنا ومصيرنا. وكذلك وبكل تأكيد لتقديم المساعدة لأرواحنا، ويجب ألا ننسى أن جسمنا يستفيد من ذلك ويتحسن، لكن ذلك يعتبر بالتأكيد طمعاً بالنسبة لعلاقتنا بالله. كما نتعامل مع الله، نتعامل مع العالم. وهكذا نصل إلى نتيجة بسيطة ومنطقية: إذا كان الطمع والحسد بالنسبة للسعادة الإنسانية في مجتمع ما يفوق نقطة اللا عودة، عندها يجب ألا يتواجد رجال دين في ذلك المجتمع، لأن المساعدة

المقدمة من قبلهم سوف تكون مفسدة ولا فائدة منها ومضرة. لذلك فإن انعدام وجود رجال الدين يدل على عدم وجود إيمان إلهي في ذلك المجتمع، لهذا السبب لم يكن في سدوم وعمورة قديسون.

النتيجة ليست واضحة: إما أن يتضرع كل شخص إلى الله متغلباً على متعة السعادة الإنسانية، أو يختار السعادة الإنسانية التي ستكون أكثر خطورة، وهذا يعني أن أرواح الناس قد تصبح أكثر قسوة، وبالتالي ستظهر عند البشرية نزعة متزايدة لتدمير المثيل.

على كل إنسان أن يوقظ في نفسه إحساس التعطش إلى الإيمان الإلهي. فدعوات المساعدة قد لا يستجاب لها. تخرج الأفكار من جديد وتنتشر في الضباب. تساعد الذاكرة على التواجد في وسط الأحداث والابتعاد عنها في الوقت نفسه. بفضل الذاكرة نستطيع أن نستخلص ما هو مهم من الأحداث، نمسح منها ما هو غير مهم.

دار الحديث أثناء الندوة حول التحليل النفسي. لقد وضعوا أمامي على الطاولة رسالة مكتوبة تتحدث عن احتضار ووفاة سيغموند فرويد. لقد أصيب بسرطان الفك؛ بسبب ذلك تعذر عليه الكلام وتناول الطعام. لقد عرض التلفاز الألماني برنامجاً خاصاً عن ذلك. أجريت عدة عمليات لفرويد، ولم تساعده حتى الأجهزة التي صنعت خصيصاً له على الكلام. طُرِح في الرسالة سؤال: هل أثرت طريقة العلاج النفسي بمنظومة فرويد في مصيره والنهاية التي آل إليها؟ أجبت أني لا أشك في ذلك إطلاقاً.

بدأت بشرح ذلك بشكل غير مباشر: منذ عدة سنوات سمعت في أحد البرامج الإذاعية معلومات مهمة تتحدث عن الدراسات التي أجريت من قبل العلماء على بقايا الديناصورات، حيث وجدوا بالقرب منها تشكيلات غريبة: كتل غير متبلورة تحوي عظاماً وبقايا صخرية ...إلخ. طرح أحد العلماء فكرة غير متوقعة، إذ اعتقد أن تلك التشكيلات ربما كان مصدرها ناتج عَنِ تجشؤ الديناصورات لها. ربما لم يكن لدى الديناصورات فتحة شرج وأمعاء. لذلك كانوا يلتهمون الفريسة، ثم يهضمونها في معدتهم، ثم يتجشؤونها من جديد؛ أي إن عملية الهضم التي تتصف بها الحيوانات الأولى على الأرض لا تختلف عن عملية الهضم التي يعتمدها الأميبيا.

وهكذا فإن الآلية البيولوجية لاستمرار النوع - أي عملية التكاثر - كانت في البداية مرتبطة بالغذاء وليس بالجنس. أي إن دافع دعم الحياة والحفاظ عليها ظهر قبل الدافع لاستمرارها. والأصح أن استمرار الحياة في الماضي السحيق تحقق عن طريق الغذاء، ثم فيما بعد ذهبت الطاقة لعملية التكاثر الجنسي. لذلك نلاحظ أنه عندما يجوع الشخص، ينعكس ذلك سلباً بالدرجة الأولى على الغريزة الجنسية. أما موضوع الرغبة على المستوى العميق، فإنه يرتبط بالدرجة الأولى مع الفم. فالفم هو رمز للرغبات.

حدثتني إحدى طبيبات الأسنان أن مشكلات الأسنان تكون مرتبطة دائماً مع مشكلات جهاز البول. وعندما تصاب النساء بمشكلات جنسية، ينعكس ذلك لديهن بشكل سلبي على الأسنان. وعندما تحدث أمراض في جهاز البول، يصعب علاج الأسنان، أو يكون علاجها غير مرضٍ، وتحدث مضاعفات.

أتوجه بحديثي إلى الحضور:

«بالمناسبة عندما ركبت الطائرة متوجهاً إلى مدينة فرانكفورت، كان بين يدي كتاب عن القديس ألكسندر سفيري[1]. لقد توفي عن عمر 85 سنة. وبقيت جثته محافظة على حالتها قرابة خمسمئة سنة، لم تجف ولم تهترئ، حتى جلد الجثة كان بلون الأصفر الفاتح. بما يشبه المعجزة سلمت الجثة من التخريب في عهد السلطة السوفيتية. في نهاية المطاف وصل رفاته إلى متحف أكاديمية الطب العسكري، حيث أجروا عليها هناك بعض التحاليل والاختبارات. كان مفهوماً للجميع أن تلك الرفات كانت تعود إلى شخص قديس، ولم يلاحظ عليها أي مظهر من مظاهر الانحلال والتفسخ. أثبتت الفحوص المخبرية على الأسنان والعظام أن الجثة تعود إلى شخص في عمر 60 من العمر، وتم إثبات أنها تعود للقديس ألكسندر سفيري.

حُلَّ اللغز فيما بعد: إن الإنسان المعتكف والزاهد الذي ليس له ارتباط بالعالم الخارجي، تصبح لديه عملية الهرم الداخلي أكثر بطئاً، وعملية التحلل أقل

1- الكسندر سفيري: قديس روسي (1448-1533).

حدة، وعلى العكس. سوف أروي حادثة ذكرتها لي إحدى الطبيبات المعالجات. حضرت إليها إحدى النساء وطلبت منها:

- «أريد سحراً لأحد الرجال بحيث أسلب عقله. أريد البقاء معه».

- قالت المعالجة: أنا لا أقوم بمثل هذه الأشياء. اخرجي من هنا». خرجت المرأة التي حطمتها المذلة. سارت عدة خطوات ثم ما لبثت أن وقعت على الأرض. تراكضوا إليها، لكنهم وجدوها قد فارقت الحياة. استدعوا الإسعاف مباشرة. وبعد ساعتين حضرت سيارة الإسعاف. في هذه الفترة حصل تفسخ سريع للجثة، وكأن المرأة توفيت منذ أسبوع. لم يستطع الأطباء الوثوق بأن الوفاة قد حصلت منذ ساعتين فقط، حتى إن الشرطة أرادت أن تجري تحقيقاً جنائياً بالحادثة، لكنهم لم يجدوا من يتهمونه.

سألتني المرأة: «هل أستطيع بعد هذا أن أتابع عملي كمعالجة؟».

أجبت: بكل تأكيد تستطيعين. لقد اعتدت تقديم المساعدة الروحية إلى الناس، حتى إنك قمت بمساعدة روح تلك المرأة التي توفيت. والصدمة التي أدت إلى فراق روحها لجسدها لم تحصل بسببك».

لقد سمعت مراراً عن حالات وفاة أشخاص يتصفون بالبخل والحسد والكآبة. بعد وفاتهم تفسخت أجسادهم بسرعة. سمعت عن قصة ممثل انفعالي جداً، ويعاني كثيراً من أسنانه. أصلح له الأطباء أسنانه ورمموها بمواد صناعية. مع ذلك وفي غضون ثلاثة أشهر مُسِحت الأسنان حتى القاعدة. لماذا يحصل هذا؟ يحصل ذلك لأن الممثل ليس لديه إيمان داخلي بالله. فالعالم الذي صنعه الممثل على خشبة المسرح ولد من أحاسيس وغرائز مادية إنسانية. لكن الإنسان المبدع وعميق التفكير وصل إلى أساس الغريزة الإنسانية، وهي غريزة حفظ النوع، والتي تقوم بالأساس على العلاقة الجنسية التي تقع داخل جميع الغرائز الأساسية. إن ازدياد الارتباط بالرغبات يؤدي إلى تخريب الأسنان.

لنعد إلى فرويد: إنه ليس فقط كان على ارتباط قوي بالرغبات، أي إنه كان غيوراً، وحقوداً، وسريع الغضب؛ بل إنه أسس لمنظومة كاملة تعتمد على عبادة الشهوات والرغبات. لقد اعتُبر أن الجنس حسب تفسيره عملٌ غير مخجل أو

شائن أو محرم. لقد دعم فرويد الحرية الجنسية مخالفاً بذلك التعاليم الدينية. كما اعتبر أن الجنس ضروري ومفيد للصحة الجسمية. هذا الرأي أسس لإحداث ثورة الحرية الجنسية في الغرب، والتي قوّت من نزعة تفسخ وانحلال المجتمع الغربي. بغية إنقاذ روح فرويد، كان لا بد من معاقبته جسدياً، وذلك عن طريق إتلاف رغباته الجسدية المتصلة بالوعي وبالجسد. لذلك فإن إصابة فرويد بسرطان الفم، وعدم قدرته على الأكل أو الكلام، هو أمر عادي وطبيعي، وعقوبة ربانية عادلة.

عندما وصل النازيون في ألمانيا إلى الحكم لم يتضرر فرويد عملياً؛ ولم ينته به المطاف إلى معسكرات الاعتقال. لقد تمكن من مغادرة البلاد متوجهاً إلى بريطانيا قبيل بداية الحرب العالمية الثانية. الضريبة الكبرى لخروجه دفعتها إحدى مريضاته. تمعنوا في ذلك: كان من الضروري ألا يوضع حد لحياة فرويد بشكل مفاجئ، وألا يصبح ضحية، ويكون بالتالي شهيداً وهدفاً للتقديس. إن منظومته في العلاج هي التي يجب أن تنهيه، وهذا ما حدث بالفعل. هو من اختار زمن موته، وذلك عندما أخذ جرعة مضاعفة ومميتة من المورفين. هذا يعني أنه أنهى حياته منتحراً. وذلك يثبت مرة أخرى نفسيته الوثنية، واكتمال انفصال وانحلال شخصيته. إذاً لماذا كان له ذلك التأثير الهائل في علم النفس المعاصر؟ لأنه توصل إلى الحقيقة. إلا أنه لم يحسن التصرف تجاه الحقيقة التي اكتشفها بالشكل السليم والصحيح.

إن فرويد توصل فعلياً إلى الحقيقة الإنجيلية التي تؤكد أن حالة الروح مرتبطة بحالة الجسد. ولم يعلن ذلك فقط، بل برهن أن المشكلات الروحية تتسبب بأمراض الجسد؛ وأن التأثير في الروح يفيد في علاج الأمراض الجسدية. في هذا المجال لن يموت التحليل النفسي، بل سيستمر في التطور مستقبلاً. لقد لاحظ فرويد أن ظهور الرغبات الدفينة والعميقة تولد الأمراض. لكن بما أنه لم يكن إنساناً متديناً، فقد كانت تنقصه طاقة الحب لتقوم بمهمة توحيد المتناقضات.

نعم، عندما تكبت الرغبات بشكل كامل، يعد ذلك أمراً سيئاً، ويسبب عقدة أوديب. هل هذا يعني الذهاب بالسرعة القصوى إلى الاتجاه المعاكس، وترك العنان كاملاً لجميع الرغبات؟! لم يأمرنا الله بقتل رغباتنا. من الخطأ الفادح قتل الرغبات، وفي الوقت نفسه يجب ألا نطلق لها العنان، بل يجب أن نسيطر عليها

ونتحكم بها. يدعو الدين إلى كبح جماح الرغبات دون قتلها أو فلتها من عقالها. نعني من خلال مفهوم الكبح وجود متناقضين اثنين يمكن أن يتعايشا مع بعضهما. الأول: كبت الرغبات وتدميرها واجتثاثها نهائياً؛ والثاني: ترك العنان للرغبات بشكل كامل ودون قيود، أي حرية الانقياد لها. رأى فرويد باعتباره عالماً أن الذهاب إلى اليسار هو أمر مضر وسيئ، لذلك قرر أنه من الواجب القفز والاتجاه إلى اليمين. وهذا يخالف الدين والأوامر الربانية التي تصب في صالح الإنسان واستمرار حياته، والتي ترفض الاتجاهات المتطرفة وتدعو إلى الوسطية.

أعتقد أن فرويد اعتمد في اكتشافاته في مجال علم النفس على تعاليم المسيحية، وانغرس ذلك في عقله الباطني. إن جميع تعاليم السيد المسيح منسوجة اعتماداً على أشياء متضادة، فيطلب كبح النفس والاعتكاف لدخول مملكة الرب، والتخلي عن الغنى المادي، والابتعاد عن التخمة ومباهج الحياة. يتضمن مغزى الكلام هنا الابتعاد عن الرغبات، لكنه في الوقت نفسه يقول: «...إِنْ قُلْتُمْ أَيْضاً لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ فَيَكُونُ. وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ»[1]. أوضح المسيح بأن الخوف والرعب يقتل الرغبات فينا ويدمر طاقاتنا. ظهر ذلك تلميحاً أحياناً، وتصريحاً أحياناً أخرى. كما حصل مع الرسول بطرس، الذي خاف وشك في إمكانياته، ففقد مقدرته وأخذ يغوص في الماء. عندما نحلل أحاديث المسيح نصل إلى مفهوم أننا لا نستطيع العمل اعتماداً على أنصاف النتائج. إن ذلك يعني أنه من غير المسموح لنا أن نقتل رغباتنا. لكن المطلوب منا بكل بساطة أن نكبح ونسيطر على الرغبات الحيوانية فينا، ونفتح الطريق أمام الرغبات الربانية. عند ذلك تتحول الطاقة الحيوانية إلى إنسانية، ثم إلى ربانية.

تدور داخل جسم الإنسان تيارات من الطاقة: الطاقة الربانية التي تتجه إلى الأسفل، والتي تتحول في البداية إلى حيوانية، ثم تصبح إنسانية وتعود أدراجها إلى الخلف؛ والتيار الآخر هي الطاقة العليا القادمة من الأعلى: وهي طاقة إلهية تتحول إلى روحانية ثم إلى إنسانية، بعدها إلى حيوانية، وتخرج على شكل طبيعة جامدة.

1- العهد الجديد: متى (21: 21-22).

إن الطاقة الربانية تخلق تيارين من الزمن، تنشأ عنهما طاقة كامنة تحرك أي شيء في الكون. لماذا يُمنَع قتل الرغبات؟ لأن أي رغبة من رغباتنا تخرج من غرائزنا، والغريزة تأتي من الحب الإلهي.

إن الكبت العنيف للرغبات يؤدي إلى انخفاض حاد في طاقتنا. وينتج عن ذلك تدني مستوى المحبة في أروحنا. وهذا يؤدي إلى ازدياد في العدوانية، ثم تبدأ الأمراض وتأتي المصائب. لهذه الأسباب يمنع قتل الرغبات، ويكفي أن نشذبها ونسيطر عليها. بالمناسبة، فيما يخص تربية الأطفال: لماذا تزداد مشكلات الأطفال في الأسر غير الكاملة؟ لأنه يحصل اختلال وعدم توازن بين تيارات الطاقة. تعتبر الأم رمزاً لمنح الطاقة، وعدم إقدامها على معاقبة الأطفال، وحنانها وتلبيتها رغباتهم. هذا الإحساس يخزن بيولوجياً في اللاوعي. أما الأب فهو رمز لتحديد الرغبات وكبحها. الأب يحدد ويعاقب؛ أما الأم نجدها تدافع عن أطفالها وتمهد لهم الطريق لنيل رغباتهم. إن الطفل الذي ينشأ في أسرة كهذه، يكون متزناً وروحه ونفسه مليئة بالحب.

تحدثت كثيراً في محاضراتي عن مشكلات النساء ذات الشخصية المسيطرة والقوية والذكية والقاسية. عادة لا يوجد لدى هؤلاء أطفال، أو يوجد أطفال مرضى. من واجب الأم أن تساعد طفلها، وتفتح وتحرر طاقاته ورغباته، وتوجهها إلى المحبة. أما إذا كانت الأم تضطهد وتظلم طفلها ولا تداعبه ولا تحنو عليه، عندها فإن آلية التعود الوراثية في اللاوعي تقف عن العمل، ويصاب الطفل بالعقد النفسية، ويشعر بالقهر والظلم. عندها في اللاوعي ينحو منحى أمه، ويبدأ بكبت أحاسيسه ورغباته. وكلما كان الحب منعدماً في روحه زاد كرهه وحقده على العالم أجمع.

إن عدم امتلاك المقدرة على الحب وانعدام التفكير الصحيح هو السبب الحقيقي للإجرام. عندما بدأ علم النفس بدراسة الشخصيات السادية وشخصيات القاتلين بالتسلسل، انكشفت حقيقة طريفة. لقد كان هؤلاء الأشخاص أثناء وجودهم في السجن من أكثر الناس احتقاراً وإذلالاً. كلما تعرض السجين إلى الإذلال والمهانة والتحقير داخل السجن، أصبح ذا نفسية شرسة وقاسية جداً عندما ينال الحرية. عندما تنعدم الطاقة تظهر الأمراض: في البداية يختبئ المرض داخل أحاسيسنا، ثم يظهر في جسمنا. هذا يعني أننا إذا تمكنا من إعادة إطلاق وتحرير

انفعالاتنا المكبوتة من جديد، فإن الشخص يتعافى. مع أنه يجب إقناع الشخص من أجل التخلص من نزعة كبت مشاعره وطاقته.

لقد كان الاكتشاف الذي توصل إليه فرويد عظيم الشأن، وأثبت وجوده وحقيقته، وفرض نفسه بأسرع مما يتوقع أحد. من الخطأ كبت الطاقة، ومن غير المسموح به إذلال الإنسان. وكل شيء آخر هو هراء: هذا عندما نعرف ماهية الإنسان على أرض الواقع. هل الإنسان هو مجرد جسد وتفكير وغرائز؟ إذا كان الأمر كذلك، يجب تحريرها بشكل كامل؛ عندها سوف تعمل الآلية من تلقاء نفسها، وتخلص الإنسان من الأمراض، وتنقذ الكثير من الأرواح. هذه هي طريقة فرويد في العلاج. عندما تعمل الآلية بهذا الشكل وفق مبدأ تحرر الغرائز، تكون بذلك قد عصت الخالق الذي خلق الإنسان.

وهكذا تم استبدال عقدة أوديب بعقدة فرويد. ولم يستطع مؤسس مدرسة التحليل النفسي أن يتغلب على هذه العقدة. وهنا نصل إلى النتيجة المنطقية والبسيطة: إن الإنسان ليس فقط مجرد جسد وتفكير، أو وعي وغرائز. إن الإنسان أولاً وقبل كل شيء ذو جوهر إلهي، وهذا الجوهر لا يجوز ظلمه أو تقييده أو تحديده. ولكي ينمو هذا الجوهر ويتطور بشكل طبيعي، لا بد من كبح الغرائز. إن التفسير السطحي وغير الدقيق للحقائق الكبرى، هو أكثر خطورة من أي خداع أو كذب ورياء. يحس الإنسان أن الحقيقة قريبة، ويتناسى أن يكون حذراً، وبالتالي يسير في الاتجاه المعاكس. إني على ثقة من أن معظم أتباع المسيح يرتكبون الذنوب بذلك الطريق. لذلك قال المسيح: «خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ»[1]. إن الإنسان يحاول دائماً أن يختار إنجاز المهمات السهلة، وهو من يحدد إلى أين يذهب: إلى اليسار أو إلى اليمين. بعد ذلك تبدأ المشكلات، وتكون جدية وصعبة الحل.

ليس مهماً أن تكون عالماً، موسيقاراً، فناناً، أو رساماً. إن الصورة غير الصحيحة في مخيلة الإنسان عن العالم هي تدفق غير سليم للطاقة. ومصيرها التخامد. وهكذا نستنتج أن الإنسان والمجتمع عموماً سوف يمرض ثم يفنى.

1- العهد الجديد: لوقا (11: 3).

طرح أحد الحضور سؤالاً طريفاً: «هل تستطيعون تحصيل رواية بولغاكوف «المعلم ومارغريتا»؟ قلت ارتجالياً: «دعنا نحاول. من المهم بالنسبة لي أن أعرف ما سيحصل».

سوف يحصل الآتي: هل لاحظتم أن جميع الإعلانات التي تسوق الآن في المجلات واسعة الانتشار تعتمد أساساً على تحقيق الرغبات. ذلك غوص في أعماق الوثنية. إنهم يعلمونك التركيز على الرغبات، والتحكم بالمستقبل لصالح تحقيق الرغبات؛ ويعلنون عن الآلية التي تضمن تحقيقها بأقصى سرعة.

لقد تحدثت في إحدى محاضراتي عن قصة امرأة عملت كل ما في وسعها لمدة سنتين من أجل الحصول على شقة سكنية، وأخيراً حصلت عليها بما يشبه المعجزة، لكن حلت بها مصيبة وكارثة كبرى: لقد فقدت ابنها الوحيد.

إن كتب الأيزوتيريك الحديثة يمكن قراءتها بسهولة بالغة، وذلك لأنها تنقلها إلى الوثنية. لكي يؤمن الإنسان الوثني بوحدانية الخالق، ولكي يتحسس أن كل شيء في العالم مترابط مع بعضه بعضاً بشكل كامل، ويخضع إلى إرادة الخالق، يجب عليه أن يبذل جهوداً ضخمة، وعليه كذلك أن يجتاز طريقاً وعرة من كبت الرغبات ورفع مستوى الطاقة الروحية لديه. اقرؤوا في العهد القديم! كيف كان على اليهود أن يسلكوا طريقاً صعباً لدرجة غير متوقعة لكي يدركوا وحدانية الله؛ بينما لإحداث انحلال وتفسخ في الروح لا يتطلب بذل أي جهود، بل إنها تمنحنا طاقة محببة مجاناً. لذلك فإن فطرتنا الحيوانية تسعى إلى الطاقة السهلة، أي إلى اقتراف الذنوب. ومرة أخرى أقول: إن ذلك الانحطاط محبب، ولكن الإكثار في الانغماس في الذنوب يجلب الأمراض. فالتطور الحقيقي هو الذي يقوي المحبة، أما الانحطاط الخلقي فيدمرها.

لقد تعود الناس أن يدفعوا الأموال على المتع الجسدية، لذلك فإن كل الأعمال الحرة (البيزنس) تمتلك نزعة تطوير الجسد وقهر الروح. إن تلك النزعة سوف تتجه دوماً باتجاه الانحطاط، وتصبح قاتلة عندما تخرج عن السيطرة. لنعد الآن إلى الروائي بولغاكوف. إنه يصف النظام الاشتراكي. إنه بناء شيده الملحدون والأشخاص الذين لا يؤمنون بالله. لكن الإنسان بفطرته لا يستطيع إلا أن يكون

متديناً. وحده الحيوان يمكنه أن يكون متديناً. أما الإنسان فلديه روح تتطور. إن الروح تمنح إحساساً أكبر بالزمن، ونفوذاً نحو المستقبل. والسعي لفعل أي شيء من دون إيمان من قبل الإنسان يجعله يقترف الآثام والتصرفات غير الإنسانية. لذلك نجد أن الإنسان غير المتدين وغير المؤمن بالله، والذي يتجه لعبادة الشخص الملحد، محكوم عليه بأن يكون وثنياً.

عندما اتجه الإنسان البدائي الأول إلى المفهوم الوثني للإله، تقدم خطوة فصلته عن الحيوان. لاحظوا أنه في عهود سابقة انتشرت في كل مكان داخل المجتمعات القديمة عادة الإيمان بآلهة محلية وعبادة الأرواح ...إلخ؛ أتعلمون لماذا؟ اعتقدوا أن الإله المحلي أو الروح تتحكم بالأحداث والمجريات كافة في تلك الأرض أو المنطقة. عندما كان الإنسان يؤمن بالإله أو الروح، كان يتعرف بذلك كيفية ربط الأسباب بالنتائج، مع الأحداث التي تجري من حوله. إن جميع المجريات والأحداث كان الإنسان ينسبها إلى إرادة الإله المحلي. هذا يعني أنه كان يؤمن بأن كل ما يحدث مرتبط بنقطة واحدة. كلما كان مستوى تطور المجتمع عالياً، كان مجال تأثير الآلهة الوثنية واسعاً. وكلما كانت الطاقة الروحية في الإنسان عالية أكثر أحس بشكل أقوى بوحدة وترابط جميع الأحداث والمجريات التي تحدث في الكون. لذلك عندما يسعى الحيوان لكي يصبح إنساناً، فهذا يعني أن عملية تطور وتقدم تحصل، وهذا أمر طبيعي. عندما يتقدم الإنسان الوثني في تفكيره إلى فكرة الوحدانية، فهذا أيضاً يعتبر تطوراً إيجابياً وطبيعياً: عندما يتطور ويرتقي الإنسان الحيواني إلى مرتبة الإنسان. أما عندنا يحدث العكس، ويرغب الإنسان في الانحطاط والتحول إلى حيوان، فذلك يعد عملية تدميرية، وتؤدي إلى هدر الطاقة، وقد لا تستطيع إيقافها. لذلك ليس أمامنا إلا الارتقاء، ولا سبيل لدينا للعودة إلى الوراء.

قادت عملية الانحطاط إلى التفسخ والانحلال والموت، وهذا مذكور في العهد القديم. إن الإنسان الذي أنكر وحدانية الخالق، وترك العنان لرغباته وشهواته، يكون قد نزل إلى الدرك الأسفل في وثنيته، لذلك يحكم عليه بالفناء. اقرؤوا العهد القديم، تجدون ذلك موضحاً بالتفصيل.

نعود من جديد إلى الكاتب بولغاكوف. لقد عاش في مجتمع وثني، وكان يشعر كيف كان ذلك المجتمع يفقد قيمه الأخلاقية بشكل تدريجي. لقد تحولت فكرة وحدانية الخالق تحت عبادة الإلحاد إلى الفساد، ثم إلى السحر وعلوم الغيب. ما ماهية السحر وعلوم الغيب؟ إنه استخدام القدرات العليا لأطماع ومآرب شخصية. عندما لجأ الإنسان البدائي الأول إلى التعويذات السحرية أو إلى الأرواح المحلية، تلك كانت محاولة للتأثير في مجرى الأحداث والنتائج السببية في الوسط المحيط. لقد كانت رغبات متواضعة وبدائية، وعن طريق ذلك يلجأ إلى لاوعيه؛ وكذلك عن طريق فكرة التوحد الكلي لكل ما يحدث في الظرف المكاني والانخراط فيه، ثم محاولة التحكم به. لكن عندما يتوجه الإنسان إلى خالق الكون برغبات مفرطة تنم عن الجشع، عندها تتغير الصورة كلياً. إن الخلية تحاول أن تسيطر ليس فقط على عدة خلايا مجاورة لها، بل على الجسم بأسره، مع أنها ليس لها الحق في الحياة.

إن نزعة المجتمعات الملحدة والوثنية البدائية نحو التفسخ، يشعر بها أولاً الأشخاص ذوو الروحانية العالية. إن الطبيعة التي تحصل مع الإنسان تنطبق كذلك على المجتمعات. فالرسام يتحسس ويستشعر النزعة التي تعكس مشاعر المجتمع. إن الابتعاد عن الأخلاق وعدم تنفيذ وصاياه لا تقود إلى الوثنية أو إلى الفطرة الحيوانية فحسب، بل وتؤدي إلى تشكل النزعات الشيطانية عند توافر طاقة عالية. وهكذا فإن مؤلفات بولغاكوف تصف حالة الروح الإنسانية التي عصت الخالق، والتي تحس بفساد أفعالها. لذلك نجد من الطبيعي ازدياد العجرفة حتى لدى الكاتب نفسه، والذي في كل مؤلفاته نجده يصف نفسه بالذات، ويحاول عن طريق ذلك أن يحل عقده ومشكلاته، لذلك من المنطقي تماماً حصول مشكلات لديه في الكلية، حيث أدت إلى وفاته.

قبل بولغاكوف نجد لدى غوغل مثل هذه النزعة، أي نزعة نكران وجود الخالق وعبادة الفكر والرغبات. وقد أصيب بأمراض نفسية جعلته غريب الأطوار، وتوفي بظروف غامضة. ليس على سبيل المصادفة سمى الكاتب أهم مؤلفاته «الأرواح الميتة». لقد أحس بانحدار مجتمعه المعاصر إلى الموت، ووصف تلك العملية. حاول

تشكيل شخصية البطل المنقذ، الذي يحاول إدخال أفكار جديدة إلى المجتمع، فكرة الإنقاذ الذاتي. لكن لم يحالفه الحظ في ذلك، لذا أقدم على إحراق القسم الثاني من مؤلفاته الشعرية. إن البطل المنقذ الذي ابتدعه غوغل لم يمتلك أيضاً الحب في روحه، لذلك حصل لديه مجرد تحول سطحي. لم ينجح ذلك البطل في إنقاذ مجتمع الأرواح الميتة. اتجه غوغل في الآونة الأخيرة من حياته إلى الله. ولكن بما أن مستقبل الإنسان مرهون بحاضره، فلقد تحمل غوغل أوساخ وذنوب مجتمعه وحملها على عاتقه. ولم يتمكن من إيقاف نزعة الانتحار التي ينزلق إليها مجتمعه.

سأل فجأة أحد الحضور: «وكيف بوشكين؟». «لا بأس! دعنا نتذكر أشهر مؤلفات بوشكين «حكاية الكاهن وصاحبه بالدا». هذا المؤلف يسخر من رجال الدين الذين يعملون في الخدمة الكنسية. لقد شعر بوشكين أن الكنيسة التي تسيطر على الدولة بدأت تفسد وتتحول إلى ما يشبه النظام الإقطاعي. إن عدم احترام بوشكين للكنيسة انتقل أيضاً إلى عدم احترام المسيحية والإيمان بالله عموماً. هذا المنحى الخطر الذي اتبعه بوشكين كانت الكنيسة نفسها سببه، واعتبرها ميتة. وقد جرت إليها المسيحية، واعتبرت أن لا أحد يستطيع التقرب من الله إلا بواسطتها. لقد فقد بوشكين الإحساس بالإيمان والتوحد مع الخالق، واتجه إلى عبادة رغباته وغرائزه، وأكثر من مغامراته العاطفية والجنسية. كانت لديه نزعتان تتحكمان به: نزعة حب الحياة، وغريزة استمرار النوع.

عندما تتمعن بقصيدة «يفغيني انغين» تجد اعترافاً بعدم جدوى محاولة فهم تشكل العالم وكيفية التفاعل معه، وكيفية الوصول إلى مغزى الحياة، وكيفية التحكم بالمصير وفهمه. وبما أنه لم يتمكن من تحقيق الغريزة الأولى، يبقى له السعي لتحقيق الغريزة الثانية: الجنس المتعلق بالجسد. إن الانصياع للرغبات والجنس يزيد من أنانية الإنسان. كلما ازداد تقدير الإنسان لذاته، زادت العجرفة والتكبر، وأدى ذلك لتدني المستوى الأخلاقي. وهنا نجد بوشكين ليس فقط يغوي النساء اللواتي أعجب بهن، بل وراح يهجو أزواج النساء اللواتي أغواهن. إن علاقتنا مع الناس بالنتيجة لا بد من أن تنعكس وترتد إلينا، لماذا؟ لأن ذلك يؤثر في بنية وتشكيل حقل طاقتنا، وفي عقلنا الباطني. أي عندما أتعامل مع الناس ومع الوسط

المحيط عبر روحي وأعماقي، فذلك يتم تخزينه في اللاوعي، وبعد مدة من الزمن سوف ينعكس على تعامل الآخرين معي. إن ذلك الاضطراب قد يمتد لأجيال عدة، وقد لا يتجاوز عدة سنين. يتوجب على بوشكين أن يتعذب ويتألم بما كانت تجنيه يدا، وبسبب الغرائز التي أصبح عبداً لها. أي يجب أن ندفع ثمن ابتعادنا عن الله وعن المحبة، وذلك بفقد أو تدمير شيء ما يخصنا. كان بوشكين أحياناً يُصدَم ويتألم من الخيانة، لأنه لا يستطيع تحمل انهيار ودمار ما كان يعبده. إن كرهه الشديد لمصدر الألم أو الظلم والإذلال، شكل لديه برنامجاً قوياً جداً للتدمير الذاتي. كان أمره مقضياً، لذلك ليس على سبيل المصادفة أن تصيبه رصاصة دانتس الذي نازله في منطقة البطن بالذات!

إن الآلام التي تحملها كانت تكفيراً جزئياً، لأنه ترك الإلهي من أجل عبادة الإنساني. إن المدرسين في المدارس، ولعشرات السنين، أثنوا على عبقرية بوشكين، لكن لا أحد شك بأن ذلك العبقري قد ضل الطريق، وكانت نهايته تراجيدية. إن موته التراجيدي كان عادلاً وضرورياً له. هنا ينشأ سؤال: ما علاقة الحكومة القيصرية الروسية، التي تم اتهامها بالتسبب بتلك الذنوب والآثام؟ وما مسؤوليتها عن كل ذلك؟ للعلم، إن ثمن البقرة كان في ذلك الزمان يبلغ أربعة روبلات، أما بوشكين فقد حمّل أسرته ديوناً بلغت مئة وستين ألف روبل. هذه الديون بالنتيجة دفعها قيصر روسيا نفسه.

اعتقد أن الشاعر ليرمانتوف كان يكن الكره للنخبة الحاكمة في روسيا القيصرية، وذلك بسبب تأكده من أنهم ضلوا الطريق القويم، ولأنهم عجزوا عن مساعدة الشعب الذي يحكمونه. إن السلطة التي ابتعدت عن الله، بالتأكيد سوف تقود الدولة إلى الكارثة؛ هذا ما كان يحس ويشعر به ليرمانتوف، لذلك لم يترك أسلوباً إلا واتبعه لكي يضع المسؤولية على عاتق تلك السلطة. وكلما اشتد الخناق عليه، زاده ذلك رغبة في البحث عن المذنبين وإيجادهم، مما زاد داخل أعماقه الشعور بالاحتقار تجاه من تسبب في نشوء الأوضاع المزرية من حوله.

خلت جذوة الإيمان من قلب الشاعر ليرمانتوف، لذلك نجد كم تعذب وتألم، مثله مثل أي إنسان عبقري. اختلف عن بوشكين في أنه حاول تحقيق غريزة التسلط.

إن حب إرادة التسلط، وتقديس التفكير والمصير، يجلبان العجرفة والتكبر بشكل غير معقول، وهذا يؤدي إلى انعدام الشعور بالحب. عندها يحس الإنسان المتعجرف بالتفوق على الآخرين، ويتعامل مع الآخرين بفظاظة. إن بطل ليرمانتوف بتشورن يفعل ذلك بشكل مستمر. فاستهتاره بالآخرين كان يتحول إلى استهزاء بهم. إنه يهين ويذل الجميع من حوله. كان يستهتر بكل ما هو إنساني من حوله، لكنه كان يأمل في قدح شرارة الحب في نفوسهم، والسير ورائها. مع أنه عندما اعترفت الأميرة ماري بحبها له، فهم ذلك على أنه استطاع إثارة الهوى.

إن ازدياد نمو الشعور الإبليسي داخل النفس يقود إلى تدمير الذات، لذلك نرى بطل الرواية بتشورن يبحث عن الموت. وليرمانتوف نفسه بحث عن الموت، وذلك عندما وجه الإهانات القاسية إلى مارتينوف، كان يقصد ما يفعله سراً. مع أن ليرمانتوف وجه الإهانة إلى مارتينوف أمام الجميع إلا أن مارتينوف كبح غضبه وخاطبه: «لقد أردت فقط ألا توجه لي الإهانات أمام الآخرين». لكن ليرمانتوف أعاد الكرة مرة ثانية وحقره أمام الجميع من جديد بطريقة ساخرة، وسأله: «والآن ألا ترغب في دعوتي للمبارزة بسبب هذا؟». كان الشاعر يبحث عن حتفه. لقد أحس أن الحب هرب من أعماقه ومن روحه. وعندما شاخ مارتينوف، وكان حينها يعيش في أستراليا، سئل: «ألم يكن من المؤسف بالنسبة لكم أن تقتلوا ذلك الشاعر العظيم؟». أجاب حينها:

- «لو تكرر الماضي نفسه، لأقدمت على قتل ذلك الحقير مرة ثانية».

إن الإنسان الفنان يجب أن يسبق الجميع، لأنه يجيد وصف الروح وما يجول داخل النفس. عبر ألمه وعذاباته يظهر لكل المجتمع ما سوف يحدث للجميع في القريب العاجل.

- ما رأيكم بموضوع الموسيقى؟ سأل أحد الحضور بشكل مفاجئ.

رفع كتفيه مشيراً إلى أن القوانين واحدة بالنسبة للجميع.

- ما قولكم بما يخص تشايكوفسكي؟ يسأل الشخص ذاته.

قلت: - من الصعب علي الحكم فيما يخص الموسيقى. لنمعن النظر في موسيقاه التي تحاكي الأحداث.

إن باليت (بحيرة البجع) لتشايكوفسكي تعد من أشهر الأعمال الموسيقية التي قام بها. من الطبيعي أن تحاكي موسيقا تشايكوفسكي الأحداث والوقائع التي تجري على خشبة المسرح. أعداد كبيرة جداً من الناس شاهدت باليت «بحيرة البجع»، لكني أجزم أن لا أحد من ملايين المشاهدين الذين شاهدوا تلك الباليت قد فهم مغزى أحداث ذلك العمل، ولماذا يتوجب على راقصة واحدة أن ترقص بدور أوديتا وأوديليا.

عندما لا نتوصل إلى فهم مغزى المسرحية، فهذا يعني أننا لن نفهم إلى ماذا ترمي. وهذا يعني أن هذا العمل الفني قد يدفعنا إلى الاتجاه الخاطئ. إن المشاهد العادي سوف يتعاطف مع الفتاة الحسناء والمسكينة أوديتا، التي خسرت حبيبها بسبب مكائد الفتاة الشريرة أوديليا. هذا يعني أن الشر انتصر على الخير. سوف يسخط المشاهد في أعماقه، ويتعاطف مع الفتاة المسكينة أوديتا. أي إن رمز الخير تحطمه قوى الشر. أما من يتعاطف مع التعيسة أوديليا، وكان تعاطفه قوياً، فذلك سوف يؤدي إلى نزعة للشذوذ الجنسي لديه. وعندما ترقص راقصة الباليه، وفي داخلها إعجاب بأوديليا واختفاء لأوديتا، عندها سوف تقوى في أعماق روحها نزعة التفسخ والانحلال.

- قلت مخاطباً السائل: هل يصعب فهم ذلك؟.

- أجبت مبتسماً: سوف أوضح ذلك الآن: منذ مدة قريبة زارتني إحدى المريضات، وأخذت تحدثني عن الأحلام التي تراها في نومها، تماماً بطريقة فرويد. ترى في منامها أنها جلست في أرجوحة وأخذت تتأرجح بها، فجأة انقطع حبل الأرجوحة وبدأت تسقط منها. صرخت من الفزع، حاولت القفز منها وإيقافها. في هذه اللحظة أتت الشرطة مهددة إياها بالسجن. بعد ذلك الحلم تأتي مجموعة من الرجال تأخذها. أجهشت المرأة بالبكاء وطلبت أن يتركوها. فكأنهم تعاطفوا معها وتركوها. كانت أحلامها حقيقية وقاسية. طلبت مني المرأة تفسير تلك الأحلام وبماذا ترتبط؟

قلت لها:

- إنها مرتبطة بابنتك؛ لم تعلميها تحمل المواقف المؤلمة. تتعرض لبعض الأحداث والمواقف المخيفة، ولا تستطيع تحملها. الأرجوحة ترمز للمصير، أي إن

بعض الأمور السلبية تؤثر في مصير ابنتك، ولا تستطيع تحملها، عندها توجه جميع مشاعرها إليك. وأنت من يجب أن يتحمل أخطاءها؛ أما الشباب الذين كان بإمكانهم قتلك، فهم رمز للرجل الذي يمكن أن يسبب الإذلال لابنتك، لكن ذلك الظلم والإذلال ضروريان لتطهير روحها.

- قالت المرأة: هذا غريب. إن ابنتي تستعد لإقامة حفل زفافها.

أخذت قسطاً من الراحة، محاولاً فهم علاقة تلك الأحلام بالزواج. أتت إلى ذهني فكرة: في وعي كل امرأة، الزواج عبارة عن هناء، وتحقيق للرغبات، ورمز للسعادة. أما في اللاوعي، هو عبارة عن إذلال للمصير؛ إنها خضوع للزوج. على المرأة أن تضحي بنفسها من أجل الأطفال والزوج (وكذلك على الزوج). إن التعامل مع الآخرين لا يتم من دون تضحية. يتم التعامل الجيد عندما يضحي كل شخص بشيء ما من أجل الآخر. وفي حال لم يكن الشخص معتاداً على التضحية ومساعدة الآخرين، عندها تتقطع تلك الروابط.

- قلت: وهكذا، فإن ابنتك تخاف من المستقبل الذي يظهره لها اللاوعي. لذلك هي لا ترغب أن تضغط على نفسها، ولا تريد أن تضحي تجاه الأطفال والزوج. عليها أن تعتاد على القلق وقلة النوم، وعلى مرض الأبناء والمشكلات المتنوعة؛ فذلك من أهم سمات السعادة الإنسانية. إن الألم يجبر الإنسان على اللجوء للحب. ومن دون ألم وعذاب لا مجال للتطور، لذلك تظهر لدى الفتاة الراغبة بالزواج نزعتان: سعادة الجسد، وسعادة الروح. عندما تتغلب الرغبات الجسدية، تمتنع الفتاة عن الزواج وإنجاب الأطفال. وكما حصل لدى الشاعر ليرمانتوف، سوف تدفع بأسرتها إلى الانتحار. إما أن ينتصر الحب، ويأتي أطفال أصحاء؛ أو تتغلب النزعة المادية وحب الذات والأنانية وحب الرفاه، وعندها قلما يأتي أولاد أصحاء، وقد لا يولدون على الإطلاق. إن مسؤولية ذلك لا تتحملها الأم فقط، بل والجدة أيضاً.

ألاحظ نظرات الحضور الجالسين أمامي. وهكذا يحصل تقابل أوديتا وزيغفريد، تتسوق نفسها لتشكيل أسرة معه. إنها تحتاج للارتقاء والتغلب على رغباتها والسعي للاستقرار والحياة الكريمة. يجب تقبل الإخفاقات المؤقتة، لكنه يجب الحفاظ على المحبة. عندما تظهر أوديليا كمنافسة لأوديتا، مع أنها نسخة

طبق الأصل عنها، لكنها تتصف بغريزة جنسية جامحة، واسوداد في أعماق الروح، وحب للرفاه المادي. قررت أوديليا انتزاع زيغفريد من أوديتا، والاستحواذ على قلبه ولو لمدة وجيزة. إن الغريزة المهانة تقرب الشخص من الله وتزيد المحبة لديه. أوديتا في وعيها الظاهر قد سامحت على الخيانة، لكنها في أعماق روحها لم تستطيع أن تقفز الخيانة مع الحفاظ على الحب في وقت واحد. عبر تلك العروض والرقصات تظهر رغبة جنسية تخنق الحب. إن الحسناء الفاتنة أوديتا عشقت الجنس، لكنها في الحقيقة أحاطته بالاتزان والتأنق والجمال، وسيطرت عليه.

إن الإنسان الذي يجعل نفسه عبداً لرغباته الجنسية، والذي لا يتقبل فكرة فقدانها، محكوم عليه بخسارتها عاجلاً أم آجلاً. وتتحول إلى عنة أو شذوذ جنسي. إن فقدان الرغبة يكون أحياناً بمثابة فقدان الحياة نفسها أو تدميرها. وهكذا مع الزمن كان من الممكن أن تصبح الفاتنة أوديتا عاهرة؛ وبعد ذلك سحاقية. وفي أحسن الأحوال راهبة. وعن طريق ذلك تحاول أن تخضع رغبتها الجنسية لإرادتها، وتحول تلك الرغبة إلى محبة وطاعة لله.

من السهل جعل النهاية سعيدة في الأعمال الفنية، وجعل البطل ينتصر دائماً على العصابة الشريرة، وإظهار كيف أن الخير ينتصر على الشر. لكن بما أن الشر هو محصلة للتقديس الزائد عن الحد للخير، فلا يمكن قهر الشر بشكل مطلق. الشر هو شهواتنا وأهواؤنا؛ هو التعنت والعصبية الزائدة والانتقاص من الحب. كل ذلك يؤدي إلى الشر. من الممكن قتل الشهوات والرغبات، لكننا عندها سوف نموت معها، لذلك فإن عملية الانتصار على الشر هي عملية الانتصار على شهواتنا. إنها عملية تحول ذاتي مؤلمة. ومن دون محبة الخالق لا يمكن أن يكتب لها النجاح، لذلك فإن النهاية السعيدة في الحياة العملية لا تحصل دائماً.

دعونا الآن نتذكر مصير تشايكوفسكي؛ ذلك الإنسان العبقري والمدهش. بما أنه كان إنساناً غير متدين، فقد اتصف بالعجرفة وحب الذات والجنس. لقد انعكس عشقه للجنس على عشق الجمال النسائي والمشاعر الرفيعة. لقد أحب إحدى الفنانات بجنون، وأراد الزواج منها. لكنها فجأة سافرت إلى وارسو لتقديم عروض فنية هناك. بعد عودتها علم من الجرائد بموعد زفافها من شخص غيره. شعر

بمرارة الخيانة وانهيار القيم والمبادئ، وتحطم الآمال والأحاسيس الرفيعة، مما شكل له صدمة يصعب تجاوزها. مثل هذه الصدمة النفسية الكبيرة وتحطم الآمال قد ينتج عنها الموت، أو الشذوذ الجنسي، أو التوجه إلى الله لمنحه القدرة على الصبر. والنتيجة بالنسبة لكم واضحة في قصة حياته.

يعبر معظم الفن الروسي عن العذاب النفسي للإنسان الذي فقد الإيمان بالله. إنه يختلف عن نظيره الغربي الذي خلا من مشكلات كهذه، حيث الناس هناك يستمرون في حياتهم الهادئة والسعيدة؛ يقدسون الرغبات والشهوات الجنسية والرفاه المادي، والتي سوف تنتهي بهم بشكل غير ملاحظ إلى الانحطاط والفساد. وأخطر الخسائر تلك التي لا نلاحظها. أما الفنانين الروس والشعراء والرسامين والكتاب فقد لاحظوها، وانعكست في أعمالهم الفنية والأدبية.

لدي زملاء رسامون، حدثوني عن بعض الحقائق من قصة حياة فروبيل: في إحدى المرات ذهب مع صديقه للسباحة في النهر، فجأة أدهشته رؤية آثار ندبات ناتجة عن جراح على صدره. لقد تبين أن فروبيل وقع في حب إحدى النساء، لكن القصة الغرامية كانت نهايتها غير سعيدة، مما أدى إلى تعرضه لصدمة نفسية وعاطفية هائلة، لم يستطع تحملها، نتج عنها أنه مسك مشرطاً وأخذ يجرح صدره به. الألم الجسدي الذي أحس به خفف عنه الألم النفسي. ومن أجل استمرار الحياة، حصل لديه تحول وتغير، وكمية كبيرة من الطاقة الباحثة عن مخرج. لقد تحول الرسام فروبل[1] من غريزة استمرار النسل إلى حب التسلط والسيطرة وغريزة حب البقاء.

لكي نستمر في الحياة، علينا التحكم بالمواقف والسيطرة عليها، وتسخير الوسط المحيط لصالحنا. وبما أن فروبيل إنسان عبقري ويمتلك طاقة هائلة، شعر على الفور أن ما قام به بحق نفسه هو علم إبليسي، لذلك قرر التوقف عند ذلك الحد، وراح يرسم، فرسم لوحة «الروح الحارسة الهابطة» و «الروح الحارسة المتألمة». إن لوحاته المنتمية إلى المدرسة الانطباعية في الفن تحمل طابع التدمير، وتتصف

1- ميخائيل فروبل (1856-1910): رسام روسي عالمي.

بمسحة متميزة. يتأثر الأطفال بنزعات أهلهم، لذلك من المنطقي أن يولد طفل فروبيل مشقوق الشفة (الشفة الأرنبية)؛ إنها إحدى علامات إلغاء الوعي. غالباً ما يتصف الأطفال الذين يتميزون بمقدرات عالية بهذا العيب الخلقي، ومن ثم قد يتوفون بعلة التهاب الرئة؛ إنها طريق كبح وإنهاء العجرفة. فَقَدَ فروبيل فيما بعد عقله، ثم أصيب بالعمى؛ هذا يعد مظهراً من مظاهر العملية ذاتها. إن الوعي الذي ينسى الخالق، سرعان ما يتصف بنزعة ماردية.

العمل على النفس

بقي ساعتان لموعد إقلاع القطار الذاهب إلى مدينة سيفاستوبل. لقد خرجت مبكراً حتى لا أعاني من زحمة السير في موسكو. من حيث المبدأ يمكن الوصول إلى محطة القطار في غضون أربعين دقيقة. مع أنه في المدة الأخيرة أصبحت أرغب بالوصول باكراً، وليس الوصول في اللحظة الأخيرة ثم الالتحاق. هل هذا الشعور ناتج عن التقدم في العمر؟ من أين أتت مثل هذه العبارة الشائعة: من أسوأ الأمور أن تنتظر طويلاً ثم تتأخر؟ عندما تنتظر شيئاً ما هذا يعني أنك غير مستقل، وتابع لذلك الشيء. وعدم الاستقلال يولد القلق. وكلما طال انتظارك لشيء ما من المستقبل، عانيت أكثر منه ومن ارتباطك به. أما عندما تسرع، فهذا يعني أنك تخاف من أن تتأخر، ومن جديد يظهر الخوف من المستقبل. من جديد، الموضوع نفسه من تقديس المستقبل. لقد تعلمت الانتظار حتى لا أشعر بالخوف من احتمال التأخر؛ أن أقوم بإنجاز كل أعمالي بسرعة لكن دون تسرع.

أنا أذكر منذ سنتين مضتا، عندما استقليت الطائرة من مدينة فولغاغراد عندما توجهت إلى المطار، كان موعد إقلاع طائرتي بحين بعد ساعة ونصف، والطريق يستغرق ساعة. لقد بدأت أقلق، لكن سائق السيارة هدأ من روعي قائلاً: «لا تقلق؛ سوف أزيد من سرعة السيارة، وفي غضون أربعين دقيقة تصل». ها نحن نجلس في السيارة متوجهين إلى المطار. نغادر المدينة باتجاه الطريق الخارجي. بعد

أربعين دقيقة من السير أنظر إلى الساعة. رأى السائق حركتي، أخذ يسرع السير. بقى من الوقت نصف ساعة لإقلاع الطائرة. وصلنا إلى إحدى القرى النائية. اقترحت عليه التوقف والسؤال عن طريق المطار. فجأة انهار تفاؤل الشاب، وأخبرنا أننا ضللنا الطريق لمسافة أربعين كيلومتراً.

لو حصل معي هذا الموقف في السابق، لكنت تأسفت على الفور. كيف سمحت لنفسي أن أرتبط بشخص آخر؟ وبما أننا منذ البداية خرجنا متأخرين، لذلك أخذنا نسرع في الطريق. وعندما يسرع الشخص يفقد السيطرة على الموقف. عندما تبدأ بالتأسف والقلق، وتوجه اللوم لمن وثقت به، ثم توجه اللوم لنفسك لأنك ارتبطت بذلك الشخص الذي تسبب بتأخرك، عندها سوف تزيد الطين بلة. الآن أرى التالي: إذا بدأت بالقلق، ذلك سوف يؤثر في السائق الذي بدوره سوف يزداد ارتباكه، ويهرع لزيادة سرعة السيارة.

عدلت من وضعية جلوسي على مقعد السيارة بشكل مريح أكثر؛ ثم ربَّتُّ على كتف السائق وخاطبته قائلاً: القاعدة الأولى: لا داعي أن تأسف على أي شيء. القاعدة الثانية: لا تسرع لكي نصل مبكرين. القاعدة الثالثة: لسنا نحن من يحدد كل ما يحصل. نحن نفعل ما هو بمقدورنا فقط، ولا نحمل أنفسنا ما لا طاقة لنا به. «أسمعنا شيئاً من الموسيقا». وصلنا إلى المطار قبل موعد إقلاع الطائرة بعشر دقائق. تمكنت من تسجيل وثائق السفر والصعود إلى الطائرة. وقد لاحظت أن حالتي النفسية والمعنوية كانت عادية. ولم أطِرْ من الفرح لأنني وصلت دون تأخير. مع العلم أنه لو حصل وتأخرت، لوقعت في الكثير من المشكلات. إنه إحساس ممتاز؛ عندما تشعر بالنشاط والطاقة العالية. لقد دفعت كل قواي إلى الوعي والتفكير بدلاً من صرفها على الإرباك والتخريب. وفهمت كيف يحقق الناس النجاح في حياتهم. من الضروري أن تتصرف بحكمة وبشكل صحيح في المواقف واللحظات الحرجة.

أثناء الكرب والتوتر الذي يحصل بالتزامن مع صرف الطاقة، يبدأ لاوعينا بالعمل. في تلك الحالة يعتبر الكرب حالة خطرة، لا سيما الإرهاق الحراري والجسدي الذي يكثر في سن البلوغ: مثل العشق، الحب الأول، الزواج، ولادة

الأطفال؛ كل تلك الحالات تترافق مع صرف كمية ضخمة من الطاقة. وكيف نرى أنفسنا في تلك الحالات يتبلور مصيرنا. إن جميع تجاربنا الفكرية والواعية تنضغط وتتحول إلى انفعال. إذا كان الانفعال الناتج عن التواصل مع العالم المحيط مستقراً وإيجابياً، وفي تطور مستمر. كذلك إن جميع عقائدنا التي نؤمن بها تتحول إلى انفعال. وذلك هو النمط الانفعالي الذي يعد إطاراً لردود أفعالنا أثناء تواصلنا مع الوسط المحيط. هذا النمط يحدد ويوزع الطاقة التي تحصل عن طريقنا.

إن غرائزنا عبارة عن أنماط مختلفة، من دون هذا التنوع في تقبل العالم يكون الاتصال العكسي غير فعال. بهدف التفاعل مع الحالات الناشئة، لا بد من توافر كمية ضخمة من المعلومات التي نحصل ثم نضغطها في نمط. إن أي معلومات هي عبارة عن أحداث تحدث على مستوى محدد من الزمن. من الضروري دائماً ضغط الحزم الضوئية إلى جزء من أعشار الثانية. حينها سوف يعيش النمط ويعمل. مع أن مثل ذلك الانفعال النمطي يعمل فقط لمدة جزء عشري من الثانية، لكن من أجل تشكيله يتطلب العديد من السنوات. مهما كان حجم المعلومات كبيراً، وكذلك المستويات الزمنية، فإن كل ذلك يكون مضغوطاً في جزء عشري واحد من الثانية. كل ما لا يتم ضغطه يتم إهماله. قد تكون كثافة النمط لدى أحد الأشخاص عالية جداً؛ أما عند شخص آخر قد تكون ضعيفة. لكن من الناحية الانفعالية قد يكون هؤلاء الناس متشابهين.

في المئة سنة الماضية، اعتبر الناس التطور عبارة عن تراكم المعرفة والتجربة، لكن من يقوم بالدور الأهم في ذلك هو الإدراك الذهني. إلا أن التطور في الواقع يكمن في غنى انفعالاتنا. لا يمكن ضغط المعلومات الفكرية. وأشياء مثل الشعر، والرسم، والمسرح، تساعد في تحويل الفكر إلى إحساس، وبالتالي تجعل تطور الروح البشرية ممكناً. إذا كانت النزعة الثقافية والدينية في المجتمع تضعف، فإن الوعي المتضخم لا يتحول إلى نقيضه؛ أي إلى الإحساس، بل يحاول تدميره. في الطبيعة لا يمكن أن تتم أنصاف عمليات. فأي عملية عندما تصل إلى مرحلة محددة، تتحول إلى نقيضها. فيجب أن يتحول الفكر إلى انفعال، أما الانفعال يجب أن يتحول لاحقاً إلى فكر. مع العلم أنه على المستويات العميقة، الفكر والانفعال

هما وجهان لعملة واحدة. يجب على الحياة أيضاً أن تتحول إلى نقيضها، أي إلى كائنات لا جسدية تعيش في عوالم أخرى. الموت في الواقع ليس نقيض الحياة؛ إنه الحد الفاصل بين شكلين لتكوين الروح.

يعكس قانون الوحدة وصراع الأضداد بنية الزمن. إن أبسط نموذج للزمن هو الحلقة. وكل عملية تتم وفق مخطط الحلقة تخرج من نقطة وتتحرك على القوس، إلى أن تصل إلى النقطة المقابلة، ثم تعود بالاتجاه المعاكس. بعد ذلك تعود إلى نقطة الانطلاق. النصف الأول من الدائرة يعاكس النصف الثاني. لذلك فإن أي عملية تحصل داخل الكون تكون ذا نزعتان متناقضتان: إحداها مرئية، والثانية غير مرئية. إن أي تراكم تقابله خسارة في المستقبل؛ وأي سعادة تقابلها تعاسة في المستقبل. كلما أكثرنا من تعظيم الخير، تحول إلى شر بشكل أسرع.

عندما تضخ النافورة الماء إلى أعلى، لا يلبث ذلك الرذاذ أن يعود إلى الأسفل. وكل من يحاول فصل المتناقضات عن بعضها، يعترض بذلك على مبدأ عمل النافورة وعلى مائها الساقط إلى الأسفل، ويعجبه الماء الصاعد إلى أعلى فقط. ولكي تتمتع بمشاهدة النافورة التي تزيّن الحديقة الخضراء التي تغمرها أشعة الشمس، يجب أن يعجبك منظر الماء الساقط، الذي يتطلب ببساطة ضرورة ضخ دفعات جديدة من الماء في وقتها المناسب.

تخيلوا فوارة الماء الحار: في البداية يخرج الماء من الفوار، ثم ينحسر إلى أسفل، لتعود الكرة من جديد. هكذا هي حياتنا. نحصل على دفعة من الطاقة الإلهية، تعمل على إغناء وتحسين حالتنا الروحية والمادية التي نتنعم بها. وما يلبث ذلك أن يتراجع تدريجياً. وهكذا اعتدنا على الأسف عند التراجع، أي عند الخسارة، ثم إيجاد المذنبين وتوجيه كرهنا إليهم. وهل من الضروري أن يستمر دفق ماء الفوار الساخن بشكل دائم، بحيث يتحول فوار الماء الحار إلى نافورة؟! هذا يعني أنه بدلاً من الأسف والحزن علينا أن نتعلم كيف نحب. الحب وحده ليس له نقيض. ومن يقول إن الكره نقيض الحب، يكون بكل بساطة عديم التفكير. الكره هو نقيض التبعية والعبودية. إن الذي يكره يريد التحرر من التبعية. أما العابد يريد الحفاظ على ما يعبده دون مساس. فالعبودية والكره على علاقة

وارتباط متين فيما بينهما. عندما تنعدم العبودية والتبعية لدى إنسان ما، ينعدم لديه الإحساس بالكره، ويصبح الكره شيئاً غير معروف لديه.

ليس للحب أي نقيض، لأنه متوازن ومستقر بشكل مطلق. قد تحصل بعض المتناقضات من أثر الحب، لأن الحب قد يمنح الإنسان السعادة والألم في وقت واحد. فالحب لا يمنح فقط، إنما يأخذ كذلك. وحدهم الذين يتمتعون بالحب يعيشون أصحاء وسعداء؛ أما الآخرين الذين يغوصون في بحور من الكره يتصفون بالتعاسة ولا يعمرون طويلاً. وعندما نتصور أن الحب هو نصف الدائرة، أي أن الحب هو فقط السعادة، والاستقرار، وتحقيق الأمنيات، نكون بذلك قد ابتعدنا عن جوهره، وحولناه من جديد إلى تبعية ينبثق من حناياها الكره.

إذا كان انفعال وعاطفة التواصل لدينا، ونمط التعامل مع الوسط الخارجي، الحب من طرف واحد، نكون بذلك قد ضَمِنّا لأنفسنا التعاسة والمرض والألم. إن العقائد الفاسدة والانفعالات الناتجة عنها تولد التفكير الفاسد والوعي المخرب المؤدي إلى اقتراف الجرائم، لأنها تشكل عاداتنا وطباعنا، ثم يتحول كل ذلك لينطبع في مصيرنا. إن الإنسان قد يتعذب ويتألم لعشرات السنين، وربما طوال حياته، بسبب تبعيته للكراهية. وبعد فترة من المرض المستعصي يستسلم للموت. لقد أصبح ضعيفاً خائر القوى. وفقد القدرة حتى على الكره، حتى إنه لا يستطيع أن يصلي، ليست لديه طاقة كافية لا لهذا ولا لذاك. إن الروح التائهة والفاقدة للقوة تشعر فجأة بالحب، وتبدأ بالتأسيس من جديد، وتصل إلى قناعة مفادها أن التبعية يجب أن تكون للحب وحده، وتحصل عن طريق ذلك على كمية جديدة من الطاقة، وتصبح بذلك على استعداد لحياة فادحة.

من جديد يعلو ماء نافورة الماء الساخن إلى الأعلى، ثم يتراجع الماء إلى أسفل. وكلما كانت عاطفة الحب الذي يشعر بها الإنسان كبيرة، استطاع أن يعوض عن السعادة المفقودة بسبب الألم، بحيث يصبح هناك توازن بين النقيضين (السعادة، الألم). بعض الناس يخشون منظر الماء الساقط، فيعمدون إلى الإقلال من ارتفاع نافورة المياه. البعض الآخر منهم يلجؤون إلى الحل بطريقة أبسط: الجلوس قرب البرك، حيث الماء هناك راكد، لا صاعد وساقط إلى الأسفل لعدم وجود نافورة.

ولكي ترتقي فوق اليمين واليسار، لا بد من التركيز على الحب، وكلما كان الحب قوياً لديك، استطعت أن تتغلب على أي عقبات أو متناقضات بشكل أسهل.

تظهر في مخيلتي أيقونة أم الله القازانية التي تبرز قمة السعادة وقمة الحزن في آن معاً. السعادة بسبب ولادة الطفل، أما الحزن فهو ناتج عن الإحساس بقرب صَلْبه. السعادة بسبب تمكنه من إنقاذ أرواح البشر، أما الحزن بسبب الشعور مستقبلاً بصَلْبه. لدى الكاثوليك تظهر في عيون مريم العذراء فقط السعادة، فقط السرور، بسبب تحقق غريزة استمرار النوع.

إن علماء النفس يؤكدون، أن الإنسان لا يستطيع أن يحس بعاطفتين متناقضتين في وقت واحد، من وجهة نظرهم هم محقون. هذا يعتبر عدلاً بما يخص الجسد وإذا اعتبرنا أن الإحساس النفسي هو أحد وظائف الجسد، يكون كل ذلك صحيحاً. لكن يجب ألا تنس أن للإنسان روح وجسد مرتبط بها، والأهم من ذلك، أن الروح غير ممكن أن توجد من دون محبة الخالق، وهكذا نعترف بأن الروح غير ممكن أن توجد من دون العاطفتين المتناقضتين.

إن الروح تستطيع جمع المتناقضات، فيها تكمن مرحلة تسمى الحياة، وفي الوقت نفسه توجد فيها مرحلة بدايتها ما بعد الموت. لكي تشعر بوجود الله، لا بد من الإحساس بعاطفتين متناقضتين في وقت واحد، لأن الوصول إلى حقيقة الخالق تأتي عبر المحبة.

منذ عدة أيام أحد حدثني الأشخاص: «إنني أشعر بالألم لرؤية الأطفال المرضى، وأتألم أكثر لعدم قدرتي على مساعدتهم».

- سألته: «هل تعلم إلى ماذا يفضي ذلك الشعور؟ في البداية سوف تجذبون المرض إلى أنفسكم. ليس بالضرورة شكل المرض نفسه، إن طاقة المرض لكل شخص تتحقق بشكل مختلف. وهكذا في البداية سوف تمرضون، بعدها الموت. ومن أجل الاستمرار في الحياة، سوف تصدمون بأمر آخر - وهو عدم الاكتراث والإهمال في العلاقات مع الناس، ثم تتوصلون إلى الصيغة التالية: اقترفوا الذنوب ليدفعوا الثمن. في الواقع إن الناس يسيرون وفق طريق آخر. يتألم البعض جداً من تعاسة الآخرين، ولكي يتمكنوا من الاستمرار في الحياة، يبدؤون بابتهاج من تلك

التعاسة. إن الأطباء الذين يشعرون بالشفقة الزائدة عن الحد تجاه مرضاهم، إما أن يمرضوا أو يموتوا باكراً أو يدمنوا على المشروبات الكحولية، أو يتحولوا إلى السادية المقنّعة. وهم يتألمون من الإهمال وعدم الاكتراث، ثم يتحولون إلى المال».

سألني محدثي: «ماذا علي أن أفعل، وكيف يجب أن أتعامل مع الأطفال المرضى»؟.

- «تتعاملون معهم بمحبة، كما والدة المسيح مع طفلها. عندما تشعرون بالشفقة تجاه الأطفال المرضى، سوف تقتلون الحب في أرواحكم، لأنه عندما يبدأ برنامج التدمير الذاتي بالعمل لديكم. وعندما تشعرون باللا مبالاة تجاههم، سوف تقتلون المحبة في نفوس الأطفال. ولكي تتمكن من تجاهل وإهمال شخص ما، يجب عليك أن تمنع نفسك عن الإحساس به، وتمنع نفسك من محبته والتوحد معه. من أجل ذلك يجب أن تجد مسوغاً، مثل الشك به، أن تقنع نفسك أنه إنسان سيئ، عندها فقط تستطيع أن تهمله وتتجاهله. يظن الجميع أن التجاهل والإهمال يحقق الراحة والسكينة، لكن في الحقيقية إن الأمر ليس كذلك. إن التجاهل قد لا يكون ملاحظاً من ناحية خارجية، لكنه يشكل اعتداء قوياً على أرواح الأناس الآخرين. عندما تفكر بالسوء عن شخص ما، فإنك تقتل الحب داخل روحه، لذلك وحسب لغة الكنسية والتي تقول: إن الأشخاص الذين لا يكترثون أو يهملون الآخرين يعتبرون مذنبين، وسوف يدفعون ثمن ذلك تعاسة.

وهكذا عندما ترون طفلاً مريضاً، عليكم أن تشفقوا عليه وتحبوه في الوقت نفسه. المرض هو عبارة عن آلية الاتصال العكسي بيننا وبين الخالق. ويأتي المرض عندما يحصل نقص في الحب داخل أرواحنا. في الأمس كان الحب كافياً، أما اليوم، فإن الحال قد تغير وأصبح مستوى المحبة داخل أنفسنا أقل وغير كاف. وفي مثل هذا الحال أمامنا طريقان: إما أن نمرض، وإما أن نتجه إلى الخالق وللحب. وهنا من يمتلك روحاً مفعمة بالحب، لا يلاحظ تغيير الأحوال، وإن حصل أي تغيير يكون مستعداً له».

أتابع كلامي: «وهكذا عندما ينشأ لديك إحساس بالألم فقط عندما ترى طفلاً مريضاً. عندما تعالج ذلك الشعور عن طريق تقديم المساعدة الجسدية فقط،

فإن ذلك قد يؤدي إلى الإضرار بروحه. والأفضل تقديم المساعدة إلى الجسد والروح معاً، وعندما تكون أرواحكم مفعمة بالحب، تكتمل مساعدة الطفل المريض عن طريق تقديم المساعدة الروحية. إن الحب يجعلك تهتم بالجسد والروح، وإذا كان بإمكاننا أن نساعد الجسد مادياً عن طريق الاهتمام، المساعدة، والمال، فإننا نستطيع مساعدة الروح عندما نحس بالحب بدلاً من الألم أو الإهمال. وعندما تشاهدون طفلاً مريضاً، وتشعرون من داخلكم بوجود رابط يربطكم به، فإن التركيز الداخلي لديكم على الحب والصلاة يعتبران أهم مساعدة له لأنهما يعالجان أسباب المرض».

أشرد التفكير وأمعن النظر في الشارع: السيارة مسرعة بما فيه الكفاية، لا توجد زحمة مرور. يقوم أحد معارفي بإيصالي إلى المحطة. لقد قرأ جميع كتبي، وهو يحضر الندوات، وعندما يقوم بإيصالي نتبادل وجهات النظر. أما في هذه المرة، إنه يلتزم الصمت، وأنا أيضاً مشغول بأفكاري. أي أن أي رحلة أو سفر عبارة عن تغيير في نظام الحياة الاعتيادي داخل الأسرة والمنزل، وابتعاد عن رقابة الحياة تلك. من الأفضل تجميع الأفكار، وإنشاء أنماط جديدة والوصول إلى تفكير جديد.

اليوم هو 29 تشرين أول عام 2006، ذهبنا مساءً إلى حضور مسرحية في مسرح تغانكا. كان حوار المسرحية من العصور الوسطى، ليس لدى التاجر الغني والكبير بالسن أطفال، لكن كان لديه امرأة جميلة وفتية، لقد وقعت في حب شاب وسيم. وضع كل من أبطال المسرحية أمام خيارين: أيهما أهم بالنسبة له: الحب أم الأخلاق؟ بالنتيجة على الحب أن ينتصر. في الحقيقة بدا ذلك الانتصار في المسرحية غير مقنع تماماً. على الأرجح لم يفهم المخرج والممثلون مغزى المسرحية بكاملها. وعلى الأرجح أن من انتصر هو العامل الجنسي، لذلك لم نلاحظ أن الأحداث الحاصلة قد تركزت في نقطة واحدة. على أي حال كانت المسرحية جيدة.

في الاستراحة تجولت في أرجاء المسرح. استوقفتني صورة لفلاديمير فيسوتسكي. إنه إنسان ذو شخصية موهوبة، عنيفة ومتفردة، حسن الأخلاق. ظهر ذلك جلياً في أغانيه أثناء الحرب. وإن أبطاله اتصفوا بشخصياتهم القوية التي لم

تخضع لأحد، ولم تشابه الآخرين. في الوقت نفسه كانوا على استعداد للتضحية بالنفس من أجل الآخرين، لقد كانوا يشعرون بآلام الآخرين من حولهم. وإن مفاهيم مثل التسامح، والاهتمام، والتضحية كانت أموراً طبيعية بالنسبة إليهم. إن كل من سمع أغاني فيسوتسكي ناله الإعجاب بالمستقبل المشرق، وانتقل بشكل بديهي لمحبة وتقبل الهدف الأساسي. بواسطة عبقرية ذلك الإنسان استطاع العلم والدين أن يتوحدا. إن الفردية والجماعية في شخصيته لم تلغ إحداهما الأخرى، بل ساعدت وأكملت إحداهما الأخرى للارتقاء والتطور. وإن غاية الفن هي تعليم الناس كيف يحبون، لقد تمكن فيسوتسكي من فعل ذلك.

أنظر من جديد إلى الشارع. إن الطقس اليوم ليس بالسيئ، إنه مثلج قليلاً. إني مسافر إلى مدينة سيفستوبل، حيث يكون الطقس أكثر دفئاً. «بكل تأكيد سوف أسبح هناك» قلت في نفسي. ثم شردت في التفكير للحظة، وقذفتني الذاكرة إلى طبقة أخرى من الزمن. أتواجد في إحدى المناطق التي توجد بها ينابيع الماء الحارة. إن الاستحمام في ينابيع الماء الحارة تساعد على التخلص من الشدات والإجهاد النفسي، إن الإجهاد العصبي عادة لا يكون ملاحظاً ويتطلب وقتاً طويلاً لكي يستعيد الإنسان قواه. ها أنا استرخي في المياه الساخنة متنعماً بسكينة واسترخاء تامَّين.

فكرت: «يجب التركيز على المحبة. إن المسيح هو أكثر من أجاد الحب. كل وصاياه موجهة للحفاظ على المحبة بشكل مستمر. ما مغزى قوله، «...لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً»[1]؟ إنها تدل على ضرورة حب الخالق والأقرباء. حتى في العهد القديم ذكر ذلك. إنني أعتقد أن العدوان حتى ولو كان الهدف منه الدفاع أمر غير مسموح به. حتى عندما تتعرض للأذية والألم، يجب عدم السماح للعدوانية في داخل أنفسنا أن تظهر». أستلقي في الماء وأقول: «أنا لن أعترض. سوف أتقبل كل ما يحصل لي. أنا لن أعترض على أي ألم أو حزن يصيبني». بالضبط هذا ما دعا إليه المسيح، هذا يعني أنني على صواب. أنا أعلم أن تكرار ذلك

1ـ العهد الجديد: متى (5: 39).

لمدة خمس أو عشر دقائق تصبح تلك العملية تطبق آلياً، ويتطلب فقط دعمها وتذكرها ولو نادراً.

فجأة يصل إلي أن عبارة «لن أعترض لم تعد تعمل! وبدلاً عن ذلك دخلت في حالة تتعلق بموت البشر. ما سبب ورود مثل هذه الأفكار إلى مخيلتي؟ اشعر أن ذلك ليس مصادفة، أتوقع أن يكون هناك ارتباط غريب. أنظر إلى حقل الطاقة لدي وأرى أربعة أو خمسة برامج للتدمير الذاتي. إذاً ماذا يحصل؟ إذا لم تدافع عن نفسك، تسمح بقتلها، وتقتل الآخر.

وردت إلى ذاكرتي آية من الإنجيل. عندما خان يهوذا المسيح ووشى به، وأتى الجنود لاعتقاله. قام الرسول بطرس بالدفاع عنه وأصاب أحد الجنود بسيفه وقطع أذنه. قف! من أين أتى السيف؟ وكيف يحمل تلاميذ المسيح السيوف؟ إنه استنتاج غير متوقع. لقد كان الرسل مسلحين جيداً، ليس فقط بالمديات والسكاكين، بل والسيوف أيضاً. إذاً إن المسيح لم يقصد الدفاع الجسدي، لقد عنى ألا نسمح للكره أن يسيطر علينا أثناء الدفاع عن أنفسنا.

أتابع استلقائي في الماء الساخن وأقول: «لن أدافع»، لكن لم أقصد فقط غياب الكره والظلم. هذا يعني أني لم أدافع عن نفسي لا خارجياً ولا داخلياً. عند ذلك ذهب برنامج التدمير الذاتي من حقلي. ألا يدل ذلك على ضرورة الدفاع؟ فجأة فهمت كل شيء. إن الدفاع أمر ضروري ومهم. والدفاع يجب أن يتم عن طريق الحب. أي إن الحماية العليا تأتي عن طريق اللجوء إلى الله، ففي لحظة التعرض للأذى والخطر يتم طرح كمية كبيرة من الطاقة، بالدرجة الأولى علينا أن نوجهها إلى المحبة وطاعة الخالق. وقسم منها يذهب إلى الدفاع الخارجي. عندما لا يكون لدينا في لحظة الخطر ذكر الله وانعدام الحب، أمامنا خياران: إما أن نقتل أنفسنا، أو نقتل خصمنا. وإذا أردنا الاقتداء بالمسيح الذي دعا لتبديل الدفاع الخارجي وتغييره عن طريق الدفاع الإلهي.

إن انعكاس الحفاظ على الحب وطاعة الله تسمح لنا ليس فقط أن نتغير، بل وتجعل الآخرين يتغيرون أيضاً. يجب أن نختار قرارنا في الموقف الذي نحن فيه في غضون ثوان معدودة.

يمكن الدفاع عن طريق طعن الآخر بالسكين، ويمكن أيضاً عن طريق إظهارها فقط، وكذلك بعدم إظهارها، مع قوة الكلام وحجة الإقناع. يمكن الدفاع داخلياً عن طريق طيبة القلب وفهم ما يجول في نفس الشخص الآخر. يمكن الدفاع عن طريق عدم السماح للأمور بأن تتطور لحد الصدام، وذلك عن طريق استخدام الصفات الداخلية للنفس. عن طريق الحب وطاعة الله، يستطيع الشخص أن يتغير ويغير وضع المستقبل. في حال تعرضنا للخطر والألم أو الظلم، وعندما نلجأ إلى الله ونعتصم بالحب داخلنا يمكن أن ننتصر. قد نخسر في تلك اللحظة خارجياً أو ظاهرياً، لكن في أعماقنا وفي الأفق نحن المنتصرون. إن الشخص الذي لم يعتد التفكير بالخالق والتوجه إليه محكوم عليه بعدم الصمود في الملمات والآفات العصبية، وسوف يكره نفسه والآخرين.

يعود بي الوعي من جديد إلى الحاضر. في هذه اللحظة أشعر بنفسي في وضع غير مريح: ازدياد كبير بالارتباط بالسعادة البشرية. إني أنظر إلى المستويات الرفيعة وأرى أن قرائي في المستقبل يتعلقون بمعلومات قد تضرني. فكرت في نفسي: «لذلك لا داعي للسرعة في إنجاز الكتاب، لذلك من الأفضل أولاً التخلص من المرض، وآثار مقابلة الناس، وإلقاء المحاضرات والكتابة. وبعد عيادة المرضى من الضروري لي إعادة تجميع قواي. من الطريف أن التطهير يحصل آلياً ولا تسمح للدرن أن يصل إلى الداخل. وبعد إلقاء المحاضرات يحصل الشيء نفسه أيضاً، وهذا مفهوم. لكني لم أتوقع أبداً أن تأتي الخطورة من تأليف الكتاب. لذلك إن المنقذ الوحيد يكمن في وضع معلومات داخل الكتاب، بحيث يغيب دوري بالنسبة إلى القارئ، لكي تظهر الإرادة العليا للخالق في كل شيء، إلا أنني لم أتقن ذلك تماماً.

في البداية تظهر الوحدة مع هذا العالم. عندما يشعر القراء بإمكانية الشفاء، يتعلقون بي في المستويات الرفيعة. عندها تنزلق روحي مبتعدة عما هو إلهي إلى البشري. في تلك الظروف لا أحتمل عملية التطهير، لذلك يحصل طرح الطاقة باتجاه آخر، والتي تنقسم إلى نصفين: الغيرة والغرور. أيضاً إن المحبة البشرية تنقسم إلى تيارين. تظهر الغيرة عن طريق: الرغبات، والمثل العليا، والمستقبل. إن الغرور

يظهر عن طريق: الإرادة، والإدارة، والقدر. في الحقيقة لا أستطيع أن أتحمل دمار الحب الإنساني، ولا انهيار ودمار المستقبل. لذلك على الأرجح أشعر بألم في الكتف.

- فكرت: على الأرجح إن ذلك حصل في الأمس.

يستمر صديقي في صمته وهو يقود السيارة.

- فكرت: ربما هو أيضاً يعاني من شيء ما. بالنسبة لي الأمر مفهوم، تعطل في الأعمال، أما بالنسبة له ما الأمر؟

أتمعن في حقل طاقته، وأرى الكثير من المشكلات الجدية. يوجد العديد من برامج التدمير الذاتي لديه، وهي فوق المستوى الخطر بثمانية أضعاف، على ما يبدو لا يستطيع تحمل انهيار المستقبل والمثل.

- أسأله: كيف الحال؟!

- يجيب هو: على ما يرام.

- أليس لديك مشكلات؟

- على الأرجح لا، كل الأمور تحت أو فوق الوسط.

- قلت: لمعت لدي فكرة غير متوقعة. لقد تحدثت عن أحد القوانين الطريفة، إنه قانون التوازن. أي إن أي معلومة نستطيع استيعابها، عندما تضغط في نقطة، نمط. ما هو النمط الذي ينشأ لديك عندما تقرأ كتبي؟

بعد برهة من التفكير قال مرافقي:

- التسامح.

- أي عندما تسامح الآخرين، تشعر بحالة صحية جيدة، وتصبح جميع أمورك على خير ما يرام، هذا ما تقصده؟

- هذا ما تقولونه دوماً، إن المهم هو التسامح والرضا بالقدر.

- ولماذا يجب أن نسامح؟

- أعتقد أنه لكي لا يحصل عداء.

- ومن أجل ماذا أيضاً؟

- لكي نحافظ على الحب.

إذاً إن الهدف هو الحب، وليس التسامح. نسامح نحن الآخرين، لكي نحافظ على الحب داخل أرواحنا وأرواح الآخرين. ونعاقب أيضاً حفاظاً على الحب. علينا دائماً أن نسامح من داخل أعماقنا، لكننا أيضاً من الخارج يجب أن نعاقب في أكثر الأحيان لكي نحمي الحب ونحافظ عليه. أما درجة العقاب، فإنها تتعلق بمدى استعداد الشخص لتغيير ما بنفسه. انظر كيف يتعامل معنا الخالق، إن من يلتجئ إليه بنيّة صافية ومحبة خالصة، يبعد عنه الأمراض والتعاسة. أما من لا يريد تغيير ما بنفسه، يعاقبه الله. إن آلية التطور مبنية على الشكل التالي: إذا كنت مذنباً ولا تريد تغيير ما بنفسك، عليك إذاً أن تصاب بالمرض. بعد ذلك إن لم تستطع أن تتغير، انتظر الموت. لذلك إن تكرار العقاب أمر ضروري، وإن الهدف من ذلك ليس الانتقام، بل مساعدة الإنسان لكي يتغير نحو الأفضل، لذلك إلى جانب العقاب يجب أن يتواجد الحب دائماً. ولذلك إذا كان نمط التسامح العائد لك مترافقاً مع الحب، عندها بدلاً أن تضغط في داخل نفسك طاقة، وتتقبل الموقف على الرغم عن إرادتك، سوف تستخدم الحب وتغيير الوسط المحيط، وفي الوقت نفسه سوف تغير ما بنفسك نحو الأفضل.

- قلت له: أقول لك بصدق: إن الوضع لديك صعب. أردت في البداية أن أصمت وألا أتدخل في أمورك الشخصية ومشكلاتك، لكني لم أرغب أن يحصل لك مكروه بسبب صمتي وعدم تدخلي. بالمناسبة ألم تتعرض إلى مواقف كانت حياتك بها مهددة؟

- نعم، منذ مدة قصيرة تعرضت إلى حادث سير خطر. في إحدى المرات أردت أن أخفف من سرعة السيارة، لكن بالمصادفة ضغطت على دعسة البنزين بدلاً من دعسة المكابح، فدخلت في منطقة الاتجاه المعاكس من الطريق، وكدت أن أصطدم بسيارة مسرعة قادمة باتجاهي، لكنه تم تفادي الأمر بأعجوبة.

- ألم تتمعن بما حصل؟

- لا - أجاب.

- بالمختصر - قلت له - اعترف لي. منذ مدة قصيرة واجهتك مشكلة معقدة، لم تستطع تحمل انهيار المثل.

يهز رأسه بالإيجاب.

- لا أعتبر أن ما واجهته هي مشكلة كبيرة، لكن ببساطة، إن أحد الأشخاص تصرف معي بشكل غير لائق.

- قل لي ما الأمر؟

- وقع أحد الأشخاص الذين أعرفهم بمشكلات جدية، قمت بمد يد المساعدة له. واتفقنا أنه في المقابل عليه مساعدتي عند الحاجة، لكنه الآن يتجاهل الأمر. والآن ومنذ عدة أيام أنتظر صحوة ضميره. وأنا سامحته.

قلت: الآن أصبح كل شيء واضحاً. أن تنتظر؛ هذه تبعية. كلما طال انتظارك له أكثر، ازدادت كراهيتك له أو لنفسك. إن هذا الانتظار هو هدر للطاقة. اتصل بذلك الشخص، وأخبره بما تريد. أبداً لا تكبت المواقف الظالمة داخل نفسك، إن ذلك يتحول إلى انتحار. إن الشخص الذي ينكر الجميل يجب معاقبته، وإذا رغبت لا مانع من أن تقسو عليه بالكلام وتضغط عليه، هذا يساعد في تربيته. ما هو مغزى العقاب؟ إن الشخص الذي ينسى الله ويتجاهل الحب ويصبح عبداً لمصالحه المادية، هذه النزعة تودي به إلى سلوك طريق الغش والخداع والسرقة. ولكي تساعده لا بد من الضغط عليه بهدف كبح رغباته ورفاهيته. إن ذلك التأنيب يقوم بدور المرض الذي يعيده إلى الحب، وإلى الله.

- أجاب رفيقي: أنا لا أستطيع معاقبته.

- على كل الأحوال، أخبره بوجهة نظرك وتلقى رده، وتصرف وفق ذلك مستقبلاً. أما النتيجة فهي بسيطة: ممنوع مساعدة الأشخاص الجاحدين. لكن من الأفضل التقليل من مساعدة الجسد، والإكثار من مساعدة الروح. إن تقديم المساعدة إلى الإنسان الجاحد، وبالتالي الحسود والبخيل، ممكن أن تؤدي إلى الانتقاص من إمكانياته. وهذا قد يبدو ظاهرياً كعقوبة له.

تذكر قول المسيح: إن من يجب إنقاذه هو من يطلب المساعدة لكنه لماذا بعد ذلك قال: «...لاَ تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ...»[1]؟ إن المساعدة الأهم في تقديم

1- العهد الجديد: متى (7: 6).

المعلومات. يجب أن تكون نوعية المساعدة حسب الشخص. والمساعدة الأهم: هي في توجيه الشخص إلى طاعة الله، وهذا هو مغزى التربية. عندما تنتظرون صحوة الضمير لشخص ما، عندها ترفضون مبدأ التربية، ومنح الطاقة والحب أيضاً. إن التربية هي بالدرجة الأولى محبة، ثم تأتي المكافأة والعقوبة، والتقيد والدعم.

أثناء تعاطيك مع الوسط المحيط، يجب أن تكون حاضرة لديك فكرة التربية، أي تبادل التأثير بينك وبين الوسط المحيط. يوجد في لاوعينا موقفان فقط: إما على الشخص أن يتغير، أو أن ندمره. عندما نقرر أن ذلك الشخص لا يمكن تغييره أو تربيته، تعمل في لاوعينا انفعالات الحقد والإدانة والإذلال، محاولة تدمير ذلك الشخص.

إن أي تواصل يحدث مع شخص آخر هو عبارة عن وتربية. لكي نتقبل معلومات جديدة، يجب أن نتغير. عندما نمنح الشخص الآخر الطاقة والاهتمام، علينا في المقابل أن نطلب منه أيضاً الشيء نفسه. عندما نتصف بالغيرة على الآخرين ومحبتهم وتقديم النصيحة لهم، الأحرى بنا أيضاً أن نغرس هذه الصفات في طباع الآخرين ونربيهم عليها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وإذا كنت سعداء، علم الآخرين كيف يكونون سعداء.

تقترب السيارة من محطة القطار، أنزلنا الأمتعة منها. انشغل مرافقي ببعض الأعمال الخاصة به: كان عليه مقابلة أحد الأشخاص والتحدث معه.

عندما عاد، شعرت أنه حدث لديه تغير غير متوقع. عندما شخصت عدائيته في اللاوعي شعرت بالاندهاش. إن صورته أصبحت نظيفة تماماً. ولم يعد هناك وجود لبرنامج التدمير الذاتي لديه.

أتى مرافق إلي وخاطبني:

- بالمناسبة، لقد اتصلت بذلك الشخص، وأوضحت له موقفي. أجاب أنه يريد مقابلتي والتحدث معي بصدق ومحبة.

- قلت مخاطباً إياه مبتسماً: إن عملية التربية قد بدأت.

- من الأفضل أن تبدأ في وقت من الأوقات.

نقلنا الأمتعة إلى عربة القطار. بعد مدة من الزمن جلست في المقعد المخصص لي أراقب عبر النافذة نزول وصعود المسافرين. فكرت أنا: «إذا كان أي موقف

يقودنا إلى الله، فإن ردة الفعل على أي حدث يجب أن تكون عن طريق الحب. وما حال الضمير الذي يعذبنا بسبب الجرائم المقترفة؟ إن الشخص الذي ضميره حي يجب أن يأسف على تصرفاته.

توصلت الآن إلى قناعة أن النظرة الشكلية إلى الأشياء توضح نصف الحقيقة. إن الضمير يجب أن يعذب النفس عند ارتكاب المعاصي، لكن الطاقة المتحررة يجب ألا تصرف على الأسف والندم، لأن الندم عبارة عن دمار خفي للنفس واعتراف بعدم القدرة على التغيير. يجب أن تتحول الطاقة إلى شرارة لتحرير المحبة، وهنا يكمن مبدأ التغيير، والذي يمنع تكرار الخطأ. ولكي نعمل لصالح أنفسنا يجب علينا أن نتغير؛ لكي نتغير نحتاج إلى الطاقة؛ ولكي تتوافر الطاقة، لا بد من الاعتماد على الحب؛ ومن أجل الاعتماد عليه، لا بد من رؤيته في كل موقف وكل حال باعتباره سبب وهدف ونتيجة.

أنظر عبر نافذة عربة القطار وأشاهد لوحات من المناظر الطبيعية التي أخذت تغيب عنها الشمس، الآن أرى عالماً آخر وأدركه بشكل مختلف. فكرت: «نحن نرى عالم روحنا. إن الرؤية الحقيقية لم تعد تتعلق بالشكل، وإذا كانت مشاعر الحب الدائم، فإن العالم القديم سوف يختفي وسوف يظهر مكانه عالم جديد تماماً». أستلقي على المقعد وأعزل نفسي شيئاً فشيئاً عن كل ما حولي. من المتع كيف سوف أرى هذا العالم غداً؟

الوحـــدة

إن الكون واحد. نشأ من نقطة خارج نطاق الزمن، وما تزال نقطة. أما ما حلّ بالزمن، فقد انقسم إلى تيارين. إنه ينمو ويتطور ويسعى للعودة إلى الحالة الابتدائية. إن أي سيرورة تحصل في هذا الكون تكرر دورة تطورها، أي إنه في هذا الكون تجري سيرورتان: الزمن ينقسم إلى تيارين؛ تنشأ قوتان كامنتان؛ يحصل بدء في الحركة؛ يتولد الفضاء والمادة، ثم تبدأ عملية ضغط الزمن.

عندما تضيء النجمة، ذلك ينتج عن طرح كمية هائلة من الطاقة. إنها تحاول ضغط الزمن. كلما كانت كمية الطاقة الصادرة كبيرة، حصل انضغاط قوي للزمن. إن نمط تصرف أي عنصر من الكون، سواء كان حياً أم جماداً، هو عبارة عن سعي للانضغاط، ثم إيقاف الزمن. وأوضح مثال على ذلك تلك النزعة التي تظهر في الكائنات الحية. إن الحياة ذاتها عبارة عن رمز لاتحاد تيارين من الزمن. عندما تنعدم الذاكرة لدى الكائن الحي، وليست لديه التجارب الكافية، فإن تأقلمه مع الوسط المحيط يكون غير ممكن. إذا كان الكائن الحي غير قادر على الإحساس ومحاكاة المستقبل، فإن فرصه في الاستمرار في الحياة تكون شبه معدومة. إن تجارب الماضي ضرورية لنا للتنبؤ بالمستقبل. بالإضافة إلى التنبؤ يوجد الحدس والبديهة، والتي تساعدنا عندما لا تسعفنا خبرة التجارب الماضية.

عندما ننظر إلى الشجر والنباتات نقول: «إن الشتاء هذا العام سوف يكون بارداً»، دون أن نفكر بأن النباتات والحيوانات بحدسها تسبقنا في التنبؤ بذلك. في تايلاند عندما ضربت موجة هائلة الشواطئ وأغرقت الناس كانت الحيوانات قد أخلت المكان وغابت. لم يهلك أي حيوان بسبب ذلك. إن الناس الذين كانوا يمتطون ظهور الفيلة، لاحظوا بشكل مفاجئ أن الفيلة غيرت وجهتها باتجاه الغابة وأخذت تسرع الخطا، وعلى ظهرها الأشخاص الذين نجوا بأعجوبة بفضلها.

كان أولئك الأشخاص مذهولين من الرعب، ولم يفهموا شيئاً. لكنهم فهموا مؤخراً من الأشخاص القلائل الذين بقوا على قيد الحياة أن الحيوانات، واعتماداً على تجاربها، عرفت بحدسها أنه في مكان ما حصل زلزال. وكذلك إعصار تسونامي الهائل الذي غمر الشاطئ، شعرت به الحيوانات بحدسها. أي إن الحيوانات استطاعت ربط تياري الزمن بحكم تطورها القوي في هذا المجال والإحاطة بهما وضغطهما في نقطة واحدة والإحساس بما قد يحصل.

الآن، وفي جميع أنحاء العالم، تتعرض نظريات دارون للنقد، وذلك لأن الكثير من المفاهيم والوقائع أصبحت أكثر وضوحاً وفهماً. هناك أنواع جديدة من الحيوانات والنباتات تظهر فجأة، متخطية مراحل التطورات السابقة. إن التغيير التدريجي لدى الحيوانات والطيور يحصل بهدف تحسين قدرة التأقلم مع الوسط

المحيط، لكن شرح ظهور أنواع الجديدة عبر التطور لم يثبت مصداقيته. لن تتطور القرود لتصبح بشراً على الإطلاق. وهاهم الناس الآن يفصحون دون مواربة ويقولون: «نحن لا نثق بنظرية دارون؛ جميع الكائنات خلقها الله».

إن الجنين الإنساني في مختلف مراحل نموه يمتلك غلاصم، وكذلك ذيل. في شهور نموه الأولى يمر بمختلف مراحل التطور. إنه يحمل في ذاكرته معلومات عن جميع مراحل التطور، حتى لمرحلة تطور الكائن ذي الخلية الواحدة التي ظهرت على الأرض. يبدو أن النظرة المتعلقة بتلك المعضلة لا حل لها، لأن الناس لا يفكرون بالشكل الصحيح: إن الماديين اعترفوا بنظرية التطور لدارون؛ أما المثاليين، فلقد اعترفوا بنظرية الخليقة، وأن جميع المخلوقات خلقت من قبل الإرادة العليا.

إن وعي الإنسان المادي يستطيع فهم إحدى التيارين الزمنيين. كل ما يعترف به هو التجارب الماضية؛ هذا كل شيء. هو يرى أن التقدم المادي يتطور باستمرار ويتغير، وأعلى هدف يصبو إليه هو المستقبل المشرق. أما النزعة المثالية ترى العالم كله باعتباره انحطاط الخليقة الإلهية الأولى. إن الروح أيضاً تنحط داخل الجسد. كل ذلك يحصل وفق إرادة الخالق. والمستقبل سوف يكون محزناً ومأساوياً، وذلك كون كل شيء يسير باتجاه الانحطاط. والنهاية واحدة: التفسخ. بعدها سوف تتشكل المحكمة الإلهية، ثم يعود كل شيء إلى بدايته الأولى.

بالنسبة للإنسان المادي، إن مفاهيم مثل القدرية والتنبؤ هي عبارة عن أصوات جوفاء. أما المثاليين فإنهم يعتبرون أن المسلمات العلمية، ولا سيما ما يتعلق بالإنسان منها، تبدو غير معقولة أبداً. وإذا كانت الروح غير موجودة، وإذا كان الوعي هو أحد وظائف الجسد، فكيف يمكن تفسير تشابه الأجساد حين يكون الوعي والتفكير مختلفان بشكل تام؟ وكيف تلد الأم الواحدة أطفالاً مختلفين كلياً؟ يمكن طرح هذا السؤال البسيط على أي عالم: حسب نظريات نشوء الأرض، الأرض هي عبارة عن جرم سماوي برد من الزمن. أغلق الإبريق بالغطاء الخاص به وضعه على النار. طالما هناك طاقة سوف يهتز الغطاء تحت تأثير ضغط البخار. حين تنطفئ النار، وعندما ينتهي تدفق الطاقة سيتوقف اهتزاز الغطاء. إن الإبريق الفاتر تنعدم فيه العمليات العفوية، لذلك يجب ألا تحدث أي زلازل على سطح الأرض.

الأرض يجب ألا تتوسع، بل يجب أن تتقلص. مثل هذه البراهين والحجج يمكن إبرازها بشكل واسع جداً.

إن تناقض الشرق والغرب لا رجعة فيه، وهو مستمر حتى يومنا هذا، وذلك لأن محبة الروح غير كافية، والاستيعاب الإلهي ناقص. عندما تتغذى بالحب وتحاول الحفاظ عليه داخل روحك بشكل دائم، عندها فقط يمكنك أن تفهم أن أولئك وهؤلاء على حق. إن الحقيقة الكاملة تجمع المتناقضين الاثنين.

حبات البذار تطير من المستقبل إلينا في الحاضر. كثافة المعلومات عن الوسط المحيط في تلك البذور هي العليا. إن أي حضارة تعيش وتتطور ويكتمل نموها، لكن من دون ذلك البذار الذي يأتي من المستقبل حاملاً المعلومات، لا يمكن الاستمرار في الحياة، وسوف تخبو سريعاً ثم تموت. هذا يحصل دائماً: لقد فنيت أقوام ودمرت مدن وحضارات، كذلك انقرضت أنواع عديدة من الحيوانات والنباتات. إن الحركة لا يمكن أن تحصل عندما يتواجد كمون وحيد فقط. مهما كان المستوى الحضاري عالياً يكون أساس تكوينه تفاعل تيارين من الزمن. ومهما تكن الأرضية التي تنشأ عليها حضارة ما غنية ومعطاءة، فإنه من دون البذار الجديد الآتي من المستقبل، ستكون تلك الحضارة عديمة المستقبل. نشأت الأديان الجديدة من بذار رجال المستقبل الذين خاضوا التجارب الباطنية. إن الاتصال القليل الأمد مع الخالق سمح بتحسس وحدة الماضي والمستقبل، مما ولد دفعة قوية لمزيد من التطور.

من وجه النظر العلمية، للعبارة التي سمعها إبراهيم من باريه «...وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيراً كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ...»[1] لا قيمة لها. وأي عالم سوف يعترض على ذلك، لأنها غير ممكنة التحقيق. عندما ندرس تاريخ الأرض سوف نرى عملية مخالفة تماماً: كانقراض بعض أنواع الكائنات الحية. في الماضي عاشت على الأرض أعداد كبيرة من الشعوب والأقوام. أخذت تلك الأقوام تفنى مع الزمن، وأخذت أعدادها تقل. الآن، وكل يوم على الأرض، يشهد انقراض عشرات

1ـ العهد القديم: التكوين (22: 17).

الأنواع من الكائنات الحياة والنباتات. هذه النزعة لم تتغير وما تزال مستمرة. إن العلماء الموضوعيين الذين يحللون الأمور بموضوعية، يعلمون تماماً أنه عما قريب سوف تنقرض معظم الكائنات الحية عن سطح الأرض، ما عدا الجنس البشري الذي سوف يبلغ تعداد أفراده على الأرض نحو 20 مليار نسمة. ومن الصعب التكهن بقدرتهم على الاستمرار في الحياة مع الاستنزاف غير المنضبط للموارد الطبيعية، التي كانت غنية. يبقى أن نسأل سؤالاً: هل نشأت أقوام جديدة بعد إبراهيم؟ نعم نشأت.

إن اليهودية أسست لبناء إنسان جديد. وقد انتشرت في أرجاء العالم، ومهدت لنشوء المسيحية والإسلام. وأتاحت إمكانية ظهور ثقافات جديدة وأقوام جديدة، لأن مقومات الشعب الواحد هي بالدرجة الأولى الدين والثقافة، ثم اللغة ولون البشرة والعادات.

يتمتع الشعب الواحد بمقومات الوحدة الداخلية. إذا لم تتوافر تلك المقومات، فإن الشعب يتفكك إلى أقوام وعشائر متفرقة. إن أي كائن حي ينمو ويتطور وفق مبدأ الوحدة. وأعلى مستوى من التوحد وأعلى كثافة من المعلومات تكمن في حبات البذار. تماماً كما الشجرة: عندما تنمو وتكبر، وعندما تصل في نموها إلى الحد الأعظمي، يبدأ مستوى التوحد بالانخفاض؛ وعندما يصل إلى ما دون حد معين تبدأ الشجرة باليباس ثم الموت. يمر الإنسان بهذه المراحل نفسها. ووفق هذه المراحل تنمو المجتمعات والدول، ثم تشيخ وتموت.

من أهم الشروط الواجب توافرها للإنسان، المستوى العالي للطاقة الداخلية. كلما كان إيمان الإنسان بالخالق كبيراً، مع عدم كبح عاطفة الحب لديه، تمتع بطاقة داخلية وتوحد وانسجام أعلى، وهذا بالتالي يزيد من انضغاط الزمن لديه، مما يجعله يتغذى ويشعر بشكل أفضل. أما عندما يفقد الإنسان إيمانه بالله بسبب عبادة المتع والشهوات الجسدية، عندها يصبح مستوى الطاقة الداخلية لديه منخفضاً، مما يؤدي إلى المرض ثم إلى الموت.

إن الإنسان المؤمن والأخلاقي يعمر أكثر من الإنسان البخيل والحسود والشهواني. غالباً يعلن الإنسان إلحاده لكي يتحرر من القيود التي تقيد إرادته وتمنع

الكثير من متعه. إن فساد الرغبات والأهواء للشخص الملحد تنتشر لتعم نواحي سلوكه كافة، فيظن أنه حقق جميع أهدافه. لكنه إذا امتلك الإحساس بالمستقبل والتوحد مع أحفاده، عندها سيشعر أن سلوكه يؤدي إلى إلحاق الأذى والدمار بمستقبل أولاده.

إن الإنسان الأخلاقي هو ذلك الإنسان الذي يشعر بوحدة المصير مع الناس الآخرين، ومع المستقبل. لذلك نرى أن التفكير الاستراتيجي لديه متطور؛ وأنه يتمتع بقوة الحدس، وبالقدرة على التنبؤ بالمستقبل. إن مثل ذلك الشخص يعمر طويلاً، ويعيش أحفاده أصحاء من دون أمراض.

قرأت في إحدى الكتب قصة مدهشة تتحدث عن شخص أصبح ملحداً. هذا كان مع بداية القرن العشرين. أتى الشاب إلى الخوري وأخبره بأنه ملحد ولا يعترف بوجود الله. لم يقم الخوري بإدانته أو توجيه اللوم له، لكنه طلب منه أن يتذكر متى بدأت تراوده الأفكار الأولى بعدم وجود الخالق. عندما عاد الشاب إلى المنزل، أخذ يعود بذاكرته إلى الوراء. وفجأة تذكر أنه عندما كان عمره 6 سنوات كانت أمه تعطيه يومياً قرشين: قرشاً لمصروفه الشخصي، والقرش الآخر لكي يتصدق به على الفقراء المتواجدين قرب الكنيسة، لكن الطفل أراد أن يشتري لعبة، وشعر بتوق شديد لذلك، إلا أنه لا يملك نقوداً كافية لشراء اللعبة، رغبته كانت جامحة لاقتناء اللعبة، عندها فكر بأنه إذا لم يعط القرش إلى الفقير الأعمى يومياً فسوف يدخر قرشين يومياً. وهكذا مرّ يومان، ولم يتصدق على الفقير الأعمى، بعد ذلك ظهرت لديه فكرة جديدة: لماذا لا يسرق قرشاً من الأعمى!

وهكذا بدأ الطفل بالسرقة، لكنه كان عندما يدخل على الكنيسة يشعر بضيق في صدره، وبأن حالته سيئة، وينتابه الخجل وتأنيب الضمير، لذلك أخذ يختلق شتى الأعذار لكي لا يذهب إلى الكنيسة، وعندما أخبره أخوة الملحد أن لا وجود للخالق، شعر فجأة بالراحة وتخلص من تأنيب الضمير. لقد شعر أنه يستطيع أن يفعل ما يريد دون خوف من الله، فلا داعي لكبح النفس. وسار على هذا الطريق.

إن الفساد محبب، والبناء مؤلم. يجب نسيان الضمير، وإخضاع النفس لرغبات وأهواء الجسد. وهكذا يصبح الملحدون منغمسين أكثر فأكثر في

انحطاط وفساد النفس. عندما يتم تخريب التوق الداخلي مع الوسط المحيط، تصبح المسؤولية الداخلية عن الوسط المحيط شبه معدومة، بالتالي تصبح الحياة أكثر سهولة وبساطة.

إن الكمون الروحي الكبير جداً الذي ادّخره السوفييت في أنفسهم، كان بسبب التفكير الجماعي. لكن الاشتراكية التي حاولت قهر ذات الإنسان وسحق شخصيته ارتدت عليها وأصابتها في مقتل. إن التطور محكوم عليه أن يحصل بوجود اثنين من المتناقضات. كذلك إن الانحياز إلى أحد المتناقضين أمر غير مثمر، فكم من الوقت تستطيع الوسطية أن تصمد؟

إن النزعة الفردية تمت تقويتها في الحضارة الغربية؛ أما الاشتراكية فقد احتوت على بعض المتناقضات الخاصة بها، لكنها حققت الكثير من الإنجازات في عصر ازدهارها. وبعد انهيار الاشتراكية حصل رجوع مميت إلى الوراء، عندما حاولوا تقليد القيم الغربية، وأدى ذلك إلى فساد وانحطاط مريع في القيم والأخلاق، لم يعد الناس يشعرون ببعضهم بعضاً.

إنني غالباً أخاطب المرضى: «إن أحاسيسك الآن هي الجسد ومصير طفلك في المستقبل». في الظاهر يعتقد الجميع أنهم يفعلون ما في وسعهم لصالح أولادهم، لكنهم في الواقع يدمرون القيم والأخلاق ويعتدون على القوانين. إنهم في الحقيقة يقتلون أطفالهم ويقضون على نسلهم.

المساواة؛ إنها مفهوم مادي للوحدة. عندما تتوافر المحبة في الروح المترافقة مع محبة الخالق، تتوافر الوحدة الروحية بين الناس، وتظهر على شكل وحدة دينية، وتمسك بالأخلاق والثقافة. إن الوحدة المادية لا تسمح للفقير بأن يموت من الجوع؛ ولا تسمح للغني أن ينحي رأسماله من دون ضوابط، ثم يموت ليس جسدياً، بل روحياً. وهكذا سوف تبقى الفروق بين الناس، لكنها لا تصل إلى درجة الخطر الذي يؤدي إلى الانحطاط والتفسخ. يبدو في الظاهر أن الاختلاف في مستوى الحياة المادية بين الناس، يمكنه أن يؤدي إلى دفعة التوحد الداخلي وتقويته. كذلك يبدو في الظاهر أنه عندما تقوى الأزمات بين المتناقضات، تجبرها أكثر على التوحد. وفي حال حصول ضعف في العوامل الموحدة ينتج عن ذلك أن المتناقضات تقوم

بتدمير بعضها البعض، أو تنقطع الروابط بينها؛ وهذا يؤدي إلى توقف التطور والنمو.

إن أكبر المتناقضات في الكون تلك التي بين الماضي والمستقبل؛ تيارَي الزمن. إنهما متوازنان بشكل دائم بواسطة الحب الآتي من الخالق، وهذا يحافظ على وحدة أرجاء الكون كافة. في أي عملية تحصل ينعكس ذلك على الكون بأجمعه! إذا كان لدى مجموعة من الكائنات الحية مستوى عال من التوحد، مع انعدام الاختلافات الظاهرية، عندها سوف يستمرون في الحياة، لكن من دون تطور، كما هو حاصل لدى النمل. أما إذا خرجت الاختلافات خارج حد معين، عندها فإن التوحد ينعدم، وقد يحل الانحلال في المجتمع، وقد يفنى.

إن التربية الوطنية عامل فعال لزيادة الوحدة واستمرار حياة الدولة. يكمن مغزى الوطنية في التالي: إن الإنسان يجب أن يشعر بنفسه متوحداً مع شعبه وبلده. وعندما ينوي سرقة شعبه ويتصرف بشكل خاطئ، سوف يجلب الضرر لحاضر ومستقبل بلده. وإذا كان شعوره الوطني عالياً سوف يرفض فعل ذلك. إن الشعور العادي والطبيعي بالوطنية يمكنه أن يفعل أكثر من مجرد إطلاق الشعارات والكلمات الرنانة. لا توجد أي قوانين أو عقوبات صارمة تستطيع أن تمنع أي شخص من ارتكاب الجرائم؛ هذا إذا كان عديم الأخلاق. ولا توجد أي عقوبة تستطيع إيقاف شخص روحه خالية من الحب من ارتكاب أي عمل شائن، لا سيما إذا لم تكن لديه قطعة خبزة تسد رمقه.

إن التوحد الخارجي هو الخضوع التام للنظام والقانون والمبادئ والقواعد العامة، وهذا يؤدي إلى التخريب الداخلي وفقدان الطاقة، وتوقف التطور. إن تقيد الإنسان الصارم بالنظام في جميع نواحي الحياة يؤدي إلى خبو شخصيته، وذلك قد يؤدي إلى الشذوذ الجنسي والعقم. إن الفساد والانحلال الجنسي يدمّر طاقة الإنسان كما الظلم والكبت والاستعباد.

لقد أدت العفة، وتحسن الطاقة الجنسية، وتحويلها إلى المجال الروحي، الدور الأعظم في تطور الفن والثقافة في المجتمع والدولة السوفيتية. أما تراكم الطاقة، مع تحديد الملكية الخاصة، والانغماس في الجنس، جعل المجتمع بعد

العهد السوفييتي يقطع بسرعة مراحل التفكك الداخلي والاقتراب من حافة الهاوية، والبدء بمرحلة البناء الأخلاقي الجديد.

إن كبح اثنتين من الغرائز الأساسية أعطى قوة دفع كبيرة في اللاوعي للتقرب من الله، وللتطور الروحي. عندما يتعذب الجسد تكون الروح معافاة. هذه الحقيقة مستقاة من الكتاب المقدس، وكانت ظاهرة للعيان ومثبتة، كالاتحاد السوفيتي على سبيل المثال.

إن وضع روسيا مشابه تماماً لمنافسها العالي الولايات المتحدة الأمريكية. إنها أيضاً دولة متعددة القوميات، ومادية إلى أبعد حد. لقد سعوا إلى استمرار وحدة الشعب تحت شعار احتلال المزيد من الأراضي واستصلاحها. إن العامل الموحد لهذه الدولة كان استثمار وامتلاك الثروات الجديدة. وعندما يضعف هذا العامل، سوف تتعرض وحدة الدولة إلى الخطر. وتنخفض طاقتها، وتتعرض للركود، وتهدد بالتفكك.

بسبب أزمة «الكساد العظيم» في أعوام الثلاثينيات من القرن العشرين وصلت أمريكا إلى حافة الهاوية، وكان أمامها خياران: إما تفكك البلد، أو رفع مستوى توحدها الداخلي.

للخروج من المأزق استخدمت أمريكا أساليب الاقتصاد المخطط، مثل دعم نقابات العمال، وتخفيف المسافة بين الأغنياء والفقراء، وتطوير ودعم الطبقة الوسطى. هذه الأساليب مكّنت الولايات المتحدة من الاستمرار في الحياة ومواصلة نموها وتطورها. إن المزاوجة بين اقتصاد السوق والاقتصاد المخطط وخصوصية الشخصية الأمريكية العدوانية مع الوعي الجماعي؛ كل ذلك أعطى دفعة جديدة باتجاه التطور، لكن هذا لن يستمر طويلاً.

عندما لا ينفع شعار تطور وازدهار المجتمع الأمريكي في تدعيم وتقوية القطاع الحكومي، وينخفض مستوى الوعي الجماعي لدى الشعب، فقد تلجأ الطبقة الحاكمة في أمريكا إلى ذريعة الحرب للحفاظ على وحدة البلد. إن الحرب كشكل من أشكال الموت، تساعد في تنشيط الطاقة الحياتية للمجتمع، وتساعد في زيادة الوحدة والتماسك الداخلي للمجتمع، وبالتالي تحقق الشروط الاستراتيجية

لاستمرار الدولة في الحياة. إن اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية، لم يمنح أمريكا الاستقرار الاقتصادي فحسب، بل مكّنها من جني أرباح هائلة: لقد كانت تبيع المواد الأولية والسلع إلى ألمانيا النازية وأعدائها في الوقت نفسه. وذلك زاد من تماسك الأمة الأمريكية. وكذلك عدم ذكر قومية المواطن الأمريكي الأصلية في جواز سفره، ساهم في تماسك الأمة.

إن الاتحاد السوفيتي، وعلى الرغم من عقيدته في معاداة النزعات القومية وسعيه للمساواة بينها، إلا أنه كان يذكر في جواز سفر المواطن السوفيتي قوميته الأصلية، وهذا ولد الكثير من المشكلات. أما في عهد روسيا الحديثة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، شطبوا القومية من جواز السفر، وأصبحت كلمة «روسي» على جواز السفر تعادل كلمة «أمريكي».

لقد أصبحت كلمة «أمريكي» رمزاً لوحدة القارة الأمريكية، وأدخل هذا الرمز في العقل الباطني للمواطن الأمريكي، وأصبح ذلك يعني أن دور الولايات المتحدة كدولة عظمى موجهة وقائدة لجميع دول العالم الأخرى. نحن غالباً نشاهد الكثير من الأحداث، لكننا لا نستطيع ربطها جميعاً مع بعضها بعضاً. لقد سمعت أمراً طريفاً في أحد البرامج التلفازية: نُقِل عن أحد الخبراء في علم النفس العسكري أن أمريكا كل سبع سنوات ستخوض غمار حرب جديدة، وتحت أي ذريعة كانت، وفي أي نقطة من العالم. عندما تنتصر، يكون ذلك جيداً جداً، لأنه يؤدي إلى زيادة تماسك الأمة؛ وعندما تنكسر يكون ذلك أفضل، لأن التماسك يزيد ويدخل في لاوعي المواطن، وذلك لا يكون ملحوظاً تماماً، لكنه يكون فعالاً. إنه يقوي ويغني المناعة للقوى الجديدة، وهذا ما حصل بالضبط بعد المواجهة العسكرية مع الاتحاد السوفيتي. إن تلك المواجهة منحت أمريكا دفعة قوية عززت نموها وازدهارها. لقد كانت حرباً باردة، لكنها حرب على أي حال.

إن كل المشكلة تكمن في أن دفعة التطور ومجموعة الطاقة الجديدة يجب أن توزع وتنقسم إلى تيارين: التيار الأقوى يجب أن يخصص للروح: أي إلى الدين والثقافة، وللتفكير الاستراتيجي، ولتعزيز الوعي الجماعي، ولتنشيط أشكال بعض الملكيات الجماعية؛ أما التيار الصغير يوجه إلى التطوير الذاتي الذي يصب في صالح الحضارة.

كم كان دقيقاً أحد الفرنسيين في توصيفه! أمريكا؛ إنها البلد الذي خطا إلى الحضارة متجاوزاً الثقافة. لقد بدؤوا بامتلاك الثروة أولاً، ثم غالوا بنزعة الاستهلاك، أي كانت الأولوية لمتطلبات الجسد، وهذا أدى إلى التوزيع غير المنتظم لتيارات الطاقة. وهكذا أضحت الحضارة تفترس الثقافة تماماً وفق رأي شوبنهاور. إن الصراع ضد الاتحاد السوفيتي أدى إلى تطور التنافس الثقافي والتكنولوجي. وإذا كان الاتحاد السوفيتي يتفاخر بالتفوق الأخلاقي، فإن الولايات المتحدة الأمريكية استعانت بالرفاه الاجتماعي والتقدم التكنولوجي. كلا الطرفين كان على حق، لكن الطاقة الروحية كانت تبدو بمظهر الفقير في ثيابه الرثة، أما الطاقة المادية فقد بدت كالتابوت المصنوع بفخامة وإتقان. تستطيع الروح أن تعيش من دون جسد. وذلك تؤكده جميع التجارب في التاريخ الإنساني، الدينية منها والإيزوتيريكية. أما الجسد من دون روح لا يستطيع العيش. أخطر المشكلات التي واجهت أمريكا ظهرت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. لقد كتبت عن ذلك، أظن في كتابي الرابع. بدلاً من العدو الخطر نشأ عدو مهلهل مفكك إلى إمارات وممالك ودول ضعيفة، لم يعد لديهم العدو القوي الذي يمكنهم أن يتنافسوا معه.

لقد فقدت أمريكا طاقتها المحركة، وأخذت بالتضاؤل، فقد انخفض مستوى الوحدة الوطنية لديهم، وأصبح محكوماً على أمريكا بالتفكك، وأن تسير على الطريق نفسه الذي مضى عليه الاتحاد السوفيتي.

لماذا في عهد الاتحاد السوفيتي ألغي مفهوم «الشعب الروسي»؟ ولماذا لم يكن هناك أكاديمية للعلوم الروسية؟ ولماذا كان مندوبو القوميات الذين يتصفون بمستوى ضحل من الثقافة والتطور، يتقاضون أموالاً كبيرة ورعاية واهتماماً ومجاملات بشكل كبير؟ كل ذلك ليتمكنوا من دفع الشعب الروسي نحو الازدهار.

إن النزعة التي تعتمد على التفوق العرقي تلاحظ دائماً عند الشعب الذي يتمتع بالازدهار. وتعتمد على مبدأ القوة: القوي يأكل الضعيف. هذه النزعة متأصلة منذ الماضي السحيق، لكنها تجبر الضعيف لكي يطمح ويصبح قوياً بمستوى خصمه لحماية نفسه. إذا كان القوي يمد ليس فقط إلى إزاحة الضعيف، بل وإلى مساعدته لكي يتطور، فهذا ما يسمى طريق تسريع الثورة.

وبما أنه في الاتحاد السوفيتي لم يكن من الممكن قيام وحدة روحية حقيقية، لذلك كان من الضروري الضغط على الشعب الأكثر تطوراً، وحرمانه من وجوهه البارزة، وتحويله إلى إسمنت لتوحيد جميع القوميات والشعوب. لذلك تم التخلص من شخصيات عبقرية محددة، والتي يمكنها أن تزعزع مبدأ الوحدة، وكذلك تمت ملاحقة وكبت الشعب الأكثر تطوراً وتقدماً.

لذلك نجد أن الشعب الروسي هو أكثر من عاني من الاشتراكية. إن الكثير من الجمهوريات والقوميات بدلاً من سعيها لتطوير نفسها وجدناها تعيش متطفلة بشكل واضح عليه. هذا الأمر نجده ملاحظاً في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز. هذه العملية تمثل قمة الانحطاط والتفسخ الأخلاقي، التي سوف تبقى نتائجها السلبية ماثلة للعيان أكثر من أي أزمة اقتصادية. إن الاقتصاد يمكن بناؤه في غضون عشر سنوات، أما الثقافة يتم تشكيلها عبر مئات السنين. لذلك فمن الغريب أن تفكك الاتحاد السوفيتي قد صب في صالح روسيا.

لم يتحد عمال وفلاحو العالم. لا يمكن أن تتحقق أي وحدة خارجية من دون إيمان بالله واهتمام بالروح. وإن تحققت فلن تدوم طويلاً: فالقوي سوف يسحق ويدوس الضعيف ويربطه به، أما الضعيف سوف يدوس ويسحق القوي ويعيش متطفلاً عليه.

إن الفن دائماً يسبق الواقع وأحداثه، لأن المستقبل يعود له. عندما أعتزم مشاهدة فيلم أمريكي، لا يساورني الشك في شيء واحد: إذا كان بطل الفيلم من البيض سيكون إلى جانبه حتماً رجل أسود؛ وإذا كان أحدهما مجنوناً، ثقوا بي لن يكون ذلك المجنون هو الرجل الأسود. إن أمريكا محرجة أمام السود والملونين وأي قومية أخرى، وتستعطفهم ما عدا البيض. والسكان البيض يتراجع دورهم إلى الدرجة الثانية. هذا التراجع ليس فقط في مجال الفن، بل وفي الحياة أيضاً. وعند ضرورة الإتيان برجل أبيض ذكي ونشيط للعمل، وإلى جانبه يقف عامل أسود كسول ومعتوه، ثقوا بأن رب العمل عندها سوف يمسك العامل الأسود، ويصرخ

هذا «تمييز عنصري». عندها ستظهر عند رب العمل مشكلات عديدة. إن العامل النشيط والذكي ليس لديه حقوق ومكاسب مثل العامل الكسول والمعتوه. إن هذا ملاحظ بالعين المجردة.

على أساس ذلك، يعلن الكثير من الأشخاص الحكماء أن أمريكا تبدأ ببناء الاشتراكية لديها. لكنه على أرض الواقع لا يوجد أي بناء اشتراكي هناك. في أمريكا يفقد البلد طاقته، فمعظم الشعب الأمريكي يعيش في ظروف الكساد الاقتصادي، وقد وصل مستوى التوحد حدّه الأدنى. بسبب ذلك كله شنت أمريكا الحرب على العراق، والآن تحضر حرباً جديدة ضد إيران، وتحاول إشعال نار الحروب في كل مكان من الكرة الأرضية.

يمكن تأكيد أن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بالاستعداد للحرب العالمية الثالثة عندما تضع أمامها خيارين اثنين: موت وتفكك أمريكا، أو دمار وفناء البشرية بأسرها. إن ما يحصل الآن في أمريكا من انهيار شركات القطاع الخاص وتوسيع القطاع الحكومي، يعطي إشارة إيجابية. يتحدثون الآن عن ضرورة توحيد اللباس المدرسي، وتقييد الحرية الجنسية! وهذا أيضاً مؤشر إيجابي. إن زيادة الإيمان بالله والعودة إلى الأخلاق الحميدة هو وحده الكفيل بإنقاذ كوكب الأرض من عواقب الحرب العالمية الثالثة. يتذكر الآن الأمريكيون الكتاب المقدس، وضرورة عدم الإسراف والتبذير. بدؤوا يفهمون أنه في حال كانت لديهم سيارة جيدة، لا داعي لشراء سيارة أفضل. يجب عدم هدر الوقت والطاقة، والإسراع بالاهتمام بالروح وتربيتها.

إن البشرية على الرغم من كل شيء ما تزال مستمرة في الحياة طالما لم تنشب الحرب العالمية الثالثة، لذلك يجب فعل كل شيء ممكن أن يمنع حدوثها. هذا يعني أنه على الولايات المتحدة الأمريكية أن تغير نفسيتها وسياستها ومخططاتها الاستعمارية. وإلا ستصبح الولايات المتفرقة الأمريكية، أو ستصاب بجائحة لا تدع ولا تذر لمنع مزيد من الانحطاط الروحي هناك. إن الولايات المتحدة الأمريكية تملك دستوراً فدرالياً واحداً، لكن لكل ولاية قانونها الخاص والمختلف عن قوانين بقية الولايات. هذا النمط من الحكم أعطى دفعة عظيمة من التطور

والازدهار لمدة طويلة. ربما يستمر هذا في حال حافظت الحضارة البشرية المعاصرة على توحدها الداخلي.

كل شيء يتطور وفق المخطط التالي: متناقضان اثنان يتنافران في البداية، ثم يتلاقيان ويبدآن بالتعاون، ثم بالتنافس والصراع الحاد، ولكي لا ينتهي كل طرف بالاندثار، يسعى كل منهما إلى زيادة التوحد والتماسك الداخلي. وعند الوصول إلى مستوى معين من التوحد الخارجي والداخلي لكل منهما، لدرجة أنه يصبح من الصعب نشوب نزاع بينهما، يحافظ كلا الطرفين المتناقضين على شخصيته، مع وجود توحد في الأهداف. عندما يجتمع عدد من الأفراد يجب عليهم أن يتوحدوا في مجموعة واحدة أو يتفككوا.

جميع الناس الذين يعيشون على الأرض بدؤوا يتوحدون في جسد واحد. السبب بسيط: الأرواح وصلت إلى المستوى المعاصر. يجب أن تحدث تحولات أساسية في البشرية. وطاقة وأخلاق الإنسان الجديد يجب أن تكون أرفع درجة. إن الحضارة المعاصرة أمامها خيارين: إما أن تفنى بفقدانها للتوحد الداخلي؛ أو العكس، تنتقل إلى مستوى أكثر علواً ورفعة. إذا تمكنت إحدى الدول من ربط إرادتها مع الآخرين وإخضاعهم، عندها فإن التوحد السطحي سوف يؤدي إلى إضعاف الطاقة الداخلية. وهذا قد يؤدي إلى فناء الحضارة بأسرها. والنتيجة بسيطة: لكل أمة رغبة في إخضاع العالم بأسره لإرادتها، وإخضاع الآخرين لسيطرتها يخلق مشكلات جدية، بغض النظر من تكون تلك الأمة أو الدولة: أمريكا، أو روسيا، أو الصين.

يشكل خرق المعايير الأخلاقية الرفيعة خطورة على الشخص، وعلى الدولة بأكملها. إذا كانت النزعة لتقوية التوحد الداخلي للحضارة المعاصرة ضعيفة، عندها قد يظهر عدو جديد على شكل زلزال، وفيضانات، وأوبئة ...إلخ. إن أي إنسان يشعر بشعور الآخرين وآلامهم ويتوحد معهم ويهتم بروحه أكثر من جسده، يفهم أن أهم ثروة يمتلكها هي قدرته على المحبة، عندها سوف يقدم على مساعدة الجميع في مثل تلك الظروف الصعبة والمعقدة، وذلك أثناء الانتقال إلى الحالة الجديدة.

التصنيف

كان علي في صباح اليوم الذهاب إلى المطار. أردت أن أحجز سيارة أجرة، لكني تذكرت أن أحد مرضاي أراد التحدث إلي. إنه يواجه بعض المشكلات. بعد اتصال هاتفي معه تبين أن لديه وقت فراغ، وأنه بكل رحابة صدر يستطيع أن يقلني إلى هناك.

ومن جديد تواجهنا أزمة سير خانقة في جو مكفهر، وتواصل المدينة الكبيرة نمط حياتها المتوتر. تصدح الموسيقى داخل السيارة؛ مغنٍ ذو صوت جميل يغني أغنية عاطفية. أفكر وأنا أنظر إلى صفوف السيارات المنطلقة بسرعة في الشارع.

إلى ماذا توصلت عبر خمسة عشر عاماً من البحث؟ لقد توصلت إلى مفهوم أن الحب هو عبارة عن قيمة مطلقة. لا يوجد أي سبب في الكون يجعلك ترفض الحب، بل على العكس يجب أن ترفض كل شيء يعرقل الحب. كلما كان مقياس السعادة الإنسانية كبيراً، كانت قوة السعي إلى الله أكبر.

إن القيم الإنسانية في النتيجة النهائية تفضي إلى فهم الزمن: يتكون الزمن من تيارين متناقضين يتوحدان فقط في بدايتهما الأولى. إن تعاملنا مع الزمن يكون بواسطة غريزتين: حفظ النوع، وحب الخلود. غريزة حفظ النوع تكون مرتبطة بالغيرة؛ أما غريزة حب الخلود، ترتبط بصفة الحسد والتكبر. الحسد والتكبر يرتبطان مع المستقبل والمصير. في لحظة ما نجد أن هذين التيارين يتوحدان في البنية التي أطلقت عليها تسمية «الحياة».

أعتقد أن ذلك هو الفصل الأخير. لقد قد تعمقت أكثر في بحوثي ودراساتي، وسرت بعيداً في مساعدة الآخرين، ومؤخراً رأيت باندهاش كيف يعمل قانون الازدواجية. على المستوى الأكثر عمقاً، نجد أن الحياة تنقسم إلى تيارين. بعد دراستهما وتصنيفهما توصلت إلى الاستنتاج غير المتوقع. إنها من جديد ذات بنية تشابه بنية المستقبل والمصير، لكن على مستوى أعلى بكثير. إن المصير على ارتباط

ليس مع حياة واحدة، بل مع الكثير من الحيوات. أما المستقبل فهو كبير لدرجة لا يتصورها عقل. وبالنتيجة إن الحفاظ على الحب مع استمرار دمار مثل تلك البنيات، كان في البداية أمراً غير ممكن.

تصوروا حصول مشكلات لديكم في المصير. أحد ما سرق محفظة نقودك. إذا كانت المحفظة قيّمة وبها القليل من المال، ستشتري في غضون يومين محفظة جديدة، وستنسى مشكلة السرقة تلك. نعود إلى التصنيف: إن حجم الأذية تلك هو يومان. بعد أسبوع حصل حريق في منزلك الريفي، المنزل كان متداعياً وأثاثه قديم جداً. نصنف حجم الأذية: يعادل حجمها سنتين. وهي المدة اللازمة لإعادة ترميم المنزل.

ما هو ترميم الضرر الذي حصل بالمنزل؟ إنه الجهود المبذولة لذلك العمل، والزمن اللازم لذلك. من حيث المبدأ: إن المال يعادل الجهد المبذول. أما الجهد فقد حصل عبر مدة من الزمن. أي إننا نقوم ببيع وشراء الزمن. إذا كانت الطاقة المبذولة كبيرة، تكون المدة الزمنية لإنجاز العمل أقل، أي إن الزمن ينضغط. كلما ضغطنا الزمن أكثر تطلب ذلك بذل طاقة أكبر، وبالتالي سارت الأعمال بوتيرة أسرع، وقلّت مدة الأذية بالمصير. إن احتراق المنزل الريفي لشخص قد يكلفه بذل جهود لمدة ثلاثة أشهر لإتمام ترميم المنزل. أما مثل تلك الكارثة بالنسبة لشخص آخر قد ترافقه مدى الحياة.

لنتذكر رواية غوغول «المعطف»: البطل هو موظف صغير ذو طموح شبه معدوم، وطاقته ليست بالكبيرة. إن الحصول على المعطف الجديد بالنسبة له هي سعادة تكفيه مدى الحياة؛ أما حجم الأذية التي تلحق به عند فقده، تكون بالحجم نفسه، لذلك عند فقده معطفه لم يستطع تحمل المصيبة، فمات.

وهكذا، فالأذية أو الضرر الذي يصيب المصير قد يكون حجمه يومين، سنتين، عشرين سنة، وقد تصل إلى عشرين حياة. إن هذا المقياس يتعلق بحجم الضرر المادي والمعنوي الذي يصيب الإنسان في داخله.

كلما كانت كمية الطاقة قليلة، أصبحت الخسارة أقسى. لكي نتمكن من تحمل الانخفاض في طاقتنا يجب ألا تكون لدينا سعادة غامرة. من مؤشرات

انخفاض الطاقة: الكآبة، الحسد، الندم، عدم الرضا بالمصير. إن الأشخاص الذين يتصفون بمثل هذه الخصال (أي الانخفاض بالطاقة) يحصلون على شعور زائد بالسعادة. قد يتحول ذلك بالنسبة لهم إلى وبال وتراجيديا.

إن الطاقة العالية تماثل انضغاط الزمن. أما الزمن، يُضغَط من قبل الحب. إن مناعة عاطفة الحب واستمرارها تمنح الإنسان القدرة على تحمل المصائب والثبات في المواقف الصعبة. أما الإنسان الضعيف يهوي ساقطاً من أول نسمة هواء تصيبه. كلما كانت طاقة الشخص ضعيفة، أصبح تابعاً بشكل أكبر للآخرين وللوسط المحيط. عندما نعمد إلى استرضاء الآخرين ونجعل أنفسنا تابعين لهم، وعندما نضغط على أنفسنا ونتراجع أمام الآخرين في كل شيء، ذلك يؤدي إلى انخفاض قدرة الإنسان وطاقته، واضمحلال الحب في النفس، والوقوع في المشكلات والأمراض.

وهكذا، إن الحياة تنقسم إلى تيارين عميقين: المصير والمستقبل. لقد عملت مع هاتين البنيتين، وبفضول انتظرت النتيجة. بالنتيجة النهائية توصلت إلى بنية، حيث الماضي والمستقبل يتوحدان في بنية متكاملة. لقد انتقيت لها تسمية مناسبة: الوحدة.

مم يتكون الجسد الإنساني؟ إنه مؤلف من تراكيب وعناصر أولية معدنية، نباتية وحيوانية. إن جميع خلايا الجسم لا تبقى حيوانية بشكل كامل، بل تصبح إنسانية بعد التطور الكبير الحاصل بين مختلف أعضاء الجسم. هذا يعني أن ما هو إنساني يخرج عن الحدود المادية. إن وظائف الجسد الرفيعة تتم مضاعفتها من قبل الدماغ وخصومية الجسد.

أما ما يخص روحانية الإنسان وأولويتها، ليس من الصعب الإثبات أنها تشكل المكانة الأولى. إذا كان لدينا شخصان لديهما البنية الجسمية نفسها تماماً: متشابهان في بنية المخ، والبنية التشريحية للجسم، وردود الفعل. لكن لماذا يوصف أحدهم بأنه سافل ومنحط، أما الآخر يصفونه بأنه إنسان طيب القلب ولطيف ومحب. إن ذلك يعود لتباين مستوى الطاقة لديهما: الأول لديه عاطفة حب ضعيفة في روحه. والطاقة التي يمتلكها لا تكفي حتى لاستمرار توحد جسمه وبقاء

عمل غرائزه الفطرية. إن مفاهيم مثل الكرامة، والشرف، والأخلاق، لا يمكنه إطلاقاً أن يتحلى بها. إنه فقط يستطيع أن يتظاهر بالتحلي بها. ولا يمتلك الطاقة الكافية لمثل تلك الصفات الحميدة.

عندما تكون الطاقة لدى شخص غير كافية، يكون محتماً عليه أن يكون أنانياً. عندما تتوافر طاقة زائدة لدى الشخص تتفتح لديه مواهب وهوايات جديدة. تنعكس تلك الهوايات خارجياً: يصبح مرحاً، يحب الرقص والغناء، يرسم، يؤلف الموسيقى. أي إن الفن يتعلق بتوافر الطاقة الفائضة. لا يستطيع الإنسان أن يعيش لنفسه ورغباته فقط، إنه يهتم بالوسط المحيط، يبدأ بالتفكير بالأناس الآخرين، ويحاول أن يفهم كيف يعيشون وبماذا يفكرون. تزداد لديه إمكانية تفهم الوسط المحيط والتعاطي والتوحد معه، حيث كانت طاقته المنخفضة في السابق تكفي فقط لضمان عمل أعضاء جسده، والتواصل مع أسرته وأقاربه. من الطبيعي بالنسبة للإنسان أن يفكر ليس فقط بنفسه، بل وبالمقربين منه.

كلما كانت الروح تتمتع بالحب والطاقة في داخلها، أصبحت تتحسس الوحدة أكثر. إن الإنسان يحس بكيانه ليس فقط عن طريق أسرته، بل عن طريق شعبه أيضاً. ويجب أن يكون على أهبة الاستعداد للدفاع عن أرضه وبلده بالقوة نفسها التي يدافع بها عن نفسه وأسرته. إن القدرة على الحب وقوة الحب تحدّان مستوى التوحد الذي يتمتع به الشخص.

إن مستوى معين من الأنانية ضروري أيضاً. إنه أحد الشروط المهمة لحياة واستمرار الإنسان. إنها أحط الصفات التي يمكن أن تتصف بها نفسية الإنسان، لكنها من الأهمية بمكان، بحيث لا يمكنه البقاء على قيد الحياة من دونها. لقد جرت على امتداد التاريخ البشري محاولات كثيرة لإبعاد صفة الأنانية عن سلوك البشر، واستبدالها بصفة التضحية وحب الآخرين بشكل مطلق. لكن النتيجة كانت دائماً واحدة: عند التخلص من الأنانية بشكل مطلق تخبو على أثرها بقية وظائف الجسد ورغباته.

إن الأمعاء في جسدنا تشابه تماماً أمعاء الحيوانات، مع ذلك نحن نحس بأنفسنا أننا بشر ولسنا حيوانات. ومن أجل التخلص من البداية الحيوانية فينا،

نستطيع أن نفتح بطننا ونستأصل منه الأمعاء. عند ذلك تغادر الروح الجسد على الفور، وهي التي تميزنا عما هو حيواني. نعم، نحن نستطيع أن نواجه ما هو حيواني فينا بما هو إنساني، لكن علينا ألا ننسى أبداً أن الفطرتين أصلهما واحد.

شيئان متناقضان، يتفاعل أحدهما مع الآخر، يتطوران. إن تطورهما يحتم زيادة توحدهما. إن رمز توحدهما هو الحب. يمكن القول بكل بساطة إن صراع متناقضين قد ينتج عنه تقاربهما، ثم ظهور بينهما. بعدها قد يحصل تقارب وتوحد لا رجعة عنه، ثم يصبحان بنية واحدة، بهدف واحد. بعد مدة من الزمن قد ينفصلان على المستوى الرفيع.

حالة طريفة تحصل الآن على كوكبنا: دول عديدة صنفت نفسها ضمن معسكرين متناقضين، وجميع الدول انتمت إلى هذا المعسكر أو ذاك. لكي يستطع عالمنا الاستمرار في الحياة، يجب أن تتفوق قوة الحب والتوحد على قوة العداء والتنافس.

مع أننا نرى الصورة معكوسة، إلا أنه قد بدأ العمل بسيناريو دمار البشرية. وإذا لم يتوصل المعسكران المتصارعان إلى توازن فيما بينهما فسوف يدمر كل منهما الآخر. لقد أدى كل من الاتحاد السوفيتي وأمريكا دور القطبين المتنافرين. لم يكن بينهما أي ودّ. كل قطب حاول تدمير القطب الآخر بكل الطرائق والوسائل الممكنة. ربما أنقذ انهيار الاتحاد السوفيتي البشرية من الدمار والفناء.

أبرم الاتحاد السوفيتي وألمانيا النازية معاهدة صداقة وعدم اعتداء. لقد اتفق الجانبان بشكل كامل على تقاسم أوروبا وحتى العالم. سياسة سلمية تماماً! لقد كانت العلاقات بين أمريكا والاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت سيئة. مع العلم أنه في ظل التفاهم «الأخوي» بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا، كان الجانبان يستعدان للحرب بشكل محموم. لقد بدأ هتلر الهجوم أولاً، لأنه كان يؤمن فقط بالمفاجأة والضربات الاستباقية، وهذا ما فعله تماماً تجاه الاتحاد السوفيتي.

إن الحقائق التي أصبحت الآن معلومة، تفيد بأمر واحد: المصادفة وحدها أنقذت الاتحاد السوفيتي من خسارة الحرب بشكل كامل أثناء الشهور الأولى،

وأخذ الإيمان بالله يستيقظ في الأرواح التائهة. عندما بدأت الحرب، ظهر الاستعداد لدى المواطنين السوفييت للتضحية بالنفس دفاعاً عن الوطن وعن الشعب. ومن جديد عادت الروح إلى القيم والمثل الأخلاقية، التي شوهتها الاشتراكية، وعاد الناس من الوثنية إلى الله والحب.

بعد ذلك سطر الناس أروع البطولات والملاحم الخالدة في ساحات الوغى، والتي حققت المعجزات. إن مفهوم الأخلاق والضمير لا يمكن أن يتم من دون مفهوم المحبة. يمكن استخدام العنف والإرهاب لتطبيق أبسط أنواع الانضباط وأكثرها تخلفاً، لكن من دون حب لا يمكن تحقيق الانضباط الطوعي. إن الحب باعتباره أحد أشكال التوحد المطلق يأتينا من الخالق. وجميع الوصايا والتعاليم الدينية تحضنا على الحفاظ على المحبة وتقويتها. لذلك فالتدين الصحيح يتيح المجال للناس بالشعور والإحساس بمستوى التوحد العالي. لذلك كانوا دائماً يستخدمون الأديان لأغراض وأهداف سياسية واقتصادية. إن الدين هنا بحد ذاته ليس له علاقة بشيء. لكن التوحد الذي خلقه الدين هو الذي تم استخدامه لأهداف سياسية. وعندما يتم استخدام الدين لأغراض سياسية، أي يصبح الدين تابعاً للسياسة وليس العكس، عندها قد يستخدم الدين لتوحيد الاتجاهات المعادية، وبدلاً من توحيد المتناقضات، يصبح الدين ليس عاملَ كبحٍ للتطور والتقدم فحسب، بل أداة للتدمير الذاتي.

إن أزمة الأديان السماوية في عصرنا الراهن تكمن في أنها لم تستطع توفير المستوى اللازم للتوحد الذي يجعل جميع شعوب ودول الأرض تتصالح، وذلك بسبب ضعف المحبة بين الناس. لا اليهودية ولا الكاثوليكية ولا الأرثوذكسية ولا الإسلام ولا البوذية تمكنت من فعل ذلك. مع أن تلك الفرصة كانت متاحة منذ ألفي سنة مضت، عن طريق الأخذ بتعاليم المسيح. إن فهم واستيعاب تعاليمه والأخذ بها كان عصياً على فهم وإدراك الناس.

يتحتم على كل إنسان أثناء الحياة أن يجعل روحه تختار ما هو الأهم بالنسبة لها: هل التوجه إلى الله والخضوع له وطاعته، أم الانغماس في هذا العالم وعبادة المادة؟ لكن عندما يتم تدمير كل شيء تعتبره ثميناً وقيماً في هذا العالم، لمن سوف

تكون تابعاً؟ وبماذا تكون مرتبطاً؟ لقد دقت ساعة الحقيقة. إذا انقدحت في هذه اللحظة شرارة الحب والتوجه إلى الله، عندها تكون الروح قد خطت باتجاه الاختيار الصحيح. وعندما تحصل على السعادة بعد ذلك لا تكون النفس في تبعية لها.

عند الشعور بالكآبة والندم والحسرة والكره والظلم، فإن ذلك من علامات التوحد مع العالم المادي. ويكون ذلك بالنسبة للنفس أهم من التوجه إلى الخالق. إن الابتعاد عن الحب يعني الابتعاد عن الطاقة الرفيعة، عندها يبدأ شكل طاقة الإنسان يخمد. كلما كانت تبعية الإنسان وارتباطه بالعالم المادي الذي يعيش به عالية، كانت العدوانية الذاتية والأذية والأمراض كبيرة.

من حيث المبدأ، إن رمز الوحدة مع هذا العالم يكمن في السعادة الإنسانية. نحن نفهم هذا العالم عبر حبنا لأهلنا. هم بالذات من يساعدنا في العيش في هذا العالم؛ يساعدونا عبر إظهار المحبة، يساعدونا عندما نخطو خطواتنا الأولى. المرحلة الثانية: العشق في مرحلة الشباب. كيف علينا أن نحس أن محبة الله أهم من محبتنا لأي إنسان؟ نحن نحب الله، وكذلك لدينا محبة إنسانية في الوقت نفسه. إن الجواب بسيط: يجب أن تحافظ على محبة الله وطاعته، حتى ولو أدى ذلك إلى انخفاض المحبة الإنسانية. إذا استمرينا في محبة الإنسان القريب منا، والذي قد تسبب في إزعاجنا، وظلمنا؛ واستمرينا في سعينا لتوجيهه وتربيته؛ هذا يعني أن محبة الله بالنسبة لنا أهم من المحبة الإنسانية، وأن التواصل مع الله أهم من التواصل مع هذا العالم. عندما يتركنا الشخص المحبب لنا، أو يموت أو يخون، نستمر على الرغم من ذلك في حبنا له. إن ذلك يعد حباً إلهياً.

لقد انشغلت في التفكير. أعلموني أن الكثيرات من النساء عندما قرأن كتبي، أخذن يُطِعْن أزواجهن بشكل مطلق، لكن بسبب ذلك أصبن بالخمول. للأسف، إن الإنسان يرى فقط ما هو على استعداد لرؤيته. عندما تقرأ المرأة الكتاب تفهم شيئاً واحداً: ترضى وتقبل بأي إهانة أو إذلال. وماذا يعني لها تقبل الإهانة والألم؟ هذا يعني أن عليها أن تسامح زوجها وألا تعامله بكراهية، وألا تنزعج أو تنتقم منه. جميع جهود المرأة وقواها يجب أن توجه لهذا؛ وفجأة تحس بالخمول. وكلما حاولت «توجيه» نفسها بشكل صحيح كان ذلك سيئاً بالنسبة لها.

في الواقع كنت أقول دائماً إن تقبل الحالات والظروف الصعبة يؤدي إلى الحفاظ على عاطفة الحب. إذا لم نقدم شرارة المحبة الإلهية في لحظة حصول المشكلة، فإنه يبقى لدينا فقط نموذجان لتطور الأحداث: إما أن تنشأ عدوانية تجاه الشخص الآخر باعتبارها شكل من أشكال الدفاع الذاتي، أو ينشأ نوع من الكسل المترافق مع الكره للنفس، عندما تنعدم الإمكانية أو الرغبة في الدفاع عن النفس.

في الماضي تحضر فقط الإرادة الإلهية، لذلك فإن العلاقة مع الماضي يجب أن تكون فقط علاقة محبة وقبول تام. يجب أن تكون إرادتنا حاضرة في الماضي والحاضر. لذلك عندما يزعجونا في الحاضر، تنقسم طاقتنا بشكل مختلف: لمحبة الله؛ هذا يعد أعلى وأعمق تربية للنفس، عن طريق تغيير الروح والعالم المحيط. بعد ذلك يأتي المستوى الثاني للدفاع الخارجي. أي عليك أن تستخدم الحب كخط دفاع أول، أما خط الدفاع الثاني يكمن في سعيك إلى التوحد والانسجام مع نفسك، ومحاولة فهم وإيجاد العذر لمن حاول إزعاجك أو إهانتك وظلمك. إن ذلك عبارة عن بحثٍ عن حلٍّ وسط وتوافقي، وبالتالي تستطيع التأثير في الشريك وتربيته، وذلك تبعاً للموقف. إن الحل الوسطي أو التوافقي يعني أيضاً تربية النفس وتغييرها، وكذلك تعديل المطالب. وبالمقابل إن محاولة تربية الآخر تعني التأثير في الآخر، ومحاولة تغيير سلوكه وفهمه للأمور.

إن الزوج الذي يزعج ويهين زوجته، يعدّ تصرفه ذاك نوعاً من أنواع التصرفات الإجرامية. وعندما تخضع للمجرم وتتنازل له في كل شيء، فذلك يزيد من تهوره وفساده وفجوره. في مثل ذلك الوضع لن يتمكن الزوج أو الزوجة من تغيير سلوكهما. عندما تكره الزوجة زوجها وتتشاجر معه وتطلب له الشرطة، عندها تصبح إمكانية التغير أقل. لا تستطيع معالجة مشكلة الإجرام بواسطة العقاب فقط. يجب أن يحصل تغيير متبادل، بعدها يجب مساعدة المجرم وتربيته لكي يغير سلوكه. ولإحداث تغير في عاطفة الحب يجب اتخاذ تدابير مستمرة وقاسية أحياناً، ولا غنى عنها لتربية الشخص ومساعدته.

عند اتخاذ أي تدابير قاسية أثناء تعاملك مع الآخر، يجب أن يترافق ذلك مع إظهار روح المودة والصداقة والابتعاد عن سلوك التعالي والتفوق. إذا أردت الحصول

على شيء ما من الشخص، يجب في البداية أن تقدم له هدية. إذا أردت أن تكون سعيداً مع أحد ما، يجب عليك أولاً أن تجعله سعيداً.

إن المرأة من الداخل يجب ألا تكون تابعة لأحد. لا يمكن تربية وتقويم الشخص التابع لأحد ما! لذلك يجب عليها أن تنظر إلى زوجها كما تنظر إلى الطفل، وتعامله على هذا الأساس. عندها سوف تتسامح مع أي تصرف أو إزعاج يقوم به الزوج تجاهها. وعندها لن تشعر في نفسها بأي ضغينة تجعلها تتخلى عنه. حينها لن تهدر طاقتها في متاهات الخمول، بل ستستفيد منها لتربية النفس والزوج.

عندما تتوجه إلى الله، يجب أن تتجرد من كل شيء، حتى من الوعي. عندما نبدأ بالصلاة ونفكر فقط بالمال، تكون صلاتنا عبارة عن وسيلة وهدف: وهو المال. إنها شعوذة حقيقية والسحر بعينه. عندما تتوجه إلى الله وفي نفسك ضغينة تجاه أحد، ذلك يعني أنك تصلي وفي لاوعيك حقد على سبب الضغينة. عندما تشعر بالانزعاج بسبب المال، هذا يعني أنك تعبد المال فقط. عندما لا تستطيع التسامح مع الخيانة، هذا يعني أنك تعبد المثل وليس الله خالق كل شيء. إذا لم تتمكن من مسامحة صديقك الذي تخلى عنك، هذا يعني أنك تعبد وتقدس العلاقات الشخصية. لذلك عندما تتوجه الله بالصلاة، ذلك يعني أنه عليك أن تكون في عزلة داخلية تامة. وخلاف ذلك تكون صلاتك مثل أحد طقوس السحر، لذلك قال المسيح: «فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ»[1].

وهكذا يصعب الانفصال عن وعينا وتفكيرنا الجسدي لمدة طويلة. بشكل وسطي نستطيع ذلك لمدة 30-40 دقيقة. إذا استمرينا في الصلاة أكثر من ذلك، قد يشرد تفكيرنا إلى أمور حياتية متعددة. عندما يعيش الإنسان في رفاه ونعيم دائم، يأكل طعاماً لذيذاً وجيداً، إضافة لذلك يكيل الاتهامات والإدانات للآخرين، عندها تكون صلاته وتوجهه إلى الله عبارة عن أوهام. والصلاة عندها لن تودي إلى تقوية المحبة، بل الرغبات والشهوات. عندها وبهدف إيقاف عملية التفكك، يتوقف

1- العهد الجديد: متى (5: 23-24).

الشخص عن الذهاب إلى المعبد، ويمتنع عن قراءة الكتب المقدسة، ويبدل ذلك كله بتدين وهمي. في الحقيقة هذا ما يحدث في عالمنا الراهن.

هل ذلك يعني أننا نفقد اتصالنا بالله؟ إن الاتصال العميق بالله لا نفقده على الإطلاق، لكنه قد يخف أو يزداد. أما الاتصال السطحي أو الخارجي، المرتبط بالحياة، والصحة، والرفاه، يمكن أن نفقده. لقد توصلت إلى استنتاج مهم حين عاينت ودرست حالة النساء اللواتي يعملن في الدعارة. لكل إنسان أربعة أنواع من الحب: الحب الإلهي، وحب الأهل أو القرب الدموي، وحب الأصدقاء، وأخيراً الحب المتعلق بالناحية الجنسية واستمرار النسل. لقد توقعت أن أرى مغالاة كبيرة وتركيزاً على المستوى الجنسي، وانخفاضاً كبيراً في بقية مستويات الحب. لكن توقعي لم يكن صحيحاً تماماً، لكن توقعي لم يكن صحيحاً تماماً، مع أن التركيز على الناحية الجنسية كان عالياً، والنتيجة: الأمراض الجنسية المستقبلية، ومشكلات الأطفال... إلخ. أما مستوى المحبة الذي تبين لي أنه متدنٍ لدى تلك النسوة، فكان المحبة المتعلقة بالصداقة والأمومة. ينتج عن ذلك تدمير الأسرة والمصير والحالة النفسية والصحية. أما مستوى المحبة الإلهية لم يطرأ عليه أي تغيير.

هكذا فهمت أنه تمت مسامحتنا على ماضينا، لذلك تم إنقاذ مستقبلنا. لدى المجرمين تشاهد صورة مشابهة: زيادة كبيرة في الرغبات المادية والجنسية، وتخريب في مستويات التوحد العليا، لكن لا تغير على قدرة التواصل مع الله. هذا يعني أن أي مجرم بإمكانه أن يغير نفسه وسلوكه في الحياة عن طريق محبة الله، والتقليل من تبعيته لرغباته.

لقد أصبح مفهوماً بالنسبة لي كيف يصبح الشخص مجرماً: إن التوحد المطلق مع الله يكون في المستويات العميقة جداً، ويستمر بشكل دائم ولا ينقطع أبداً. لكن التوحد على المستوى العميق، الذي يرتبط بلاوعينا يمكن التقليل منه. عندها يمكن أن يتضرر الحب المرتبط بالله والأقرباء والأصدقاء. وهكذا يصبح الإنسان مجرماً عندما لا يجد محبة من الأهل في فترة طفولته، أو عومل بقسوة حينها؛ وكذلك عندما يكون أهله غير متدينين، أو عندما تنعدم لديه علاقات الصداقة مع الآخرين، ولم يعلمه أحد التضحية والإيثار والاهتمام بالآخرين وحبهم. هذه الظروف إذا توافرت

مجتمعة، على الأرجح تجعل الإنسان مجرماً. عندنا تغلق وتنعدم جميع مستويات المحبة المذكورة؛ تبقى لديه الفطرة الحيوانية والأنانية. ويصبح الرفاه المادي ورغبة التسلط والرغبة الجنسية هي جوهر حياته ومغزى بقائه، ولأجلها يحيا. مهما امتلك المجرم من مال وسلطة وجاه، يبقى محور حياته وجوهرها الجنس والرفاه المادي ورغد العيش.

إن عملية الانحطاط تظهر هكذا. في البداية يفقد الإنسان الإحساس بالله داخل نفسه. ينتج عن ذلك غياب الحب من روحه... يبدأ بعبادة وتقديس من يعشق أو يحب من الأقرباء والأشخاص المحببين، ثم يتطور ذلك إلى ما عاداه. كلما كان الشغف بالوسط المحيط كبيراً، ظهرت ونمت النزعة الاستهلاكية والتبعية. بعد ذلك يطلب ولا يترجى. وكلما كانت المحبة والطاقة في روحه قليلة، أخذ يطلب بعدوانية أكبر. بعد ذلك ينتزع ما يريد انتزاعاً. بذلك يكون قد سار على الطريق التي يعرف الجميع نهايتها.

وهكذا فإن بداية التوحد مع هذا العالم تصبح أساسية. بعد ذلك نبدأ بعشق الجمال والعدالة والمثل والرغبات العليا. بعدها ننزلق إلى الرغبات الجنسية. إن عبادة المستقبل التي تنعكس على شكل مثل وأحاسيس سامية، يمكن أن تؤدي إلى فقدان المستقبل نفسه، وربما إلى الموت. بعدها تبدأ آلية حب البقاء بالعمل، وتتحول الغيرة إلى عجرفة وتكبر. وبدلاً من الإحساس بالجمال، ينحدر الإنسان إلى عبادة المال والسلطة. لكن عندما تصل عبادة المادة والرفاه الدنيوي إلى الحد الحرج، يحصل التفسخ، وتحل الكوارث: مثل المرض، والسجن، والتعاسة، وما شابه ذلك. وإذا لم تتوقف هذه العملية، بما يخص الرغبات والمستقبل الواعد، فستتكمش إلى الحد الأدنى. ولكي يستمر الإنسان في الحياة، عليه أن يعود إلى الحالة البدائية بأقل ما يمكن من الرغبات والأهواء ومستوى الرفاه. لذلك على سبيل التجربة يمنح المشردون المال والمنازل، لكنه بعد مدة من الزمن يظهرون في الشارع من جديد. بكل بساطة ليس لديهم الطاقة على العيش في مستوى اجتماعي رفيع.

من دون التوحد مع الوسط المحيط لا يمكن أن يحصل تطور. لكن إذا تسبب ذلك بإبعادنا عن الإلهي، عندها يبدأ الانحطاط بشكل غير ملحوظ، ولا نشعر بعواقبه مباشرة.

استمرار التحليل

المرة الأولى التي أتعرف بها على الكتاب المقدس كانت في آثوس الجديد، في أبخازيا. عندها كنت في مقتبل العمر وعملت دليلاً سياحياً، أرافق المجموعات السياحية إلى دير آثوس الجديد. لقد أعطوني نصاً يحض على الإلحاد الذي يكشف دور الدين «أفيون الشعوب» في تخلف المجتمع. من المنطقي لكي تدين أحداً ما عليك أولاً أن تعرف ما هو الذنب الذي اقترفه. لذلك نحيت جانب المؤرخين والأكاديميين والعلماء الذين نقدوا الكتاب المقدس. في البداية ظهروا أمامي بصفة الحكماء لكنهم غير مقنعين. بعد ذلك فهمت أن الأمر لا يعدو كونه تحريفاً مكشوفاً، وأن التحليل سطحي تماماً، وأن خلف العبارات المعقدة والجزلة والرنانة تظهر معان جوفاء. ولشرح فكرة تافهة كرسوا عشرات الصفحات.

عندها توصلت إلى قناعة أنه لا بد من قراءة المصدر نفسه، والاطلاع على فحواه. وجدت كتاباً مقدساً مطبوعاً في الغرب: لقد صعقت بمعانيه، ذلك أن كل عبارة منه تحمل عدة معان، ومستوى المعلومات يتضمن عدة طبقات. إضافة لذلك عمدت إلى قراءة الكتاب المقدس لكي أتمكن من فهم مغزى الرسوم على جدران المعبد. بعد ذلك توصلت إلى قناعة بعدم صوابية نقد الأديان. وبدلاً من قراءة محاضرة ضد الدين، ألقيت محاضرة عن المسيحية في الدير. لقد شعرت أن الذي يعمل ليس فقط لساني، بل وعقلي أيضاً، وحتى روحي. لقد كان إحساسي ممتعاً جداً. إن علم الكره الذي ربتني عليه الاشتراكية أصبح أكثر ضعفاً، وحل في المرتبة الثانية. هنا في أبخازيا، في المكان الذي يدعى آثوس الجديد، كانت قد ترسخت مفاهيم عن العدالة المطلقة والحق والعقاب؛ وشيئاً فشيئاً أخذت تتلاشى. وقرأت بعد ذلك الكتاب المقدس لمرات عديدة، لكن كنت ألقى صعوبة بالغة في الفهم، مع أني شعرت بوجود كمية هائلة من المعلومات. يجب أن نقرأ الكتاب المقدس بروحنا وليس برأسنا.

إن الأهل الذين يعطون كل شيء لأطفالهم، يشتكون بعدها من عدم محبة الأطفال لهم. هم ينتظرون أن تولّد عاطفة الحب عاطفة مقابلة لدى الأطفال، وهم لا يتفهمون حقيقة بسيطة: لكي يحب الأطفال أهاليهم، من الواجب على الأهل أن يهتموا بأطفالهم منذ الصغر. يجب تربية الأطفال على الشفقة والرحمة والاهتمام بالآخرين؛ وعلى التضحية وتحمل الألم. عندما يرى الطفل أهله، يجب أن تحصل لديه ردة فعل انعكاسية تدفعه لحبهم والاهتمام بهم. في الماضي لم يكن يتلقى المسنون راتباً تقاعدياً، لذلك اهتم الأهل بتربية أطفالهم، لكي يهتموا بهم عندما يشيخون، وبالتالي يتجنبوا غائلة الفقر والضنك في أيام حياتهم الأخيرة. الآن تقع مسؤولية الاهتمام بالمسنين والمعاقين على عاتق منظمات الرعاية الاجتماعية التابعة للدولة. إن الأطفال يرون في ذويهم فقط المصدر الذي يؤمن لهم الرعاية والمتطلبات المادية كافة. وبالتالي عن أي حب يمكن أن يدور الحديث؟

إذا لم يغمر الإنسان في طفولته بالحب، سيصبح من الصعب عليه مساواة نفسه مع الآخرين: إما أن يخضع للآخرين، أو يذلهم. إذا كان الشخص يتصف بالتملق أو استرضاء الآخرين والخضوع لهم، تنشأ بالمقابل لديه نزعة إذلال وقهر الأناس الآخرين. إن ذلك السلوك يعد طبيعياً بالنسبة للإنسان الوثني. إن الاشتراكية التي اقتبست من المسيحية فكرة التوحد والمساواة مباشرة قسمت المجتمع إلى طبقتين: الصفوة التي تستطيع أن تخرق جميع القوانين، والشعب المقهور الذي يجب عليه أن يكون تابعاً ومتزلفاً وخاضعاً للصفوة.

في مصطلحاتي يوجد تشخيص «التعلق بالمثل العليا». هذا يعني أن تقديس الرغبات الجنسية، والجمال، والعواطف النبيلة، يبدو على درجة كبيرة من البراءة. أما في الواقع يظهر ذلك بصورة مغايرة.

منذ مدة روت لي إحدى المريضات القصة التالية: كانت تذهب بشكل دائم إلى عيادة التجميل، هناك كانت ترى امرأة تنتابها نوبات من السعال الدائم. فسألتها مريضتي: قد تفيدك بعض الوصفات الشعبية، هل جربت شيئاً منها؟ نظرت المرأة قائلة:

- إن ذلك لن يفيدني، منذ مدة اكتشفوا أني مصابة بالإيدز.

ثم قالت إنها تزوجت منذ مدة ليست بالبعيدة وولدت طفلاً. وقبل سنة من زواجها أصيبت بعدوى الإيدز، دون أن تعلم بذلك. على الرغم من أن الزوج عاش معها، إلا أنه لم يلتقط العدوى.

- قالت مريضة الإيدز: في البداية شعرت بذعر شديد ورعب، تمنيت الموت. بعد ذلك تصالحت مع الوضع الجديد، ثم فهمت أنه لا بد من العيش والتأقلم مع الوضع الجديد. كل شهر أحتاج لابتداع الكثير من الأدوية. إن الحكومة خصصت أموالاً طائلة لمعالجة مرضى الإيدز ومنحهم الأدوية اللازمة مجاناً. أنتم لا تتخيلون الأعداد الكبيرة لمرضى الإيدز في روسيا. هناك حالات غير مكتشفة تفوق بعشرة أضعاف ما هو مكتشف.

- سألت زبونتي: بالمناسبة، ألا تستطيعون أن تخبروني لماذا أصيبت تلك المرأة بالإيدز؟

- اذكري لي ما هو اسمها. عندما ذكرت لي الاسم عاينت حقلها على المستويات الرفيعة، وشاهدت صورة معتادة.

إن التركيز على المثل العليا والعواطف الرفيعة والمستقبل لديها مرتفع أعلى من الحد الخطر بثمانية أضعاف. لقد أصبح المستقبل لديها أهم من الحب، لذلك لا بد من فقده. كان من الممكن أن تصاب بداء السكري أو السرطان. لكن اللاوعي قاد تلك المرأة إلى طريق آخر لتطهير الروح.

لقد شرحت لمريضتي: كان كل شيء يبدو بريئاً. نحن في البداية وبشكل غير ملاحظ نفقد الحب ومرضاة الله. بعد ذلك نتجه إلى عبادة رغباتنا الجنسية. ثم لا نتقيد بكمية الطعام التي نأكلها، ونطلق العنان لمتعنا وأهوائنا. نتجه لتقديس الرفاه المادي والجمال. إلى هذا الحد يكون التطهير سهلاً. إنه مثل الورقة التي تذبل وتسقط كل خريف. لكن شيئاً فشيئاً ينتقل السم من الأوراق إلى الفروع ثم إلى ساق الشجرة. وإن عبادتنا تنتقل من المستوى الخارجي إلى جميع المستويات الرفيعة. كلما كان الشحن أعمق في أنفسنا، كان من الصعب علينا تقبل فكرة زوالها. وكلما تأخرت عملية التطهير، أصبحت أكثر إيلاماً.

إن الشخص الذي يستهويه الجنس، في اللاوعي يصبح أكثر غيرة. وعندما تنمو روحه على صعيد السعادة الإنسانية أكثر مما ينبغي، تعمل على الفور آلية الدفاع الذاتي وإنقاذ الروح. عند المؤمن تبدأ هذه الآلية عملها بشكل مبكر. من لا يهتم بروحه باكراً، كلما تأخر يصبح الأمر أكثر إيلاماً.

في حالة المرأة تلك تم حجب مستقبلها بوساطة الحب، لذلك نجدها قد فقدته. من خصائص الإصابة بالإيدز والسرطان والسكري أن الإنسان بشكل دائم يشعر بدنو أجله، ويفهم أنه على المدى القريب لن يكون له مستقبل. مع ذلك يجب أن نحيا ونحب. بعد ذلك يتأكد الإنسان من سمو المكانة التي يحتلها الحب، بحيث يفوق كثيراً في أهميته المستقبل. وعندما يتخلص الإنسان من الخوف وعبادة جسده وشهواته، عندها يستطيع أن يقهر الفيروسات. مثل تلك الحالات حدثت وهي في ازدياد.

عندما كان عمري 12 سنة، أخبرتني أمي التي عملت ممرضة في إحدى المستشفيات عن قصة مذهلة: بعد الفحوص والتحريات المخبرية التي أجريت لإحدى المريضات تبين أن لديها سرطان في الكبد. حددوا لها موعداً لإجراء العملية. وفي الموعد المحدد، وعندما فتحوا البطن، وجدوا أنهم لا يستطيعون إجراء أي جراحة. لقد امتد السرطان إلى كامل الكبد، لذلك امتنعوا عن إجراء العمل الجراحي، وخاطوا الجرح. قرروا عدم إخافة المرأة، لذلك أخبرها الطبيب أنه ليس لديها أي مرض خطير، ولا توجد أورام، إنما توجد كتلة صغيرة تمت إزالتها.

أخرجوها من المستشفى لكي تموت في منزلها. لكن المرأة التي وثقت بكلام الأطباء الذين أكدوا لها أن لا أمراض خطيرة لديها، قد تعافت. بعد نصف سنة راجعت تلك المرأة العيادة وكانت تبدو بحالة صحية جيدة، وذات وجه متورد. أكدت الفحوص الطبية أنها معافاة تماماً. أخبرتها إحدى الممرضات الحقيقة كاملة. بعد ثلاثة شهور، أصيبت المرأة من جديد بسرطان الكبد الذي انتشر في كل جسدها، مما أدى إلى وفاتها. إن الخوف والتعلق بالمستقبل وفقدان الحب عمل عمله.

منذ ألفي سنة مضت، قال المسيح: «لِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ»[1] المقصود هنا عدم التقيد بالوصايا. «فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ..»[2]. إن تفسير هذه العبارة بسيط: يجب على الإنسان ألا يضع أمله في المستقبل، بل يجب وضعه بالخالق. يجب أن يكون الحب أكثر أهمية من المستقبل. أي إن سعادتنا الحقيقية لا تأتي عن طريق الجري وراء الغرائز، بل عن طريق زيادة المحبة في الروح.

لقد تذكرت المرأة التي كان لها حقل طاقة مشابه. إن مفاهيم العدالة، والمثل العليا، والأخلاق بالنسبة لها ثابتة لا تتزحزح. إن عبادة الأحاسيس الرفيعة بوجود طاقة كبيرة وجمال تصل إلى الحد الأعلى. إن نقد وإدانة الأناس غير الأخلاقيين أخذ يزداد. إنها لا تستطع تحمل الأشخاص الأنذال والخونة، ولا روحها استطاعت ذلك. لم ترغب في الاستمرار في الحياة مع انهيار تصورها للعداوة. بالنتيجة: الطفل مدمن مخدرات، ولديه ميل شديد للكذب والسرقة، ويتعامل مع أمه بوقاحة، ويتشاجر معها ويشتمها. إن تعلقه بها أصبح أكثر إيلاماً. قلت لها شارحاً: إذا أردت مساعدة ابنك ساعديه في أن يتغير. لقد اعتدتِ نقد وإدانة الأشخاص ضعيفي الروح، لدرجة أن أي عدم ارتياح منك تجاه أي شخص سيؤدي إلى عمل آلية التدمير لديكم لتدميره.

- قالت المرأة: إن زوجي الثاني كان مدمناً للمخدرات. لقد كنت أدين تصرفه ذاك، ثم حصل فراق بيننا، لكني حصلت على حقل منه بالطباع نفسها.

- وهكذا، يجب مساعدة الابن. ما الذي يجب فهمه؟ أولاً: يجب إظهار حبك تجاهه، مهما كانت تصرفاته. ثانياً: يجب عدم مسايرته في تصرفاته الخاطئة مهما كانت النتيجة. يجب عدم الارتباط داخلياً بشخص مذنب. وللنجاح في القيام بذلك، يجب التحرر داخلياً من ذنوبنا، أي يجب أن نتغلب على الإدانة والاحتقار والكآبة. يجب أن تكوني على ثقة أن لا مستقبل لدى ابنك. لو تحلى بالسلوك الجيد تجاهك وبالشرف والاستقامة، عندها قد يموت. إن الولد الذي كل ما يهمه في الحياة هو

1- العهد الجديد: متى (24: 12).

2- العهد الجديد: متى (6: 34).

الحصول على المال، يجب أن يعيش بفقر، وإذا لم يكن الولد فالحفيد، وهذا يتعلق بدرجة العبودية.

بالنسبة للمرأة، إذا كانت المثل العليا والمشاعر السامية تعتبر مثل وقيم عليا، عندها لكي يستمر ابنها على قيد الحياة، من الضروري له أن يبتعد عن كل ذلك، لكي لا يموت. من الأسهل له أن يشعر بالحب وهو يتنازع مع أمه أو يشتم، من أن يشعر به وهو يتعاطى المخدرات، وهو يسرق أو يكذب مدمراً بذلك مستقبله.

لكي يتمكن من بناء مجموعة القيم والمثل العليا بشكل صحيح، يجب عليك أنت أولاً بناءها بشكل صحيح. إن التغيير بالنسبة لك صعب جداً؛ وأقول لكم لماذا. هل شاهدت الحية عندما تبدل جلدها؟ في تلك اللحظة تكون في أشد حالات الضعف، إذ لا شيء على الإطلاق يحميها. وهكذا لكي يتمكن الإنسان من تغيير طبعه، يجب أن يكون في حالة من الانكشاف والضعف وعدم الحماية بشكل كامل. إن الممتلكات المادية والأموال والمنزل، كل ذلك يعطي إحساساً بالحصانة والغطاء الذي يحمي الإنسان. في معظم الأحيان يتعرض الإنسان الذي يملك كل ذلك للمرض، لكي يسهل على نفسه إمكانية التغير. بالمناسبة، لماذا قال المسيح إنه من الصعب على الغني دخول مملكة الرب على عكس الفقير؟ إن المغزى هنا ليس في المال، بل بإحساس الحماية والدفاع الذي يمتلكه الغني.

لكن يوجد موضوع يحتل مكاناً أكثر خطورة. إنه يرتبط بالحماية، لكن ليس بحماية الجسد، بل بحماية الروح أيضاً. إنه في غاية الخطورة. إن رمز حماية الروح يكمن في الاستقامة. والاستقامة الذاتية تعطيك إمكانية نقد وإدانة الآخرين. إذا كنت مستقيم السلوك، عندها لا داعي لأن تتغير. طالما أنك تشعر أنك مستقيم، عندها أحد ما غيرك يكون هو المذنب. والمذنب لا بد من عقابه. هذا يعني أن الاستقامة ترتبط بشكل متين جداً بالمحبة. طالما توجد استقامة داخلية، لا يمكن حصول أي تغير في السلوك. من يشعر بنفسه على الدوام أنه على حق، يكثر من حوله المذنبين، ولا سيما بين الأقرباء. لكي يتغلب على الاستقامة، عليه أن يتعلم محبتهم.

إن مفهومي المحق والمذنب الذين يستخدمان مع القوانين الإنسانية، يهدفان إلى نشر الاستقرار عند مراعاتهما. أما القوانين الإلهية لن نتمكن من فهمها بشكل

كامل ما لم نعد إلى الخالق. لذلك لا نستطيع التكلم عن الاستقامة الإنسانية المطلقة. إن الإنسان الذي يشعر بتحقيق الاستقامة المطلقة، يكون أقرب إلى الإله، لكن تفوح منه رائحة إبليس.

حاولوا أن تعيشوا من جديد، وتتحسسوا جميع المواقف الحياتية. حاولوا أن تروا إرادة الله من خلال الخير والشر. إن الخير والشر يجب أن يدفعانا إلى المحبة، وإلا سوف نقع في الخطأ بشكل دائم، ونفقد القدرة على التمييز بينهما. بشكل خاص إن الإحساس بالاستقامة الذاتية يعطي البشر العذر لاضطهاد بعضهم بعضاً، دون الشعور بعذاب الضمير.

فن الحب

أتابع سيري في السيارة مفكراً: كيف يتلقى الطفل التعليم عند ذويه؟ إنه يحبهم ويقتدي بهم، ويقارن نفسه بهم ويقلدهم. لكي نتلقى المعلومات من أحد ما، يجب أن نكون من الداخل متوحدين معه. إن عملية الاستهلاك أمر عادي، بل وضروري، لكنها يجب ألا تخرج عن الإطار المسموح به. هل يعد التطور نوع من الاستهلاك؟ إنها تتحول إلى عطاء. إذا علمنا أن العبادة تكون فقط للخالق، عندها نحس أن المعلومات الأساسية والحب يأتيان من عند الله. أما الشخص الآخر، فإنه يدفعنا كذلك لكشف مكنون هذه العملية في أنفسنا. وإذا كانت الروح مرتبطة بقوة بالجسد والرغبات والرفاه، فلن نرغب عندها بتطوير هذه العملية داخل أنفسنا، بقدر ما نرغب باقتباسها من الآخرين.

نتخيل أن رجلاً يحب امرأة جميلة بجنون. إنه متعلق بها لدرجة أنه يموت من الخوف عندما يتخيل إمكانية فقدها أو خيانتها له. بالنتيجة النهائية يقوم بقتلها لكي لا تتحول إلى حب رجل غيره ويفقدها. إن هذا المثل يعكس بوضوح كيف يمكن أن يتحول الإعجاب الشديد والحب الشديد إلى كره لدرجة القتل. ومن الحب ما قتل!

لنتصور حالة أخرى أخف وطأة: رجل يحب امرأة؛ إنه متعلق بها، لكن بدرجة أقل. مع ذلك، يعذبها بالإهانات والنقد المستمر والغيرة. نحن نحصل على الطاقة ممن نحبه أو نعشقه. إن أي شخص غيور هو مستهلك، وكالخفاش مصاص الدماء، لذلك هو عاجز عن بناء علاقات مستقرة. لكن إذا خانته المرأة يحب إما أن يتركها أو يموت. إنه لا يختلف كثيراً عن الرجل في الحالة الأولى، لكنه يظل متحفظاً على بعض الحب في روحه ونفسه. إن الرجل في الحالة الأولى، باعتباره مستهلك مطلق للطاقة، عند الخيانة سوف يقدم على قتل زوجته أو نفسه.

نستعرض حالة ثالثة أكثر عقلانية: رجل يقع في حب امرأة جميلة ويغرم بها. بعد مدة تبدأ الخلافات بينهما، ثم ينشأ لديها ميل إلى رجل آخر. عندها يخاطبها قائلاً: «لقد ساعدتني في إيقاظ الحواس الجميلة، إني أشكرك. وهذه العواطف لم تعد متعلقة بك. وفي حال تحولك إلى حب رجل آخر أو قررت الانفصال، لن يؤثر ذلك في عواطفي». في البداية سوف يتكلم الرجل هذا الكلام؛ بعد ذلك سوف يشعر به؛ بعد ذلك، سوف تفوق رغبة العطاء رغبة الاستهلاك. في نفسية الرجل من الداخل سوف يحصل تغيير، وسيمتنع عن التعلق بالجمال النسائي. عندها، أي امرأة تعيش بقربه سوف تكون سعيدة، لأنه ومن أعماق نفسه لن يقوم بإذلالها، بل سوف يمنحها حبه.

لقد تذكرت السؤال الطريف الذي وجهه لي أحد الطيارين.

- توجد ثلاثة محظورات يمنع القيام بها من قبلنا قبل الطيران: أخذ صور فوتوغرافية، وممارسة الجنس، وقبض الراتب، لماذا؟

- أجبته: إن ذلك لا يمس فقط الطيارين. حدثني صديقي عن قصة شاب وفتاة كان لديهما شغف برياضة الهبوط بالمظلات. قررا الزواج، قبل الزفاف قررا أن يتصورا، ثم هبطا بالمظلات. بالنتيجة تعرضا لمشكلات أثناء الهبوط وتكسرت أطرافهما. هذا حصل قبل عامين.

في إحدى المحاضرات، أرسلت لي امرأة رسالة، ذكرت أن زوجها متسلق جبال. كل مرة يقرر فيها الذهاب يأخذان صورة فوتوغرافية. وكل مرة هذه الصور بالذات تحترق،ولا ينجح التصوير.

وهكذا، كلما قررنا الإقدام على القيام بعمل جدي، يقوم لاوعينا بجمع كمية كبيرة من الطاقة التي من الواجب توزيعها بشكل صحيح. إن كمية المحبة الكبيرة والسعادة يجب أن تكون موجهة إلى الخالق، وكمية قليلة منها يجب أن تخصص في حياتنا للغرائز الأساسية. إن التصوير يطبع إحساس السعادة وعبادة الذات لمدة طويلة؛ أما الجنس والمال يقويان الشعور بالغيرة والتكبر. إن الحالة الداخلية للإنسان تنطلق بشكل كبير بالاستقرار الداخلي لنفسه، في حال عدم توافرها، سوف يؤدي ذلك إلى التعاسة.

الآن أتذكر حالة جديدة «المجرم والضحية»: أحد زبائني كان مثالياً متشدداً. آمن فقط بالمبادئ. لقد قرأ كتبي، لكنه عجز عن الصفح عن المجرم. كان لديه أخ غني جداً. في إحدى المرات هاجمته عصابة مجرمة، واختطفته للحصول على فدية. قيدوه لمدة يومين في منطقة نائية. كشف الجناة عن وجوههم، وفهم أنه مقتول لا محالة. ثم سمع صوت نقاش الجناة حول كيفية قتله. عندها تذكر أن المجرم لا يجوز الحقد عليه، وأن الإنسان أحياناً يقوم باستفزاز الآخرين واستعدائهم. حاول أن يتغير، وبدأ بالصلاة. استمر بالصلاة مدة يوم كامل. سامح كل من أساء إليه، واستعد لاستقبال الموت. في اليوم الثاني قرر الجناة إطلاق سراحه. عندما وصل إلى المستشفى، أخبره الأطباء أن أعضاءه الداخلية متضررة، ويحتاج إلى علاج لمدة طويلة. وخضع للعلاج. بعد شفائه، أجرى معي اتصالاً هاتفياً.

- قلت له: «لقد حصل لديك تغير في المصير، لأنك استطعت أن تتغير بشكل جذري. لكن سوء الطالع لديك سوف يستمر. ما زال لديك استعداد للوم الآخرين ولم تتغلب عليه بعد، وكذلك ما زال لديك تقديس للمستقبل. يجب عليك أن تفهم، رغم أن الله قد أنقذ حياتك، إلا أن هذا لا يعني أن جميع ذنوبك قد محيت».

أفكر وأنا أنظر إلى الطريق الذي تحيط به أشجار الغابة. يبدو أن الشتاء طويل هذا العام؛ وما تزال التدفئة ضرورية. ألقي نظرة على السائق الذي حدثني عن مشكلاته منذ عدة أيام. لا شيء مهم في حقله. لدى المرأة والابن برنامج قوي للتدمير الذاتي؛ وهو السبب.

قلت له:

- إن منظرك ليس طبيعياً، قل لي هل لديك مشكلات أسرية؟

بعد برهة من الصمت اعترف قائلاً: لقد وقعت في حب امرأة ثانية وأردت ترك أسرتي. إن الأمور مع زوجتي ليست على ما يرام. توجد الكثير من الخلافات. تعرفت عن طريق الإنترنت على امرأة جميلة جداً. لم أستطع مقاومة حبها. إنها متزوجة، لكنها اختلفت مع زوجها. بالنسبة لها، إنه الزوج الثاني، وقد ترك بسببها زوجته الأولى. وعندما قررتُ ترك الأسرة، شكت في علاقتنا وأخبرت زوجها بكل شيء. الآن أشعر في نفسي فوضى عارمة. لا أعرف ماذا علي فعله، هل أطلق زوجتي أم لا.

- سألته: هل تريد أن يدفنوك بالتقسيط؟

- سألني: هل أنت جاد؟

- نعم، أنا جاد، لكن قل لي أولاً: ما اسم تلك المرأة الجميلة التي تعرفت عليها؟ عندما نظرت إلى حقل طاقتها، شاهدت ما قد توقعت: الضحية دائماً تجد المجرم.

في داخلك تعشق المرأة والجمال النسائي. إن الارتباط الداخلي القوي يولد الشكوك والغيرة والإهانة والظلم. إذا هام الرجل بشدة بالمرأة في داخله فإنها تمنحه عاطفة قوية، لكن ليس بشكل فوري لكي لا يهلك. إن العشق والإعجاب الزائد هو نوع من الشوق والهيام، لكن لا يمكن اعتباره حباً على الإطلاق. إن مثل هذا الهيام الشديد يمكن أن يقع به رجل متزوج لديه زوجة وأطفال. هذا يمنحه فرصة الحفاظ على مسافة توفر له اجتياز الهيام الشديد والعشق. عادة تكون العشيقة جذابة، لكنها غير مخلصة، وهي تقوم بإرادتها أو من دونها بإذلال إحساسه، حتى ولو كان متزوجاً ويمتلك عدوانية داخلية عالية.

إن فتاتك المختارة مثل «عرضة الغابة» التي تطارد الرجال. إذا قامت امرأة بتخليص رجل من أحد ما، هذا يعني وجود هيام شديد وتركيز على رغباتها. إنه على كل الأحوال نوع من أنواع السحر والاستيلاء على العقل. بوجود رجل كهذا لديها لا يمكن الحصول على حياة أسرية طبيعية. إن تقديس الرغبات سوف يجعل منها أكثر عدوانية. ومثل تلك النسوة تكنَّ إما مطلقات أو أرامل.

- سأل الرجل: ماذا علي الآن أن أفعل؟

- أولاً: في أي حال من الأحوال لا يجب كبح عاطفة الحب. ثانياً: يجب ألا تنزعج من تلك المرأة. بما أنها تصالحت مع زوجها وأخبرته بكل شيء يعني ذلك إنقاذ لحياتك. لقد جريت وراء الشهوات، وأخذت تعبدها. بشكل خفي أخذت تقتل الحب الحقيقي في روحك. فيما لو طلقت زوجتك وتزوجت من تلك المرأة، لما طال زواجك أكثر من عدة شهور. لذلك عليك الآن أن تهدي زوجتك باقة من الزهور، وتجلب لأطفالك المثلجات. أكثر من المجاملة مع زوجتك، لأنها الآن في حالة صعبة.

عندما يتصرف الرجل بشكل خاطئ، ويمتلك عقيدة غير صحيحة، ذلك يؤدي إلى تدمير أسرته وزوجته وأطفاله. إن رقصة التانغو يؤديها اثنان: المرأة والرجل. إنهما كمتسلّقي الجبال المرتبطين. وكل واحد منهما يستطيع بتصرفاته أن ينقذ أو يهلك الآخر.

سوف تشتاق لتلك المرأة. وكبح تلك العاطفة أمر غير مقبول، لأن ذلك قد يكون قاتلاً إن لم تحول الغرام إلى حب، أو إن لم تتغلب داخلياً على التعلق الشديد بالنساء والغرام بهن. بما أنك الآن قد تجاوزت الموت، ذلك لا يعني على الإطلاق تغيير المصير. إن لم تشأ إحداث تغيير في داخل نفسك، فإن القدر سوف يردعك بقسوة وبشكل مفاجئ.

هذا الحديث الذي جرى منذ عدة أيام خلت يطفو الآن في مخيلتي. إن الزبون يقود سيارته بثقة وهو يسير باتجاه المطار.

- هل تعلمون أنه بعد حديثنا أوشكت على الموت؟! في البداية شعرت بألم شديد في الكليتين. كنت أشعر بصعوبة بالغة وألم عند محاولة تحريك جسمي. بعد ذلك أصبحت أتنفس بصعوبة. قبل أسبوع من ذلك فحصت رئتيَّ وكانتا في حالة ممتازة. هنا شعرت بإحساس أن لدي التهاب قصبات حاد. بعد ذلك حصلت لدي مشكلات في جهاز البول. اعتقدت أني هالك لا محالة. لقد فكرت: «إذا كانت هذه هي مشيئة الله، فأنا على استعداد لتقبل الموت». في اليوم التالي استيقظت وكأن شيئاً لم يكن، وصحتي على خير ما يرام. إن الجسم يعمل كالساعة. ماذا كان ذلك؟ وجه سؤاله إلي.

تبسمت وأجبته قائلاً:

- إن الذنوب تدخل مع المتع، وتخرج مع الألم. لقد عدت في المناسب إلى جادة الصواب. وتلك المشكلات التي تعرضت لها مضت دون أن تدمر حياتك. لو أن تلك الحالة استمرت مدة طويلة، لكن ذلك الإحساس أتى عن طريق الموت، أو عبر مرض مؤلم لا شفاء منه.

الحب هو الهدف الذي نسعى إليه. لنفترض أننا نصعد بواسطة سلم إلى مكان نقصده. يجب علينا للوصول أن نجتاز عشرين درجة، وكل درجة من درجات السلم ترمز إلى إحدى الصفات الأخلاقية، مثل: قدرة أحدنا على الاهتمام بالآخر، والقدرة على ضبط أنفسنا عند الغضب، وتحمل الألم، والتفاهم، الدرجة التالية هي القدرة على العمل ومنح الطاقة. الدرجة الثالثة هي الامتناع عن لفظ الكلمات النابية والشتائم، والقدرة على تهذيب النفس وتربيته الآخرين ...إلخ.

عندما تنتظر ضيفاً، من الواجب أن تحضر له مكاناً لائقاً لاستقباله. عندما تريد أن تغرس غرسة تفاح عليك أن تحضر الأرض لذلك، وعندما تريد من الحب أن يأتي يجب أن تحضر نفسك لاستقباله.

إن العلاقة بين الرجل والمرأة عبارة عن صراع دائم، ومشكلات تدفع إلى البحث عن مستويات جديدة من التوحد. من الواجب على المرأة الحقيقية أن تتجه بروحها إلى الله، وليس إلى أي شخص آخر. الكثيرات من النساء يعتقدن أن الحب يذهب عندما يفقد الرجل إثارته الجنسية. إن المرأة الحقيقية تحب على المستويات كافة. إنها تحب على المستوى الإلهي والروحي، وحينما تنظر إلى زوجها كنظراتها إلى الطفل الذي يحتاج بشكل دائم إلى الحب والتربية، وإلى معاقبته أحياناً. إن ذلك هو المستوى الأسري من المحبة؛ أما المستوى الإلهي، فهو عبارة عن حب دائم ليس له علاقة بأي شيء آخر. بالإضافة إلى الحب الإلهي وحب الأمومة، لدى المرأة أيضاً إحساس بالصداقة تجاه زوجها. إن الزوج هو بالدرجة الأولى صديقاً، بعد ذلك يعتبر شريكاً بما يخص النواحي الجنسية. على الزوجة أن تكون لطيفة ووفية. يجب أن تهتم في الأمور البسيطة وتتنازل أمام زوجها في الأمور المهمة، يجب أن تكون أفعى وحمامة في الوقت نفسه. مثل تلك المرأة لا تنتقم ولا تندم أو تحسد. تجمع بين اللطف وعزة النفس وبين الطيبة والقسوة. إن التناقض الذي يجيش في داخلها، يجب أن

توازنه المحبة دائماً. يجب أن تكون متزنة، ليس فقط تعرف كيف تحب، بل ويجب أن تعلم زوجها أن يحب، وأن تساعده كي يكون طيباً وخيراً. على زوجها أن يؤمن لها الحماية والرعاية، وأن يضحي في سبيلها. بالمقابل عليها أن تؤمن له حياة سعيدة وممتعة، وأن تحاول التخفيف من آلامه، وتعلمه الصبر والمسامحة وحب الآخرين.

ها قد وصلت سيارتنا إلى المطار. ودّعنا بعضنا. حملت أمتعتي وتوجهت إلى قاعة المسافرين. وأخيراً جلست في صالون الطائرة أنظر عبر النافذة: إنها نهاية شهر تشرين الثاني؛ السماء ملبدة بالغيوم، لكن السعادة تغمر النفس.

لقد تركزت رحلتي الأولى إلى البحر الميت. أخبروني أنه في القدس يوجد مَعْلَم يقدسه كل من اليهود والمسيحيين والمسلمين. إنه حائط البراق. لقد حافظ ذلك الحائط على وجوده منذ أن وجدت فكرة التوحيد في تلك البقاع. إن القادمين من جميع بقاع العالم يأتون إلى حائط البراق، يضعون وجوههم على حجارته، ويكتبون أمنياتهم على قصاصة ورق ويدخلوها في أحد الشقوق بين حجارة الحائط. إن تلك الأمنيات تتحقق لا محالة. في تلك اللحظة لم يكن لدي أي قلم. أسندت وجهي على الحائط وتمنيت من الله أن يساعدني على تعلم محبة الناس. إني على ثقة بأن أمنيتي هذه سوف تتحقق عاجلاً أم آجلاً.

الفهرس

حياة مثل خفقة جناحي فراشة..... 5

السلم..... 16

تغيير العادات..... 22

البنية X (أكس)..... 34

محاضرة في مدينة خاركوف..... 42

المستقبل..... 54

عندما تنظر إلى الغد..... 60

العيادة..... 66

خطوة إضافية إلى الأمام..... 80

اللعبة..... 84

سدوم و عمورة..... 105

التحليل النفسي..... 119

ندوة في مدينة فرانكفورت..... 128

العمل على النفس..... 148

الوحدة..... 163

التصنيف..... 177

استمرار التحليل..... 188

فن الحب..... 194

منشورات دار علاء الدين

سلسلة كتب الكارما من مؤلفات س. ن. لازاريف

١- الكارما.

٢- الكارما الطاهرة.

٣- تشخيص الكارما - طرق التطهير الروحاني.

٤- تشخيص الكارما.

٥- تشخيص الكارما - أسئلة وأجوبة.

٦- تشخيص الكارما - الارتقاء الروحي.

٧- تشخيص الكارما - تخطي السعادة الحسية.

٨- تشخيص الكارما - حوارات وقضايا.

٩- تشخيص الكارما - منهجية الخلاص والبقاء.

١٠- تشخيص الكارما - متابعة الحوار.

١١- تشخيص الكارما - نهاية الحوار.

١٢- تشخيص الكارما - حياة مثل خفقة جناحي الفراشة.

من منشورات دار علاء الدين

- موسوعة الصحة والباراسيكولوجيا
  يوري إيفانوف
- الكارما تغيير المستقبل
  ميخائيل ميلر
- الكارما التحكم بالمصير
  أندرية ليفشينوف
- فانغا اعترافات البصارة العمياء
  كراسيميرا ستويانوفا
- الأخلاق وقوانينها في الكون الثنوي
  فلاديمير جيكارنتسف
- البنية الثنوية للكون وقوانينه
  فلاديمير جيكارنتسف
- التحول إلى المحبة الدروب الأرضية
  فلاديمير جيكارنتسف
- الحب في ازدواجية الكون
  فلاديمير جيكارنتسف
- الخير والشر
  فلاديمير جيكارنتسف
- أبعاد الحياة ما بين التأمل والتركيز
  فلاديمير جيكارنتسف
- نظرة في أعماق النفس
  فلاديمير جيكارنتسف
- الحقل البيولوجي المعالج
  ي. أ. تريباكوف
- قوة الآن
  ايكهارت تول
- طاقة الحياة
  لويزا خي
- اشف نفسك ذاتياً
  لويزا خي
- الحياة بعد الحياة
  رايموند ماودي
- رحلة الأرواح
  د. ميشيل نيوتن
- الحياة بين الحيوات التخصيص الروحي
  د. ميشيل نيوتن
- من أسرار العقل
  غدويس و غروست
- التقمص أحاديث مع متقمصين
  تورفالد دتلفزن
- الشفاء عن طريق التقمص
  تورفالد دتلفزن
- مختارات في الخير والشر
  تورفالد دتلفزن
- ليس الوقت متأخراً جداً على الحب
  آنا ك. دانيالز
- الصحة النفسية من وجهة نظر علماء النفس
  أ. د. كامل علوان الزبيدي
- طاقة بيتك
  الكسندر بيريغين، نتاليا بيريغينا
- خوارق الأبعاد
  أ. معروف الجلبي
- رحلة في أسرار العقل
  أ.د. سوزان غرينفيلد
- كيف تكون ظاهرة فريدة
  البرت إيغاتنكو

من منشورات دار علاء الدين

- التنين المجنح القوة الجنسية
  أومرآم ميكائل ايفانخوف
- فن العلاج النفسي
  ايمي يوليس، بيل هينكين
- الطريق إلى القيادة وتنمية الشخصية
  ج. كورتوا
- من أسرار المشاعر الإنسانية
  جهينة الحموي
- التخطيط اللغوي العصبي NLP
  جوزيف أوكانور
- الاستقرار في اللحظة
  جوزيف غولدشتاين
- لغة الجسد
  غدويس و غروست
- لغة الجسد النفسية
  جوزيف مينجر
- الشذوذ الجنسي
  خليل كنش البدوي
- الطب الروحي
  د. غادة العاسمي
- سيكولوجية إدراك اللون والشكل
  د. قاسم حسين صالح
- في سيكولوجية الفن التشكيلي
  د. قاسم حسين صالح
- إشكالية الشر
  د. هاني نصري
- التحليل النفسي لشخصيات عربية سياسية
  سمير عبده
- التحليل النفسي لشخصية أم كلثوم
  سمير عبده
- التحليل النفسي لقوة الاستدلال
  سمير عبده
- التحليل النفسي للأقوال المأثورة
  سمير عبده
- التحليل النفسي للحظ والمصادفة
  سمير عبده
- التحليل النفسي للعقلية الشامية
  سمير عبده
- التحليل النفسي للمكاشفة الباطنية
  سمير عبده
- تعلم كيف تمارس التحليل النفسي
  سمير عبده
- تعلم كيف تمارس علم النفس
  سمير عبده
- هو وهي تحليل مائة حالة نفسية
  سمير عبده
- وجوه مرضية تحليل مائة حالة نفسية
  سمير عبده
- الكرب أو الشدة النفسية
  كلاوس شويخ، غيرت شراينكه
- ما يريد مرضك أن يخبرك به
  كورت تيبرفاين
- الاكتئاب
  ليز ماكليرن
- من ما وراء الحس الميتافيزيقي إلى العوالم الأخرى
  ن. ف. فيبرينتسوف

نشر - توزيع - ترجمة
دار علاء الدين
PUBLISHER ALAEDIN
دمشق ٢٨٠٠